



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

الآياتُ الاجتماعيَّةُ في القرآن الكريمِ دراسة في ضوءِ اللِّسَانِيَّاتِ النَّصِيَّةِ

أطروحة تقدّم بها الطالب

عدي فاضل عباس

إلى

مجلسِ كُليَّةِ التَّربِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي جَامِعَةِ كَرْبَلَاءَ

وهي جُزءٌ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ نَيْلِ شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا / اللُّغَةِ

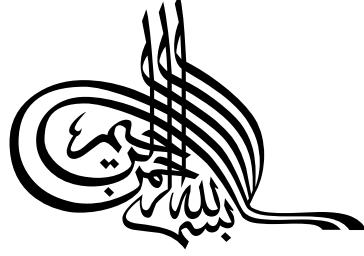
إشرافُ

الأستاذ الدكتور

مكي محي عيدان الكلابي

٢٠٢١ م

١٤٤٣ هـ



﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

صَلَّى
الْعَظِيمِ

سورة

هود: الآية (١)

الإهداء

(إليك يا كربة بلاء)

إلى والدي طيب الله ثراه، وفاءً

إلى والدي مصدر الحنان والمحبة، تحننا

إلى أصحاب الفضل العظيم الذين حملوا

أقدس رسالة في الحياة، أساتيدي في

كل نرمان ومكان، إجلالاً



الشكر والعرفان

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمِ ابْتَدَأَهَا،
وَسُبُوغِ آلاءِ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مَنَنِ وَالْإِخْصَاءِ عَدْدُهَا، وَنَأْيِ عَنِ الْجَزَاءِ أَمْدُهَا،
وَتَفَاوُتِ عَنِ الْإِذْرَاقِ أَبْدُهَا، وَأَفْضَلِ الصَّلَاةِ وَأَتَمِّ السَّلَامِ عَلَى أَبِي الزَّهْرَاءِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ خَيْرِ
الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَنْ مَسْتَحِقٌّ لِلشُّكْرِ، فَهُوَ خَالِقُ الشُّكْرِ وَمَوْجِدُهُ، ﴿مَرْبِّ أَوْزُرْ عَنِّي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: ١٩).

وبعد ...

فقد لاحت في فضاء البحث نجومٌ ما انفكت تنير غياهب السكك، ودياجي السبيل لتسفر
عن صبح المعرفة، فلا يسع الباحث غير أن يقدم أسمى آيات الشكر والامتنان، لا كرد للجميل؛
فجميلهم لا ترده الكلمات، وإنما اعترافاً لأهله، فمن مبدأ رد الجميل والإقرار بالفضل عليّ، أتقدم
بوافر الشكر لأستاذي الفاضل (الأستاذ الدكتور مكي محيي عيدان الكلابي) الذي واكب
الإشراف على هذه الأطروحة من أول غرسها حتى استوت على سوقها، فقد حظيت منه بوافر
العناية ودقة المتابعة، فأغناها بتوجيهاته السديدة، وآراؤه الرشيدة، حتى أينعت ثمارها، وحن
قطافها، فلم يبخل بجهد، ولم يقتر بوقت في سبيل اظهار الأطروحة بالحلة التي هي عليها
الآن، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، وله منّي وافر الحبّ والعرفان، والشكر موصول غير منقطع
إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية جميعاً الذين كانوا لنا منائر نستدلّ بها ونستهدي إلى ما هو
أسدّ وأقوم، أساتذتي الأكارم الذين تتلمذت على أيديهم واستقيت من ينابيع علمهم وأخصّ
بالذكر: الأستاذ الدكتور حسن عبد الغني الأسديّ، والأستاذ الدكتور نجاح فاهم العبيديّ،
والأستاذ الدكتور عادل نذير بييري، والأستاذ الدكتور سلام موجد خلخال، والأستاذ الدكتور جنان
منصور الجبوريّ، والأستاذ الدكتور محمد حسين عليّ زعيّن، والأستاذ المساعد الدكتور خالد
حسين السياب، والأستاذ الدكتور ليث قابل الوائلي، والأستاذ الدكتور عليّ كاظم المصلاويّ،

والأستاذ الدكتورة كريمة نوماس المدني، وجميع أساتذ قسم اللغة العربية في كلية التربية للعلوم الإنسانية المحترمين.

ومن الوفاء أن أتقدم ببالغ الشكر وعظيم الثناء إلى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية متمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور حسن حبيب الكريطي، والشكر موصول إلى رئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة بالسيد رئيس القسم الأستاذ الدكتور ليث قابل الوائلي، والشكر موصول أيضًا لموظفي شعبة الدراسات العليا؛ لما قدموه من تسهيلات.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير للأستاذ الدكتور علي الدلفي من جامعة واسط لاقتراحه عنوان الأطروحة ومساعدته بتقديم المصادر المتعلقة بالبحث، فله جزيل الشكر والتقدير.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر عرفانًا إلى زملائي في مرحلة الدكتوراه، شكر الله صنيعكم بما سعيتم وبذلتم وأعنتم، فنعم العون على الشدائد.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أمي الحبيبة، فلولا رضاها ودعاؤها لما كانت تنالني رحمت ربي، إخوتي وأخواتي لكم مني كل الشكر والتقدير.

وأخيرًا أشكر أصدقائي، وكلّ من مدّ يد العون، وأبدى عونًا بكلمة، أو دعاء في ظهر غيب، ومن تفضّل علي بالنصح والإرشاد، وأخص منهم الدكتور ناجي الدلفي، فجزاهم الله خير جزاء المحسنين.

الباحث

إقرارُ المُشرف

أشهدُ أنّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (الآياتُ الاجتماعيّةُ في القرآنِ الكريمِ دراسةُ في ضوءِ اللسانيّاتِ النَّصّيّةِ) التي قدّمها الطالبُ (عدي فاضل عباس) قد جرت تحت إشرافي في قسمِ اللُّغةِ العربيّةِ في كُليّةِ التّربيةِ للعلومِ الإنسانيّةِ/ جامعة كربلاء، وهي جزءٌ من متطلّباتِ نيلِ شهادةِ دكتوراهِ فلسفةٍ في اللُّغةِ العربيّةِ وآدابها/ اللُّغةِ .

الإمضاء :

الاسم : أ. د. مكي محي عيدان الكلابي

التاريخ : ١ / ٩ / ٢٠٢١ م

بناءً على التّوصيات المتوافرة أُرشحُ هذه الأطروحةَ للمناقشة .

الإمضاء :

الاسم : أ. د. ليث قابل الوائلي

رئيسُ قسمِ اللُّغةِ العربيّةِ

التاريخ : ١ / ٩ / ٢٠٢١ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهدُ نحنُ أعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ
(الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم دراسة في ضوء اللسانيات النصية) التي
قدمها الطالب (عدي فاضل عباس)، وناقشناه في محتوياتها، وفيما له علاقة بها،
ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها / اللغة
بتقدير () .

الإمضاء:	الإمضاء:
أ. د. علي حسن عبد الحسين	أ. د. جنان منصور كاظم
عضوًا	رئيس اللجنة
التاريخ: / / ٢٠٢١ م	التاريخ: / / ٢٠٢١ م

الإمضاء:	الإمضاء:
أ. د. مؤيد جاسم محمد	أ. د. إياد عبد الودود عثمان
عضوًا	عضوًا
التاريخ: / / ٢٠٢١ م	التاريخ: / / ٢٠٢١ م

الإمضاء:	الإمضاء:
أ. د. مكي محي عيدان الكلابي	أ. د. ليث قابل عبيد
عضوًا ومشرّفًا	عضوًا
التاريخ: / / ٢٠٢١ م	التاريخ: / / ٢٠٢١ م

صادق عليها مجلس كُليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء

الإمضاء:
أ. د. حسن حبيب عزر الكريطي
عميد كُليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء
التاريخ: / / ٢٠٢١ م

المحتويات



أ - و	المقدمة
٢٠ - ١	التمهيد: اللسانيات النَّصِّيَّة والخطاب الاجتماعي: المفاهيم والحدود
٤ - ٢	أولاً: نشأة اللسانيات النَّصِّيَّة: المقاصد والضرورة
٦ - ٤	ثانياً: تحوُّل الدرس النَّصِّي من نحو الجملة إلى نحو النَّص
١٣ - ٦	ثالثاً: اللسانيات النَّصِّيَّة في الدراسات الحديثة
١٥ - ١٣	رابعاً: مفهوم اللسانيات الاجتماعية
٢٠ - ١٥	خامساً: الخطاب الاجتماعي في القرآن الكريم
١١٨ - ٢١	الفصل الأول : الاتِّساق النَّصِّي في الآيات الاجتماعية
٢٢	أولاً: الاتِّساق النَّصِّي
٢٥ - ٢٢	ثانياً: مفهوم الاتِّساق في التراث العربي
٢٩ - ٢٥	ثالثاً: مفهوم الاتِّساق في الدراسات الحديثة
٢٩	رابعاً: وسائل الاتِّساق النَّصِّي
٨٨ - ٣٠	المبحث الأول: الاتِّساق النحوي
٥٣ - ٣٠	أولاً: الإحالة
٦٦ - ٥٤	ثانياً: الحذف
٧٦ - ٦٧	ثالثاً: الاستبدال
٨٨ - ٧٧	رابعاً: الوصل (الربط)
١١٨ - ٨٩	المبحث الثاني: الاتِّساق المعجمي
١٠٠ - ٩٠	أولاً: التكرار
١١٨ - ١٠١	ثانياً: المصاحبة المعجمية (التضام)
١٩٢ - ١١٩	الفصل الثاني: الانسجام النَّصِّي في الآيات الاجتماعية
١٢١ - ١٢٠	أولاً: الانسجام النَّصِّي
١٢٢	ثانياً: مفهوم الانسجام في التراث العربي
١٢٥ - ١٢٣	ثالثاً: الانسجام في الدرس النَّصِّي الحديث

١٤٦ - ١٢٦	المبحث الأول: العلاقات الدلالية في الآيات الاجتماعية
١٩٢ - ١٤٧	المبحث الثاني: مظاهر الانسجام في الآيات الاجتماعية
١٦٧ - ١٤٧	أولاً: البنية الكلية (موضوع النص) في الآيات الاجتماعية
١٨١ - ١٦٨	ثانياً: ترتيب محتوى النص في الآيات الاجتماعية
١٩٢ - ١٨٢	ثالثاً: التبريز في الآيات الاجتماعية
٢٩٤ - ١٩٣	الفصل الثالث: المعايير النصية الأخرى
٢٥٦ - ١٩٤	المبحث الأول: ما يتعلق بمستعملي النص
١٩٨ - ١٩٤	أولاً: القصدية
٢١٧ - ١٩٨	القصدية في الآيات الاجتماعية
٢٢٢ - ٢١٨	ثانياً: المقبولية
٢٣٨ - ٢٢٣	المقبولية في الآيات الاجتماعية
٢٤٢ - ٢٣٩	ثانياً: الإعلامية
٢٥٦ - ٢٤٢	مراتب الإعلامية
٢٤٩ - ٢٤٢	١. المرتبة الأولى
٢٥٢ - ٢٥٠	٢. المرتبة الثانية
٢٥٦ - ٢٥٣	٣. المرتبة الثالثة
٢٩٤ - ٢٥٧	المبحث الثاني: المقامية
٢٦٠ - ٢٥٧	المقامية
٢٧٠ - ٢٦٠	أ. أسباب النزول
٢٧٥ - ٢٧١	ب. الناسخ المنسوخ
٢٩٢ - ٢٧٦	ج. السياق الدلالي
٢٩٤ - ٢٩٢	د. ألفاظ العرب في الجاهلية (الأنساق الثقافية)
٢٩٩ - ٢٩٥	الخاتمة وأبرز نتائج البحث
٣٢٨ - ٣٠٠	قائمة المصادر والمراجع
A - B	ملخص الأطروحة بالإنجليزية



المقدمة

المقدمة

الحمدُ لله خالقِ الكونِ باتساقٍ، وصلى الله على من أضاء ذكره في الآفاق، وآله نجوم السبع الطباقي، وعلى صحبه وأصفيائه، ومن سار على نهجه إلى يوم المساق.
وَبَعْدُ ...

يمثل القرآن الكريم قُطبَ رحي الثقافة العربية الإسلامية ومركز الدائرة المعرفية للعرب والمسلمين، فمنه تكوّنت ثقافتهم ومن معينه نهلت معارفهم؛ ولذلك يُعدُّ الكشف عن مضامينه كشفًا عن فصاحة اللغة العربية وبيانها؛ ولأنه يحمل بين طياته خطابات متعددة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك، فقد تعددت مضامينه وتتنوع بتعدد مخاطبيه وتتنوعهم؛ ولأنه أيضًا المنبع الأول في وضع لبنات المجتمع الجديد، لذلك صار وجهة العلماء، ومطلب المفسرين والدارسين؛ ومن الموضوعات والمفاهيم التي عالجها القرآن الكريم العلاقات الاجتماعية، وحقوق الجماعات والأفراد وتنظيمها وتبيان عليها في بناء نصيٍّ مُحكم يُشعرك بالتكامل واتساق بنائه وتظافر دلالاته.

لقد كان ميدان الدراسة هو الآيات الاجتماعية التي يقع أغلبها في المعاملات التي عالجت قضايا اجتماعية متعددة مثل: (الزواج، والطلاق، والبيع، والشراء، والميراث، والأنساق الثقافية، والأخلاقية، والاجتماعية الأخرى)، وعالجتها في ضوء اللسانيات النصية؛ فشكّلت الموضوعات تماسكًا نصيًا وإن تباينت الأغراض والأساليب بين تراكيبها، فجاء العنوان موسومًا بـ: (الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم دراسة في ضوء اللسانيات النصية).

لقد شكّلت الدراسات اللسانية منعطفًا مهمًا في دراسة اللغات البشرية وتحليلها، إذ تعددت المدارس اللغوية في نظرتها للغور في بحر اللغة، فجاءت البنيوية ثم التحويلية ثم التداولية، ولم يتوقف البحث اللساني عن إيجاد نظرية أقدر على استيعاب معرفة الظواهر اللغوية، وتحليلها إلى أن وصل إلى نظرية شاملة مثلت نقلة في المناهج اللسانية الحديثة، إذ جاءت اللسانيات النصية بوصفها فرعًا من فروع علم اللغة يمتاز بنظريته الشاملة؛ إذ شكّل فيه التحول - من نحو

الجملة إلى نحو النص - فارقاً كبيراً تجاوز فيه النظرة المقتصرة على دراسة الجملة وتحليلها إلى الوقوف على الجوانب المتعددة المتعلقة بالنص نفسه وبمنتجه ومنتقيه وسياقه الذي يحيط به.

فكانت الدراسات التي قدّمها (فان دايك) الأساس الذي نهض بلسانيات النص إلى مصاف النظريات المتكاملة في تناول اللغة بنظرة أشمل وأدق وأعمق، وتُعد الدراسات التي قدّمها عالم اللغة (دي بوجراند) من أفضل ما انتهت إليه لسانيات النص في تحديد المعايير التي بواسطتها يُعرف مدى تحقق "النصانية" من عدمها في النصوص اللغوية، فاقترح في نظريته سبعة معايير هي: (الاتساق، والانسجام، والقصدية، والمقبولية، والإعلامية، والمقامية، والتناص) التي تتأزر مُجمعة للوصول إلى كُلية النص.

وقد اقتضت طبيعة بحثي هذا أن يقع في ثلاثة فصولٍ صدرته بتمهيد وبقية بخاتمة، تحدّثت في التمهيد عن اللسانيات النصّية والخطاب الاجتماعي: المفاهيم والحدود، وتطرقت فيه إلى نشأة اللسانيات النصّية، وتحوّل الدرس اللسانيّ من نحو الجملة إلى نحو النص، ثم اللسانيات النصّية الحديثة عند الغرب والعرب، ومفهوم اللسانيات الاجتماعية، ووقفت عند الخطاب الاجتماعيّ في القرآن الكريم، أمّا فصول الدراسة فلم تخرج عن طبيعة الدراسة النصّية، إذ التزمت تنظيراً وإجراءً بالمفاهيم النصّية التي نظّر لها واضعوا هذا العلم.

أمّا الفصل الأول ف جاء موسوماً ب (الاتساق النصّي في الآيات الاجتماعية)، وقد غني بمبحثين، المبحث الأول خصص لفحص الاتساق النحويّ وعالجت فيه: (الإحالة، والحذف، والاستبدال، والوصل)، وكيفية عملها وإسهامها في ترابط النص وتناميه مشفوعة بالنصوص التطبيقية من الآيات الاجتماعية.

وأما المبحث الثاني فقد اتّجه لتفحص الاتساق المعجمي وعالجت فيه أثر وسائله في ترابط النص من (التكرار بأنواعه، والمصاحبة المعجمية ووسائلها).

وأما الفصل الثاني فقد كان بعنوان (الانسجام النصّي في الآيات الاجتماعية)، واشتمل على مبحثين، تناولت في المبحث الأول العلاقات الدلالية بتقسيماتها المتعددة: (علاقة الاجمال والتفصيل، وعلاقة التفسير، وعلاقة التتابع، وعلاقة الإضافة المتكافئة، وعلاقة الشرط والجواب،

وعلاقة السؤال والجواب، وعلاقة العموم والخصوص، وعلاقة التذييل، وعلاقة الاستثناء، وعلاقة التقابل، والعلاقة السببية)، مبيناً مقدار تأثيرها في انسجام النص مشفوعة بالتطبيقات التي تبرز ذلك.

أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان (مظاهر الانسجام في الآيات الاجتماعية) وقصد إلى تفحص أهم مظاهر الانسجام، وهي: البنية الكلية (موضوع النص) وترتيب محتوى النص، والتغريض وعلاقته بما جاء من مفاهيم وأفكار، وكيفية معالجتها داخل النص.

وجاء الفصل الثالث منتظماً بعنوان: (المعايير النصية الأخرى) الإتمامية؛ لأنَّ بها يتم النص، وتحقق الفاعلية التواصلية الإنجازية، واقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على مبحثين: المبحث الأول يضم (القصدية وكشف معيار القصدية مقاصد الآيات الاجتماعية، والمقبولية وكان خلاصة للمعايير النصية المتقدمة، ومدى تحققها في النص)، والمبحث الثاني يضم (المقامية وبين أسباب النزول والنسخ والمنسوخ والسياق الدلالي في كشف الجوانب المتعلقة بظروف إنتاج النص، والإعلامية وبيّنت فيه مراتب الإعلامية ووسائلها في رفع كفاءة النص).

ثم ختمت الفصول بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وقد أفدت في هذه الدراسة من مصادر اللغة والتفسير قديمها وحديثها، ولا سيما مؤلفات درس اللغوي النصي، فضلاً عن المراجع التي اختصت بالقضايا الاجتماعية.

وطبيعة البحث تقتضي أن يكون المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج التحليل النصي لنماذج الخطاب الاجتماعي في القرآن الكريم، ثم شرحها وتفسيرها في ضوء اللسانيات النصية، وتطبيق المعايير الحديثة على أهم مصدر من مصادر اللغة العربية ألا وهو القرآن الكريم؛ ليدل على أن اللغة العربية استوعبت كل النظريات الحديثة، وهذا يدل على حيويتها وحركتها المستمرة.

مع الإشارة إلى أننا ارتأينا عدم الخوض في المعيار السابع (التناس) - بحسب مفهومه ومعناه - ؛ إذ يُعد من إشكاليات الدراسات القرآنية، فالقرآن الكريم نص إلهي يتعدى كونه بناءً

لغويًا ذا دلالات إضافية، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، ومن ثمَّ فإنَّ له من الخصوصية والقداسة ما يجعله مغايرًا لجميع الأشكال البديعية التي عرفها العرب، وهو القائل في وصفه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَكِّيكَ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، والتناص غالبًا ما يرتبط بثقافة القارئ ووعيه، وهذا الارتباط يتطلب من وجهة نظر التناصيين (موت المؤلف، وانتفاء القصدية)، فخشينا أن تذهب بنا المسالك إلى القول بحاجة القرآن إلى ما يتناص معه فنكون بذلك قد قلنا شططًا، فضلًا على أن تركه لا يُعدُّ نقصًا أو مثلبة بالبحث.

ولعلِّي هنا بحاجة إلى أن أتوه على عددٍ من الموضوعات الرئيسة التي احتكمت إليها هذه الدراسة ومنها أنَّها قد اختصرت بعض أسماء الكتب في الهوامش كتفسير الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، باسم: (الميزان) والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ليكون باسم: (الكشاف) فقط لشهرتها، وغيرها من الاختصارات التي حاولنا فيها عدم إرهاق الحواشي بالأسماء الطويلة.

فضلاً عن ذلك فقد تكررت في البحث بعض الآيات، وقد تأتت هذه المسألة لكون دراسة الآيات في معيار معين تختلف عن دراستها في معيار آخر؛ ذلك أنَّ كلَّ معيار يقف على النص من زاوية معينة، وهو ما تجلَّى في فصول هذه الأطروحة.

وتكمن أهمية اختيار هذه الدراسة في خدمة النصِّ القرآنيِّ، وتوضيح نجاح التواصل الذي حقَّقه النصُّ، والإسهام في ميدان التطبيق في اللسانيات النصِّية، مع ملاحظة أنَّ هذه الدراسة تعدُّ امتدادًا للدراسات النصِّية السابقة؛ إذ برع الكثير من الباحثين في الدراسات النصِّية القرآنية، وما كان لنصِّ إنَّ حاز على درجة عليا من الخاصية النصِّية مثل الذي يمتاز بها النصُّ القرآنيِّ، فقد وقع الاختيار على عينة من آياته المباركة، وهي (الآيات الاجتماعية).

ولا يخلو أي عمل من صعوبات تعترض الباحث وبحثه؛ وما زاد منها أنَّه في القرآن الكريم، ومعلوم ما له من خصوصية، وقدسية، وما يتطلب ذلك من دقة وتأن، وصعوبة تحليل النصوص القرآنية، إذ قد يؤدي التحليل إلى تحميل النصِّ ما لا يحتمله، وهذا أمر به حاجة إلى حذر شديد ودقة بالغة، أضف إلى ذلك صعوبات تمثلت بكونها قد اختصت باتجاه لغوي

حديث، قد يتجلى عنه بعض الإشكاليات عند معالجة هذه النصوص القرآنية؛ إلا أن الدراسة اتخذت منهجاً وسطاً في الاخذ بالأنسب منها مع طبيعة اللغة العربية.

وبعد ... فإني لا أدعي لهذه الدراسة كمالاً، فالكمال لله وحده، فلقد بذلتُ ما بوسعي في هذا الجهد المقلّ من أجل أن يكونَ هذا البحثُ ثمرةً جديدة في جامعتي وكلّيتي، تهتمّ باللسانيات النَّصِّيَّة والنَّصَّ القرآنيّ، ولئن لم ينضجها البحث والتتقيب، فإنّ أمني أن ينضجها النقد والتتقيب، ويسعدني أن أقف على ما قد ينعُ في هذه الدراسة من زلّات، وأن أعرف ما قد يرى فيها الأساتذة العلماء الكرام الذين أطرحها بين أيديهم من هَنَات عساني أوفق لاستدراكها.

وإن كان ثمة خاتمة لهذه المقدمة فينبغي لي أن أسجّل فيها العرفان خالصاً لمن كان له الفضل الكبير عَلَيَّ في رحلتي وما أحيط بها ويعتريها من صعوباتٍ وعقباتٍ دلّ لها بصدرٍ رحبٍ وتوجيه تربويّ علميٍّ، وملاحظ قيمةٍ وسديدةٍ طوال مدّة إعداد الأطروحة أستاذي المفضل (الأستاذ الدكتور مكي محي عيدان الكلابي) فلطالما أسهر الناظر وأجهد الخاطر، فجزاه الله عني خيراً وسدّد خطاه خدمة للغة العربيّة ودارسيها.

ختاماً الله نَسأل أن يمنحنا صواب القول وسداده، وحُسن العاقبة وأن يتقبّل عملنا هذا بأحسن القبول؛ فلكلّ امرئ ما نوى، والله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

الباحث

التمهيد

اللسانيات النصية والخطاب الاجتماعي:

المفاهيم والحدود

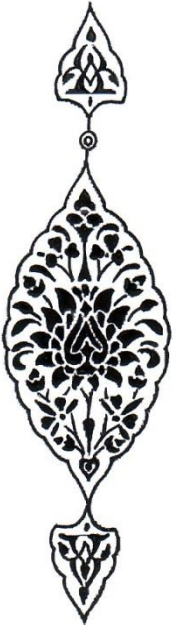
أولاً: نشأة اللسانيات النصية: المقاصد والضرورة

ثانياً: تحول الدرس اللساني من نحو الجملة إلى نحو النص

ثالثاً: اللسانيات النصية في الدراسات الحديثة

رابعاً: مفهوم اللسانيات الاجتماعية

خامساً: الخطاب الاجتماعي في القرآن الكريم



التمهيد

اللسانيات النصية والخطاب الاجتماعي: المفاهيم والحدود

أولاً: نشأة اللسانيات النصية: المقاصد والسيرورة:

اللسانيات النصية فرع معرفي جديد تكوّن بالتدرج في النصف الثاني من الستينيات، والنصف الأول من السبعينيات، وقد مثل حركة علمية نوعية ونظرية حديثة في الفكر اللساني، يبدأ بعد ذلك مدًا زاحفًا في حقول اللغويات والمعارف الحديثة.

تسعى اللسانيات النصية إلى تحديد آليات فهم النص، وتأويله، وكيفية الاحتفاظ بالمعلومات لتساعد المتلقي على الربط بين قضايا النص وتأثير البيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية في النص وغيرها^(١)، وتتركز مهمتها في ((وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر المتعددة لأشكال التواصل واستخدام اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المختلفة))^(٢)، فأسهمت اللسانيات النصية أسهامًا كبيرًا في إخراج العلوم اللسانية من ((مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية))^(٣)، ولتتطرق نحو فضاء أرحب تسعى إلى ((اكتشاف بلاغة الخطاب والوقوف على جمالياته وقيمه البلاغية المتجددة، التي لا يقوى نحو الجمل المحدود على استخراجها))^(٤)، إذ وضعت الدراسات النصية هدفًا رئيسًا تسعى إلى تحقيقه وسبر أغواره، ممثلًا بمقاصد عدة تتمثل في الوصف، والتحليل، والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي^(٥)؛ لأنّ النصّ يبني في سياق تفاعلي بين المخاطب والمخاطب، وبهذا الصدد يقول (روك): ((أخذت اللسانيات النصية بصفحتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية جريانها في الاستعمال، شيئًا فشيئًا مكانة هامة في النقاش العلمي للسنوات الأخيرة))^(٦)،

(١) ينظر: الانسجام في القرآن الكريم: ٣١.

(٢) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٢١.

(٣) مبادئ في اللسانيات: ١٦٧.

(٤) في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: ١٨ - ١٩.

(٥) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٣١.

(٦) مبادئ في اللسانيات: ١٦٧.

ويُعد الأمريكي (هاريس) أول من استعمل مصطلح التحليل النصي الشامل في دراسته الموسومة (تحليل الخطاب) التي أظهر فيها اعتناءً كبيراً بجانبين ببناء النص من جانب، والسياق الاجتماعي للنص من جانب آخر^(١)، متجاوزاً مأخذين عُمرت بها الدراسات اللسانية، هما:

١. قصر الدراسة على الجمل، والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

٢. الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي مما يحول دون الفهم الصحيح.

وقد سعت اللسانيات النصية إلى الاعتناء بالدلالة والسياق على رغم من غيابهما في لسانيات الجملة الذي يُعنى بوصف الأبنية اللغوية دون العناية ((بالجوانب الدلالية عناية كافية، مما جعل علماء النص يرون أنّ البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصرًا على وصف الجملة، بينما يتضح من يوم إلى آخر أنّ جوانب كثيرة لهذه الأبنية لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو النص أو نحو الخطاب))^(٢)، وتُعد البداية الحقيقية للدراسات النصية بشكل مستقل على يد (فان دايك) الذي يرى وقوف ((القواعد واللسانيات التقليدية غالبًا عند حدود وصف الجملة ... وأما في علم النص، فإننا نقوم بخطوة إلى الأمام ونستعمل وصف الجمل بوصفه أداة لوصف النصوص))^(٣)، وهذا يعني أنّ (فان دايك) يسعى لإقامة لسانيات نصية تهدف إلى دراسة البنية النصية، ومظاهر التماسك في النص، ويأخذ في الحسبان الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية^(٤)، وهناك رأي لأحد المختصين العرب في مجال اللسانيات النصية مفاده أن تأصيل اللسانيات النصية ((لم يتجاوز نحو الجملة سوى في نهاية الستينات الميلادية في حين أنّ سنة (١٩٨٤م) تمثل ذروة الاهتمام بنحو النص وتحليل الخطاب حيث بلغت الأعمال المنشورة فيها (٢٩٨ عملاً))^(٥)، وتندرج اللسانيات النصية من ضمن فروع علم اللغة ((الذي يهتم بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو

(١) ينظر: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص: ٤٠٨ .

(٢) علم اللغة والدراسات الأدبية: ١٨٤ .

(٣) النص: بني ووظائف مدخل أولي إلى علم النص: ١٤٧ .

(٤) ينظر: انفتاح النص الروائي: ١٥ .

(٥) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٧٦-٧٧ .

المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن المنطوق والمكتوب على حد سواء^(١))، نفهم من هذا القول أن اللسانيات النصية أوسع وأشمل؛ لأنها تُشرك في عملها النص وما يحيط به من وسائل داخلية وخارجية، فالوسائل الداخلية تتمثل في تماسك النص وترابطه بوساطة الإحالات والمرجعيات، وأدوات الوصل والربط، أما الوسائل الخارجية فتتمثل في المستقبلين للنص سواء أكان هذا النص منطوقاً أم مكتوباً، فضلاً عن معرفة أحوالهم، ومدى استجابتهم له؛ لاستحالة تأسيس اللسانيات النصية على مفهوم خيالي، فهي تسعى إلى مدّ جسورٍ تربط بين معرفة العالم ومعرفة اللسانيات^(٢).

وقد عدت اللسانيات النصية علماً متطوراً واسعاً يشمل اللغة والجمل، والظواهر التركيبية التي تقصر عنها الجملة المفردة وتحتاج إلى أوسع منها وهو النص بعلاقاته التركيبية المتماسكة وأبنية التتابع والتماثل والتقابل، ولذلك ((إنّ تجزئة النص من أجل دراسته ليست تجزئة يراد بها تحنيط هذه البقايا المتجزئة، ولكن يراد بها أن نفهم عقلياً حركة الأجزاء والعلاقة فيما بينها في الجسم الحي الذي نحبه وهو النص))^(٣).

ثانياً: تحوّل الدرس اللساني من نحو الجملة إلى نحو النصّ:

تعدّ الجملة من أهم المكونات الرئيسية والأساسية للغة، وهي بلا شكّ اللبنة التي قامت لأجلها النظريات اللسانية، والوحدة التركيبية الأساس في الوصف والتعريف؛ ولذلك ((اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة Sentence دون غيره))^(٤).

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٣٦ / ١ .

(٢) ينظر: لسانيات النصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: ٦ .

(٣) النحو والدلالة: ١٦١ .

(٤) النصّ والخطاب والإجراء: ٨٨ .

وقد درس العلماء العرب القدماء لفظة (الجملة) في كثيرٍ من مؤلفاتهم بالتفصيل والإسهاب، وأولوها عناية كبيرة، فعدّوا لها أبواباً واسعة في مؤلفاتهم^(١).

ويجدر بعلماء النحو النَّصِّيّ النظر إلى نحو الجملة نظرة تمعّن وروية في الأثر الذي يلعبه نحو الجملة وأهميته في النَّصّ عند التحليل، ولذلك ((ينبغي أن نضع في الاعتبار أمراً غاية في الأهمية وهو أن كل أشكال النقد التي وجّهت إلى نحو الجملة لا تعني - في رأيي - وأظن أن ذلك أيضاً رأي جُلّ علماء لغة النَّصّ - أنه لم تعد له قيمة، وأنه قد عفا عليه الزمن، وأنّ كلّ هذا التراث النحوي الضخم السابق لأجيال متعدّدة لم يعد له مكانٌ... بل كان الأمر مخالفاً لذلك تماماً... حيث إنهم قد وضعوا تصوّرات جديدة ذات أهداف معيّنة، وكان عليهم أن يجزّبوا ما لديهم من إمكانات ووسائل وأدوات، ولما لم تسعفهم في استيعاب تصوراتهم وتحقيق أهدافهم عبّروا عن علل الانتقال من أشكال التحليل والوصف اللغويين إلى شكل آخر، واظهروا في عدة مواضع كيفيات ذلك الانتقال، وكان التراث النحوي السابق لكل ما يضمّه من تصوّرات ومفاهيم وقواعد وأشكال وصف وتحليل وغير ذلك الأساس العقليّ الذي بُنيت عليه هذه الاتجاهات النَّصِّيّة))^(٢).

ويرى الباحث أنّ نظرة العرب القدماء من نحويين وبلاغيين قد وقفوا عند حدود الجملة في - الأغلّب - ويرجع السبب في ذلك إلى تذوق العربيّ في أصالته للكلمة وما تحملها من وضعها في الجملة من جاذبية وصورة موحية تلمس إحساسه المرهف في بيئته وحياته الجزئية التي تحيط به مركزاً على وحدة بيته في استقلاله عن سابقه، واجتزاء الشاهد النحويّ وغيره الذي يروم استعماله إلا إذا كان يدرس أو يهّم بدراسة تطبيقية^(٣).

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (جمل): ٦٨٦ / ٧ ، والتعريفات: ٧٨ ، ومعاني القرآن، الفراء: ٣٣٣ / ١ ، والأصول

في النحو: ١ / ٦٤ ، الجمل في النحو: ٣٦ - ٣٧ ، والإيضاح العضدي: ٧١ - ٧٣ ، والخصائص: ١٨ / ١

واللمع في العربية: ٨١ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٩٠ ، والمفصل في العربية: ٦ / ١ .

(٢) علم لغة النَّصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: ١٩ - ٢٦ .

بعدها شهدت اللسانيات تحولاً وانعطافاً تدريجياً كبيراً في ضرورة الانتقال إلى الدراسة النصية، فقد جعل علم اللسانيات النصية مجالاً رحباً واسعاً لعمله، إذ فتح الباب على مصراعيه وأضفى بُعداً معرفياً جديداً أسهم في تحديد الأسس النظرية لفروع لغوية كثيرة، وقد تمثل ذلك في النصّ فهو اللبنة الرئيسة في عملية التماسك النصي، يعتمد على الجملة في قوام وأعمدة التماسك والروابط وعلاقاتها المنضوية تحتها.

ثالثاً: اللسانيات النصية في الدراسات الحديثة:

١. اللسانيات النصية في الدراسات الغربية:

يتعدد مفهوم النصّ اصطلاحياً عند الباحثين في الدراسات اللغوية الغربية، بحسب الفلسفة التي يعتنقها الباحث والمقاصد التي يروم الوصول لها.

يتألف كل نص من حروف وكلمات تجتمع معاً لتنتج نصاً مفهوماً وواضحاً، إذ يرى (هارتمان) أنه ((متوالية من الكلمات المنطوقة فعلا في اللغة، وجمعه نصوص وقد تكون نُسخاً منقولة أو مادة مسجلة، أو مدونة أو عملاً أدبياً أو قطعة معلومات أو رسالة، فالنصّ -بحسب هذا المفهوم- منظومة الكلام المدونة))^(١)، وهذا يعني أن النصّ يتألف من مجموعة جمل متتابعة وظيفتها التواصل، فهو نموذج للسلوك اللساني الخاضع للتحليل سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً^(٢)، بيد أن (جون لاينز) يرى أن للنصّ وظائف مهمة تتعدى وظيفة التواصل، فالنصّ من وجهة نظره ((ليس مجرد وحدات متصلة مع بعضها في سلسلة، إنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النصّ في مجمله أن يتّسم بسمات التماسك والترابط))^(٣).

وهناك من عرفه انطلاقاً من مكوناته اللغوية، ليكون دالاً على الترابط ومن ثم فهو عنده ((نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد))^(٤)، ومنهم من نظر إليه على أنه حدث تواصلية يؤدي فيه السياق اثرًا واضحاً في

(١) النصّ اللغوي بين السبب والمسبب: ١٨ .

(٢) ينظر: لسانيات النصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: ١٠ .

(٣) اللغة والمعنى والسياق: ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) نسيج النصّ: ١٢ .

إيصال المعنى، وتصدر هذا الرأي (هاليدي ورقية حسن) فالنص من وجهة نظرهما كلمة تستعمل للدلالة على الفقرة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، أو طويلة أم قصيرة^(١)، وقد أكد هذا الرأي (شميت) الذي يرى أن النص ((تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي))^(٢) يهدف إلى التواصل ونقل الأفكار وطريقاً إلى الخطاب^(٣)، في حين سعى (دي بوجراند ودريسلر وبرنكر) إلى الجمع بين الرأيين السابقين، فالنص عندهم وحدة لغوية وتواصلية، وما على المحلل اللغوي سوى مراعاة الأمرين معاً في إنجاز عمله^(٤)، ومردّد هذا الاختلاف في تعريف النص إلى المدارس التي ينتمي إليها العلماء والنقاد الذين تصدّوا لدراسته.

ومن علماء العرب من دعا كذلك إلى إيجاد تعريف جامع للنص بقوله: ((ومع ذلك تظل محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة للنص محاولة طموحة))^(٥)، ويمكن أن نلمس تلك الشمولية في التعريف الذي جاء في القاموس الموسوعي، الذي عدّ النصّ سلسلة لسانية مكتوبة كانت أم ملفوظة تهدف إلى تأدية وظيفة تواصلية^(٦)، فعندما جعل النصّ سلسلة مُنح بذلك صفة التلاحم والانسجام، لا التفرقة والتشتت، كذلك جُمع فيه بين الشكل والمضمون والقصدية، فضلاً عن شموله المحكي الشفاهي والمكتوب، أمّا الدكتور سعد مصلوح فيُعرّف النصّ بأنّه: ((سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع - أو نماذج الجمل - الداخلة في تشكيله))^(٧).

وحدّدت (جوليا كريستيفا) النصّ بأنّه ((جهاز عبّر لساني يعيد توزيع نظام اللسان أو اللغة، بوساطة الربط بين كلام تواصلّي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من

(١) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ٢٩ / ١ .

(٢) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ٨١ .

(٣) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٠ .

(٤) ينظر: التحليل اللغوي للنصّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: ٣٦ .

(٥) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٠٢ .

(٦) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلم اللسان: ٥٣٣ .

(٧) العربية من نحو الجملة إلى نحو النصّ: ٤٠٧ .

الملحوظات السابقة عليه والمتزامنة معه^(١)، والنصّ نتيجة لذلك إنّما هو عملية إنتاجية، وهو يعني أمرين هما^(٢):

١. تصبح علاقته باللغة التي يتموقع فيها من قبيل إعادة توزيع عن (طريق التفكير وإعادة البناء) مما يجعله صالحًا؛ لأنه يعالج بمقولات منطقية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

٢. إنّ ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتفاى ملحوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى.

ويبدو واضحًا أنّ كريستيفا تنطلق من مفهوم التناص ((الذي يعني مجموعة من التضمينات التي تتمثل في الإحالات والقطاعات المتبادلة بين النصوص الحالية في النصّ الكامل))^(٣)، في تحديد مفهوم النصّ.

ومن هنا نعرف أنّ النصّ عندها يأتي بوصفه انجازًا شخصيًا يعيد التراكيب اللغوية ويوزعها توزيعًا جديدًا على وفق حاجته التعبيرية، ورؤيته الجمالية، ومن خلال هذه العملية الازدواجية (توزيع وبناء) يقوم النصّ بعملية احتواء بعض العناصر النصّية الغريبة عن جهازه اللغوي وإطارة المضموني ونسقه، وقد تنتمي هذه العناصر إلى ثقافات متباينة وأجناس أدبية مختلفة^(٤).

أمّا مفهوم النص عند (كلاوس برينكر) فهو ((وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه))^(٥)، وهذا ما جعل (برينكر) لا يكتفي بإدخال التماسك الدلالي في تعريف النصّ، وإنّما حاول أن يدخل عنصر التماسك التداولي (الاستعمال) أيضًا في تعريفه النصّ^(٦).

(١) علم النصّ، جوليا كرستيفا: ٢١، وينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٣٥، وبلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٢٢٩.

(٢) ينظر: علم النصّ، جوليا كرستيفا: ٢١، ومفهوم النصّ ومعايير نصية القرآن الكريم: ١٨١، ونحو النصّ، اتّجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٨.

(٣) نظرية النصّ: ٢٥٩.

(٤) ينظر: نظرية النصّ: ٢٥٦، وبلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٢٢٩.

(٥) التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: ٢٨.

(٦) ينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١١٠.

والتواصلية ليست الوظيفة الوحيدة للنص، وإنما على النص أن يتسم بوظائف أخرى، وهذا ما جعل (جون لاينز) يعترض على التعريف التقليدي للنص بكونه سلسلة من الجمل المتتابعة وظيفتها التواصل، ويرى أن هذا التعريف غير مرضٍ وعاجز عن توضيح ((الوحدات التي يتكون منها النص، سواءً أكانت جملاً أم غير جمل وليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها البعض في سلسلة، إنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط))^(١).

فالنص - وبحسب مفهوم لاينز - لا يكون نصاً إلا بوجود علاقات داخلية تنتظم فيها متواليات الجمل، وهذه العلاقات هي التماسك والترابط وعلاقات خارجية يحكمها السياق، وَيَخْلُصُ إلى أن كلاً من النص والسياق يتم كل منهما الآخر وتعدّ النصوص ((مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة))^(٢).

إذن من الملاحظ في هذه التعريفات أن النص يتحقق نتيجة سلوك لغوي، وتشير إلى أن مجال النص مفتوح، ومتنوع تمثيله، فقد يكون منطوقاً أو مكتوباً، قصيراً أو طويلاً، قديماً أو حديثاً، وأنه يتكون من ألفاظ مُنجزَة على وفق معطيات محددة.

ويلاحظ أن هذه التعريفات التي حاولت أن تقترب من مفهوم النص في الدراسات اللغوية تقوم على مفاهيم لا تخرج عن النظر إلى النص من جهة كونه منطوقاً أو مكتوباً، ومن جانب دلالي وتداولي ومقامي (سياقي) وتواصلية ووظيفي فضلاً عن تماسك أجزائه وترابطها، ويمكن اجترار معايير ترتبط بكل هذه الحثيات لتسهم في أن يكون النص مكتملاً^(٣).

(١) اللغة والمعنى والسياق: ٢١٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٢١٥ .

(٣) ينظر: علم اللغة النصي: ١ / ٢٨ و ٣٤ ، وفي البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٥ ، وعلم النص ونظرية الترجمة: ٤٩ - ٥١ ، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٦٦ - ١٦٧ .

وقد قسم الدكتور خالد حميد صبري التعريفات أو المفاهيم النصية في الدراسات الغربية على ثلاثة اتجاهات رئيسية^(١):

١. الاتجاه اللغوي الشكلي: وهو من الاتجاهات ذات الأصول البنيوية والتوليدية التي تجعل النظام اللغوي مجالاً لدراستهما، وغالباً ما ينظر هذا الاتجاه إلى النص من حيث حجمه، ويمثل هذا الاتجاه (بيتوفي) الذي نظر إلى النص على أنه ((وحدة لغوية متكونة من أكثر من جملة))^(٢)، وتبعه في ذلك (فايبرش) بقوله: ((النص وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، ...))^(٣).

٢. الاتجاه التواصلي التداولي: نشأ هذا الاتجاه في بداية السبعينيات، وينظر إلى النص انطلاقاً من بنيته الشكلية، النحوية والدلالية؛ لأنّ النص كما يرى أصحاب هذا الاتجاه لا يعدو أن يكون مزيجاً من اللغة يضعها الناص بطريقة تخدم معطيات السياق، بمعنى آخر أنه ينظر إلى النص بوصفه فعالية تواصلية تتكئ على اللغة، ولكن تتجاوزها إلى أطراف الفعالية المختلفة، ويمكن أن يُعد (هاليداي ورقية حسن) رائدي هذا الاتجاه، فقد نظرا إلى النص بوصفه وحدة لغوية في الاستعمال، وليس وحدة نحوية كالعبارة أو الجملة، ومن ثم فهو لا يحدد بحجمه^(٤).

٣. الاتجاه الوسطي: وقد تبني هذا الاتجاه (برينكر) الذي وقف موقفاً متوسطاً بين الاتجاهين اللغوي الشكلي، والتداولي التواصلي، فهو يختلف عن الفريق الأول بَعْدَهُ التواصل ركناً أساسياً في تحديد مفهوم النص، ويختلف عن الثاني في كونه لا يعتمد على التواصل وحده في تحديد النص، بغض النظر عن حجمه، فلسانيات النص -بحسب (برينكر)- تُعنى في المقام الأول بالنصوص التي تظهر فيها درجة أعلى من التعقيد، سواء من الناحية النحوية أم من الناحية الموضوعية^(٥).

(١) ينظر: اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة: ٥٤ - ٦٨ .

(٢) أصول تحليل الخطاب: ٨٣ / ١ .

(٣) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٤ .

(٤) ينظر: الإحالة دراسة نظرية: ٧١ .

(٥) ينظر: التحليل اللغوي للنص: ٢٨ .

٢. اللسانيات النصية في الدراسات العربية:

ثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات اللسانية الحديثة لمفهوم النص في الدراسة النصية يصل أحياناً حدّ التناقض والتقاطع، مع هذا تظل محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة للنص محاولة طموحة، ((فالوصف اللغوي للنص وصف مُعقّد يتجاوز حدود ما هو قائم في اللغة، والواقع اللغوي إلى ما هو غير قائم في اللغة الواقع الخارجي: أي إنّ المادة الفعلية التي تقدمها تراكيب اللغة ليست كافية لتقديم تفسيرات دقيقة للنصوص))^(١).

إنّ أهمّ ما جاء في الدراسات اللغوية العربية الحديثة تعريف الدكتور طه عبد الرحمن للنصّ بأنّه: ((كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات))^(٢)، ويبدو أنّ هذا التعريف من التعريفات المهمة التي تصب في صلب موضوع بحث اللسانيات النصية، بالتنقيب عن جمل مترابطة داخل أبنية تركيبية تسودها علاقات معينة سواء كانت داخلية أو خارجية.

وعمد الدكتور أبو زنيد إلى تتبّع مفهوم النصّ في الحقول التي عُنت به بدءاً بالمعاني المعجمية، حتّى آخر النظريات النصية، وقد حشد كثيراً من التعريفات للنصّ، ورتبها بحسب النظريات، فتوصل إلى مفهوم مفاده: ((فإنّ الذي أرتضيه له تعريفاً هو أنّ النصّ: نظام كلي ينطوي على أبعاد دلالية، ومحمولات معرفية تشكل وحدة تواصلية في فضاء نصّي مركب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغوية ومُعطيات إنجازية، خاضعة للدلالة العميقة المنتجة له، وإطار التلقّي المُفترض في مرحلة الإنتاج))^(٣).

ويعتمد المفهوم الذي قدّمه أبو زنيد النصّ في البحوث والدراسات الحديثة، وكأنّه خلص إلى تقديم مفهوم للنصّ حاول فيه صهر المعارف والنظريات اللسانية (التواصلية، والتوليدية، والتداولية) في بوتقة واحدة، فالحديث عن فضاءات النصّ والدلالات العميقة المنتجة للنصّ

(١) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٢٩، وينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ٩٣ .

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٣٥ .

(٣) نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية: ٣٠ .

وأطر تلقى النصّ، كلّ هذا يكشف عن البعد الأدبي الذي صدر عنه في استخلاصه لمفهوم النصّ.

ويطلعنا الدكتور مصطفى النحاس برؤيته، فيقول: ((نحو النص هو النحو الذي يتخذ من النص وحدته الكبرى للتحليل بعكس نحو الجملة، الذي يعد الجملة وحدته الكبرى للتحليل أو هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحوية وربطها بشبكة الدلالة في نحو النص))^(١).

ويوضح الدكتور سعد مصلوح مفهوم اللسانيات النصية بأنّها ((نمط من التحليل نو وسائل بحثية مركّبة، تمتدّ قدرتها الشخصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي تبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص، أو الخطاب بتمامه))^(٢).

ونختم تعريفات الباحثين في اللسانيات النصية، برؤية الدكتور صبحي إبراهيم الفقي، إذ يقول: ((هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حدّ سواء))^(٣).

إنّ هذا الترابط والارتباط بين كلمات النص عناصره وفقراته هو مهمّة اللسانيات؛ إذ إنّها ((مسؤولة عن تكوين سياق نصّي معيّن يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكلّ جملة في النص لا يمكن فهمها إلاّ عن طريق ترابطها بأخواتها في النص))^(٤).

ويضيف الدكتور صبحي إبراهيم الفقي منبّهًا إلى أثر الدراسة النصية وطبيعتها وعمل اللسانيات النصية ومهامه، فيقول: ((يمكننا ترتيب مهام علم اللغة النصي بصورة أخرى تتمثل في:

- (١) نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٤ .
- (٢) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص: ٤٠٧ .
- (٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٣٦ / ١ .
- (٤) نحو النصّ، اتّجاه جديد في الدرس النحويّ: ٩٧ .

أولاً: الإحصاء للأدوات والروابط التي تسهم في التحليل.

ثانياً: الوصف لشكل النص، وموضوعاته، والوصف لهذه الأدوات والروابط.

ثالثاً: التحليل بإبراز أثر هذه الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاعتناء بالسياق والتواصل^(١).

ولقد آثرنا أن ننهي حديثنا عن النصّ بتعريفٍ يكاد يكون أكثر دقة وشمولية للأجزاء المكوّنة للنصّ، فهو ((كيان لغوي متماسك الأجزاء مترابط الأفكار والأحداث، تحكم سطحه بنية عميقة، قد يتداخل في فضاءه ملفوظات أو وحدات نصية منقطعة على سبيل الاستدعاء من نصوص أخرى فيه))^(٢).

وتترأى لنا بعد هذه الدراسة مهمة اللسانيات النصية في وصف النص وتحليل تركيبية عناصره ومكوناته السطحية والمفهومية المعنوية، وتفسير شفرات النص عن طريق السياق الذي يزيل الغموض عنه، بإشراك المتلقي ومبدع النص وهي عملية ذات وشائج متصلة تقود إلى إزالة كل المعوقات عن فهم النص ووضوحه، فكل عالم لغوي نظّر له بحسب توجهه المعرفي واختصاصه، ولوح باستعماله الى ما وراء الجملة بواسطة تركيبية العلاقات بين الجمل وإضفاء صفة التواصل بين النص والمنتج والمتلقي.

وبذلك يرى الباحث أنّ النصّ ليس لغة مجردة ولا اتصال ولا كتابة، وليس تتابعاً لجمل مترابطة يراعى فيها الظروف الخارجية أحداثاً وزماناً ومكاناً، بل النصّ يتكون من كلّ ذلك وأكثر؛ لأنّه عملية إنتاجية مركبة داخل اللغة.

(١) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٥٦ .

(٢) العلاقات النصّية في لغة القرآن الكريم: ٢١ .

رابعاً: مفهوم اللسانيات الاجتماعية :

مثلت اللسانيات حين تأسيسها على يد دي سوسير حركة علمية نوعية في تناول الظاهرة اللغوية، الذي عُدَّ رائد المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية الحديثة؛ لتأثره بمذهب (دوركايم) الذي رأى أنَّ الظواهر الاجتماعية تنشأ خارج شعور الفرد بوصفها حقيقة موضوعية، تؤثر في الفرد، وتوجّه سلوكه وتفكيره، وشعوره خارج نطاق إرادته، وهذا ما أفاده دو سوسير؛ إذ عمل هذه النظرية على اللغة ودراستها، فشغلت -اللغة- حيزاً بارزاً في كافة الحقول المعرفية لمختلف أنواعها وغاياتها، شكلاً وتواصلاً، فهي في تطوّر دائم بسياقاتها المتعددة^(١)، مع الآخذ بالحسبان ملاحظة أنَّ علم اللسانيات من أهم الفروع العلمية التي لم تُعرف ثباتاً وتأسيساً علمياً، ونضجاً منهجياً واضحاً حتى الآن^(٢).

إن دراسة علم الاجتماع للدين كانت وما تزال جزءاً لا يتجزأ من المجهود العام الذي يقوم به الفلاسفة والعلماء والمؤرخون والنقاد لفهم الظاهرة الدينية، الأمر الذي جعلها تتم في إطار نظري أشمل يتجاوز خصوصيات الظاهرة وملاساتها إلى مستويات أخرى ذات أبعاد متعدّدة فلسفية وتاريخية وعلمية ...

فالدراسات الاجتماعية لكل ما هو ديني تمثل حلقة من حلقات البحث العلمي معناه الأوسع، ومن ثمّ تتجز في فضاء معرفي أشمل، وبالطبع فكل فضاء معرفي يقدم عدداً من التصورات العامة، كما يقدم عدداً من أدوات التحليل الخاصة، وما من شك في أنَّ التاريخ الحديث قد شهد ولادة أكثر من مدرسة نظرية حاولت أن تفهم الدين انطلاقاً من سياقاتها النظرية وأدواتها المنهجية أولاً، وانطلاقاً من خصوصيات الظاهرة الدينية بحسب الفترة التاريخية المحددة ثانياً؛ لذلك نلمس بوضوح تعدد الطروحات وتراكم التناولات مما جعل التراث العلمي في خصوص الدراسات الاجتماعية للظاهرة الدينية تراثاً متنوعاً تختلف نظرتة إلى الدين وجدواه من مدرسة إلى أخرى^(٣).

(١) ينظر: اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة: ٦١ .

(٢) ينظر: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية: ١٠٢ .

(٣) ينظر: علم الاجتماع الديني، المجال - المكاسب - التساؤلات: ١٥ .

وتُعنى اللسانيات الاجتماعية بتحليل وتفسير ((علاقة اللغة بالظاهرة الاجتماعية، أي دراسة اللغة أو العلاقات القائمة بين ما هو لساني وما هو اجتماعي، وتهدف اللسانيات الاجتماعية إلى الكشف عن القوانين أو المعايير الاجتماعية المحددة للسلوكات اللغوية))^(١)، فتمتاز تلك الدراسات بالسعة والتنوع؛ إذ يدخل في نطاقها دراسة المستوى الصوتي وعلاقته بالأوضاع الاجتماعية للجماعات البشرية، ويندرج تحتها دراسة الدلالة اللغوية ومظاهر تطورها^(٢)، فالذي جعله مجالاً ناجحاً هو عدم اقتصره على جانبه النظري الذي سلكه، بل من جانبه التطبيقي الذي انصبّ على الاكتشافات العلمية للغة في إطارها الاجتماعي^(٣).

خامساً: الخطاب الاجتماعي:

١. الخطاب الاجتماعي في اللغة والاصطلاح:

وردت كلمة الخطاب في ثلاث آيات من القرآن الكريم، وهي في اللغة مصدر (المفاعلة من خطب يخطب)، وهو بمعنى المراجعة والمشاورة، ومنه الخطبة التي تختص بالموعظة، والخطبة بطلب الزواج من المرأة، وفصل الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَا الْحَكِيمَ وَقَصَلِ الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٠)، ما ينفصل به الأمر من الخطاب^(٤).

وفي الاصطلاح: له عدة تعريفات، من أهمها: ((محادثة بين طرفين حول موضوع معين، يبدأها الأول بتوجيه الأفكار بشكل كلام له دلالات معينة إلى الطرف الآخر بهدف رد فعل معين من الآخر))^(٥)، والخطاب بهذا التعريف عامّ يشمل القرآني وغيره، والمراد بالخطاب القرآني هو: ((كلام الله الخالد المدون في المصحف الشريف، المتعبد بتلاوته المتوجه به إلى كل من يعقل ويفهم من المكلفين جميعاً من الإنس والجن باستثناء من كان طفلاً غير مميز أو

(١) علم اللغة الاجتماعي، د. هديسون: ٢٢ .

(٢) ينظر: علم الاجتماع اللغوي، د. علي شتا: ٢٨ ، واللغة العربية في إطارها الاجتماعي: ٥٢ .

(٣) ينظر: الأنثروبولوجيا اللغوية: ١٢٤ .

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (خطب): ١٩٨ / ٢ ، ولسان العرب، مادة (خطب): ١١١٤ ، وتاج العروس، مادة (خطب): ٣٧٦ / ٢ .

(٥) دراسة تطبيقية في الخطاب القرآني آفاق بيانية وصور بلاغية ودلالات: ١١ .

محنونًا أو نائمًا، عن طريق سيّد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، باعتباره خاتم الأنبياء والمرسلين، بصيغ الأمر أو النهي أو صيغة النداء أو الخبر أو الوصايا وغيرها، بقصد السمع والتنفيذ والطاعة لله ورسوله^(١).

والاجتماع في اللغة: مصدر باب (الافتعال)، وهو ضد الانفصال والافتراق، واجتمع القوم: انضم بعضهم إلى بعض، اتحدوا واتفقوا، كما سمّي يوم الجمعة بها لاجتماع العرب قبل الإسلام فيه، أو لجمع خلق آدم (عليه السلام)، أو اجتمع المسلمين لصلاة الجمعة في هذا اليوم^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، وجاء في المعجم الوسيط: ((يقال: رجل اجتماعي: مُزاول للحياة الاجتماعية، كثير المخالطة للناس))^(٣)، وعليها **فالمجتمع:** (جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة)^(٤).

والاجتماع في الاصطلاح: ينسجم مع المعنى اللغوي، فهو يدلّ على مجموعة من الأفراد الذين يعيشون مع بعضهم، وبينهم روابط ومصالح مشتركة، ويتبعون قوانين، وعادات وتقاليد، وأعراف واحدة، والمجتمع الإسلامي هو: ((الذي تميّز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، وينتمون لهذا المجتمع وإن كان من أقوام متعدّدة وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة وعادات موحدة))^(٥)، وهو يتشكّل من الأسرة التي هي: ((وحدة اجتماعية مكونة من أفراد تربطهم عوامل (بيولوجية) واحدة سواء أكان هؤلاء من جيل واحد كالإخوة، أم من أجيال متعاقبة كالأجداد والآباء والأحفاد، فالأسرة أصغر مجموعة منظمة من الأفراد))^(٦)، ومن القبيلة التي

(١) دراسة تطبيقية في الخطاب القرآني آفاق بيانية وصور بلاغية ودلالات: ١٢ .

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (جمع): ١ / ٤٨٠ ، ولسان العرب، مادة (جمع): ٨ / ٥٣ ،

(٣) المعجم الوسيط: ١ / ١٣٥ .

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١ / ٣٩٦ .

(٥) المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري: ١٧ .

(٦) أصول المجتمع الإسلامي: ٣٣ ، وللمزيد حول أصول المجتمع الإسلامي، ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

جعلها الله وسيلة وذريعة للتعارف، وقرره بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، وهكذا يكون الترابط بين أبناء قرية أو مدينة كبيرة كانت أو صغيرة، فكلها مجتمعات صغيرة داخل المجتمع الإسلامي.

وعلى هذا فعلم الاجتماع: ((علمٌ يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها، وطبيعتها، وقوانينها ونظمها))^(١).

ويهتم علم الاجتماع بدراسة الحياة الاجتماعية داخل المجتمعات الإنسانية، وما تضم بداخلها من أوجه التفاعل والتعبير، ويظهر ذلك في وجود الظواهر الاجتماعية.

٢. الخطاب الاجتماعي في القرآن الكريم:

يُعدّ الخطاب ممارسة اجتماعية لا تتفصل فيه اللغة عن الموقف، فهو ((نظام فكري يتضمن منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي بُغية تملكه معرفياً))^(٢)، ومن هنا يتخذ كل متكلم أسلوبًا خاصًا في صياغة خطابه، ويعتمد في ذلك على طبيعة المتلقي وكيفية إيصال الغاية من خطابه، فقد يصاغ الخطاب بأسلوب التوجيه، أو يميل إلى الزجر، أو النصّح، إذ ((تتباين صور الخطاب بتباين المؤسسات والممارسات الاجتماعية التي تصاغ فيها وتباين مواقف المتكلمين والمخاطبين))^(٣)؛ لأنّه يُعد من عمليات الاتصال وإنتاج المعنى بحسب الأبعاد المختلفة، ويهتم بمعالجة قضايا اجتماعية^(٤)، بوصفه أداة أداة مهمة يُعاد بوساطتها صياغة الواقع على أساس من الوعي الإنساني^(٥)، فالخطاب الاجتماعي ((جزء لا ينفصل عن أي فعل لغوي، وإن معنى كل تَلَفُظٍ يتضمن وضع المتكلم

(١) المعجم الوسيط: ١٣٥، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١ / ٣٩٤ .

(٢) تحليل الخطاب الشعري، تجليات التعبير وجماليات الصياغة: ١٤ .

(٣) الخطاب، سارة ميلز: ٢٣ .

(٤) ينظر: جمالية الخطاب في النصّ القرآني: ٧١ .

(٥) ينظر: لسانيات الخطاب وأنساب الثقافة: ٢٥٥ .

بوصفه ذاتاً اجتماعياً تتعكس على غيرها))^(١)، وللخطاب الاجتماعي أثر كبير في تنشئة النفس على الخلق القويم، إذ لا يخرج عن كونه ((وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب، ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء))^(٢).

بالرجوع إلى القرآن الكريم وتفحص آياته وسوره نجد أنها خصّصت لمعالجة واقع الجماعات البشرية، وتميّزت بالسعة والتكثيف والتركيز، إذ لا تكاد تخلو آية من آياته من عرض الوقائع التاريخية، ومناقشة أحوال الأمم السالفة، ويصدق القرآن الكريم بالأساليب التواصلية الفعّالة، التي تتنوع بحسب المقام والسياق؛ لأنّه يتوجه ((إلى وعي المُخاطب لتغيير شأنه وحاله والتأثير فيه وإقناعه بالمضمون الجديد والرسالة الجديدة، ويمتاز الخطاب القرآني عن الخطاب البشري، في أنّه خطاب رباني مُتعالٍ يحملُ وحيًا وإعجازًا وقُدسيّة نصّ يُتعبدُ به))^(٣).

يشغل مفهوم الخطاب الاجتماعي مساحات واسعة في القرآن الكريم، ويعني بها تلك التكاليفات القرآنية الموجهة إلى الجماعة ذات الهدف الواحد مركّزة على أثر الفرد وطبيعة علائقه مع نفسه ومع أسرته ومجتمعه، ومبيّنة حدود علاقة الجماعة مع جماعة أخرى في حدود ما أمر الله به ووفقاً لمقاصد كتابه، فيتناول العلاقات، والبنى، والأدوار، والنظم، والقيم وتطبيقاتها الأخلاقية بين الشخوص؛ لذا فإنّ فهم الخطاب الاجتماعي في القرآن الكريم، ليس مجرد تفسير لآيات قرآنية محددة؛ بل هو فهم لمنظومة المفاهيم المتعلقة بالاجتماع، وكيف يشكل القرآن تصوراً متسقاً يشمل كل ما يمكن أن يتصل بوصف الاجتماعي، وقد عرف أحد الباحثين الخطاب الاجتماعي في القرآن الكريم على أنّه " التصور القرآني لكل ما يتعلق بالاجتماع الإنساني ما بين مستوى العلاقات الفردية وتحت مستوى ما ينطبق عليهم مفهوم السياسة، فالإنسان الفرد بنفسه هو موضوع العلوم النفسية، في حين أن إدارة الجماعة الكبرى، مع سلطة الأمر والنهي والعقاب من موضوعات علم السياسة "

(١) جمالية الخطاب في النصّ القرآني: ٨١ .

(٢) وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية: ١٣٥ .

(٣) في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: ١٧ .

بعد أن أسس الإسلام المجتمع تأسيسًا مترابطًا مترنًا وضع جملة من الأسس التي من شأنها أن تعزز تماسك هذا المجتمع وترأب الصدع الذي قد ينخر هذه الوحدة ما يمتاز بالمنهج القرآني: التكامل في التشريع فهو إذ يعالج فكرة ما يعمل على معالجة جميع جوانبها، ضرورة الترابط المجتمعي بين الأفراد في المجتمع الإسلامي أرسى له ثوابت من شأنها ترسيخ هذا المبدأ، وجعله سمة مجتمعية.

تعدّ العقيدة الإسلامية بأركانها الإيمانية، والشريعة الإسلامية بشقيها العبادات والمعاملات، من أهم مقومات بناء المجتمع الإسلامي، ولا شك في أن لمثل هذه المقومات انعكاسات إيجابية على المجتمع تميزه وتسمو به عن غيره من المجتمعات، وتؤسس بذلك عوامل تربط بين أفراد مدعمة تلك العوامل بمنهجية خاصة من شأنها الإبقاء عليها.

دار الخطاب الاجتماعي القرآني على مرافق الحياة كلها، نحو: الزواج، والطلاق، والبيع، والشراء، والميراث، والأنساق الثقافية والأخلاقية والاجتماعية الأخرى، وغير ذلك مما يقوم على تسيير العلاقات بين أبناء المجتمع، وقد عولجت تلك الموضوعات برؤية إسلامية دينية نابعة من الأحكام الشرعية في القرآن الكريم لمكونات المجتمع التي تعد قواعد الخطاب، ويطلق على تلك الرؤية بـ(الخطاب الاجتماعي) الذي يعني المنطوقات المنحدرة نحو المعالجات الاجتماعية، وهي ذات منطلقات وقيم محددة تندرج فيها مقاصد اجتماعية وظيفتها بناء ذات الفرد باستيعاب تلك المبادئ والقيم التي يؤكد علم الاجتماع^(١)، وفي هذا التنبؤ انطلق مما قاله (فوكو) في إحدى مفاهيمه للخطاب ((نطلق مصطلح خطاب على مجموع الملفوظات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية واحدة))^(٢).

لقد دعا القرآن الكريم بخطابه الاجتماعي إلى التعاضد والتعاون وتفعيل التكافل المجتمعي؛ من أجل تعزيز قيم التعاطف والتضامن بين الناس، فحققت الآيات الاجتماعية التوازن في الحقوق، والواجبات بين أفراد المجتمع الإسلامي ككل، بالإضافة إلى تحقيق التكامل

(١) ينظر: الخطاب الاجتماعي في نهج البلاغة: ٢٨٨ .

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٤٠ .

بين الرجال والنساء الأمر الذي أدى إلى تحقيق الترابط والانسجام بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتقوية العلاقات بينهم.

هذا وقد عالج القرآن الكريم القضايا الاجتماعية بدءاً من أصغر وحدة كالفرد والعائلة وما يتعلق بها من وحدات، انتهاءً بأوسع المركبات الاجتماعية متمثلة في الدولة ومؤسساتها، وكذلك علاقة المجتمع الإسلامي مع غيره من المجتمعات الأخرى، والعلاقات العامة التي تنظم الحياة الاجتماعية مع الديانات الأخرى.

فمن ثوابت البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة، القبول بالنظام الاجتماعي القائم، مع محاولة اختراقه والتأثير فيه من خلال منظومة القيم الدينية التي يسعى القرآن الكريم إلى تكريسها، فالدين الإسلامي يهدف إلى توظيف كل المؤسسات والنظم القائمة لمصلحة المنظومة الاجتماعية، وعملية التوظيف هذه أساساً نوع من اضافة الأحكام الشرعية على الفرد والمجتمع.

أما مدى نجاح عملية التوظيف فيتوقف على درجة التزام ابناء الأمة تجاه الأحكام الشرعية، وتوظيفها بحسب خصائصها الاجتماعية، هنا بالتحديد يصبح الحكم الشرعي حكماً وظيفياً في سياق العملية الاجتماعية.

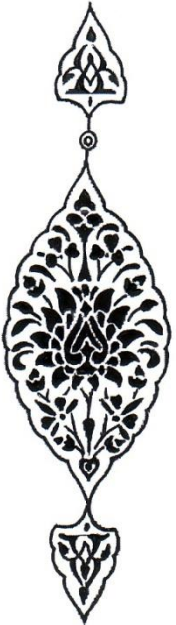
ومن أجل ذلك وضع القرآن الكريم مبادئ إنسانية تتوافق مع مقتضيات الفطرية، والأحكام العقلية السليمة؛ لبناء المجتمع الصالح الذي تسوده قيم الحق والعدالة، والأخلاق الفضيلة، فضلاً عن الأحكام الوجوبية التي من شأنها أن تدفع أبناء المجتمع المسلم إلى تجسيد هذا الهدف عملياً في واقعهم الاجتماعي؛ لتحقيق منافع عامة أهمها: أيجاد الاستقرار النفسي للأفراد، وتوفير الانسجام الاجتماعي فيما بينهم، ومن ثم تحقيق المساواة والعدل الاجتماعي بين مختلف الشرائح الاجتماعية.

الفصل الأول

الاتساق النصي في الآيات الاجتماعية

المبحث الأول: الاتساق النحوي

المبحث الثاني: الاتساق المعجمي



أولاً: الاتساق النصي:

الاتساق لغة: ذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) في مُعجمه: ((الوسوق ما دخل فيه الليل وما ضم ... وقد وسق الليل واتسق، وكلّ ما انضمّ، فقد اتسق))^(١)، وجاء في المقاييس (الواو والسين والقاف): كلمة تدل على حَمْل الشيء. وَوَسَقَتِ العَيْنُ الماءَ: حَمَلَتْه. قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (الانشقاق: ١٧)، أي جَمَعَ وَحَمَلَ^(٢).

والمتنبّع للمادّة المعجميّة (و س ق)، في المعجمات العربيّة يتبين له أنّ معانيها تنضوي حول الجمع، والضمّ، والانتظام، والاكتمال.

ثانياً: مفهوم الاتساق في التراث العربي:

لا شكّ في أنّ البحث في حدود المصطلح اللغويّ يستدعيّ الباحث إنعام النظر في ما صدر عن القدماء - من اللغويّين والبلاغيّين والمفسّرين - من مقولات أسهمت في الكشف عن ماهية المصطلح اللغويّ، لاسيما تماسك النصوص واتساقها، والقول بالنصّ أو غيره اللا نصّ؛ لأنّ الأمر في هذه الحال منوطٌ عندهم بالتماسك الشديد بين أجزائه.

وإنّ الحديث في علم النصّ من دون الرجوع إلى التراث اللغويّ القديم أمرٌ مجافٍ للصواب ((فالبداء من الصفر المنهجيّ في هذا المقام - مقام الدراسات النصّيّة - يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللسانيّ المتميّز، الذي هو نتاج قومٍ من أعلم الناس بفقّه اللغة العربيّة، وأسرار تركيبها، وذخائر تراثها))^(٣)؛ لذلك نجد النظريّة اللسانية العربيّة القديمة، شكّلت أصولاً وأساساً في الكثير من الدراسات اللسانية الحديثة لا سيما موضوعة البحث (اللسانيّات النصّيّة)، أو إنّ ملامحها كانت حاضرة - على شكل إشارات - في تلك الدراسات.

وإذا ما حوّلنا وجهة نظرنا إلى المفسّرين واللغويّين والنحويّين في التراث العربيّ القديم، أفينا لهم إشارات ومقولات لغويّة تعرب عن حدود المصطلح اللغويّ في حدود علم النصّ،

(١) لسان العرب، مادة (و س ق): ٤٣١ / ٥ .

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (وسق): ١٠٩ / ٦ .

(٣) العربيّة من نحو الجملة إلى نحو النصّ: ٤٢٣ .

كقولهم في الاتساق أو السبك، فعن طريق التأمل في نصوصهم نلاحظ أنّ أهمّ ما يميّز هذا النوع ارتباطه بالنظم النحويّ، فالجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) يقول: ((أجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغًا واحدًا، وسبك سبكا واحدًا فهو يجري في اللسان كما يجري الدهان))^(١)، وزاد في موضع آخر في باب المعاني قائلاً: ((والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربيّ، والقرويّ والبديويّ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك))^(٢)، فكلام الجاحظ زبدة موجزة لإحدى قضايا اللسانيّات النصّيّة، إذ إنه يُعطي للدارس الخيوط الأولى لمفهوم الاتساق (السبك) في اللسانيّات النصّيّة، فهو يستند في حكمه إلى معيار جودة السبك وصياغته، وهو بذلك يتجاوز حدود اللفظ المعجميّة إلى الصورة الكليّة التي تتضمّن حالة الصياغة^(٣)، يتّضح ممّا سبق الفهم الذي تمتّع به الجاحظ في تجاوز الجملة إلى أن تكون نصًّا ذا وشائج مترابطة.

ولم تبعد مدونة التراث النقديّ والبلاغيّ العربيّ عن مفهوم التماسك النصّيّ، فقد كان حاضرًا في أذهان النقاد القدماء، ويبدو ذلك جليًّا في قول أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): ((وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا وشرحًا))^(٤)، وذهب أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) إلى تعريف السبك بقوله: ((وأما السبك فهو أن تعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره))^(٥)، والبادي من قوليهما أنّ النقاد بصورة عامّة التفتوا إلى قضية التماسك النصّيّ، ولم يكونوا بمعزل عنها.

ونجد من البلاغيين القدامى من يتجاوز تحليل الجملة إلى فضاء النصّ، فعبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ) الذي تجاوز مفهوم اللفظ والجملة إلى مفهوم النصّ بوساطة نظريّة النظم القائمة على تحليل المعاني على وفق التراكيب النحويّة، فاللفظ المفرد لا يمكن أن

(١) البيان والتبيين: ٦٧ / ١ .

(٢) الحيوان: ١٣١/٣ - ١٣٢ ، وينظر: دلائل الإعجاز: ١٦٩ .

(٣) تفاعل اللفظ والمعنى عند العرب: ١١٩٥ .

(٤) كتاب الصناعتين: ١٦١ .

(٥) البديع في نقد الشعر: ١٦٣ .

يكون له قيمة معنوية إلا عن طريق النظم، وليس الغرض بنظم الكلم أن توات أفاظها في النطق، بل أن تتاسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، فما النظم إلا أن تقتضي في نظم الكلمات آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس^(١)، فالنظم يُعنى بالعلاقات الداخلية بين الجمل.

ويصف تمام حسان تلك النظرية الرائدة بقوله: ((وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب، وإنما كان التعليق، وقد قصد به إنشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمّى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية))^(٢).

وناقش عبد القاهر الجرجاني كذلك واحدة من أهم القضايا التي تناولها نحو النص، التي يعدها علماء النص من وسائل التماسك النصي، ألا وهي قضية الفصل والوصل، إذ يقول فيها: ((إن العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ... وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها فقال: (معرفة الفصل من الوصل)؛ ذلك لغموضه ودقة مسلكه))^(٣)، فالفصل والوصل من القضايا التي نالت حظوة مهمة في الدرس البلاغي بل يمكن عدّهما من أعظم الثنائيات التركيبية في الدرس البلاغي العربي.

أما المفسرون فقد تنبهوا كثيرًا إلى قضايا التماسك النصي، وما يتعلّق بالاتساق (السبك) كأسرار التكرار، وعود الضمير، والحذف ... وبرز في ذلك الكم الكثير من كتب التفاسير وعلوم القرآن، فذكر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في تفسيره لقوله تعالى: "وغرابيب سود" فالغرابيب جمع غريب ويسمى غراب؛ لأنّ لونه غريب، وذكر لفظة السود؛ لأنّه بذكر

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٤٢ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٢ .

السواد وتقديم "الغرابيب" كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام فوق حظّ المعنى في زيادة الوصف، فوق الالتئام واتّسق نسق النظام، وجاء اللفظ والمعنى في درجة التّمَام^(١).

والسيوطي (ت ٩١١هـ) في معرض حديثه عن الإعجاز القرآني يقول: ((فالوجه الثالث من وجوه إعجازه، حُسْنُ تأليفه، والتّئام كلمه، وفصاحتها... والوجه الرابع .. مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض، حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني، منتظمة المباني))^(٢).

ثالثاً: مفهوم الاتساق في الدراسات الحديثة (Chohesion):

الاتساق واحد من المعايير المهمّة في اللسانيّات النصّية التي وضعها (دي بوجراند) في معرفة تماسك النصّ، فاحتلّ بذلك موقعاً بارزاً ومحورياً في كلّ الدراسات التي تناولت لسانیّات النصّ وتحليل الخطاب، فقد شغل فكر الباحثين في بيان أهمّيته وأدواته في ترابط النصّ وتماسكه، إذ يصفه (كارتر) بأنّه ناتج عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصّية^(٣)، لذلك اهتمّ علماء لغة النصّ بهذا المعيار الذي أطلق عليه (دي بوجراند) مصطلح (Chohesion)^(٤) هذا المصطلح الذي عرّب إلى اللغة العربيّة عدّة بمعانٍ منها: الاتساق عند محمّد خطّابي، وفريد عوض حيدر، على حين جاء بمعنى السبك عند: تّمَام حسان، وأحمد عفيفي، وجميل عبد المجيد، وحسام أحمد فرج، وسعد مصلوح، إلّا أنّ إلهام أبو غزالة وعليّ خليل حمدي اختارا مصطلح التضام، وذهب سعيد البحيري إلى تسميته بالربط

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٢) معترك الأقران: ١ / ٢٣ - ٤٣ .

(٣) ينظر: المصطلحات الأساسيّة في لسانیّات النصّ وتحليل الخطاب: ٨١ .

(٤) ينظر: النصّ والخطاب والإجزاء: ١٠٣ ، ولسانیّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١١ ، واتّساق النصّ في سورة الكهف: ١٣ ، ونحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ٧٥ ، والبديع بين البلاغة العربيّة واللسانیّات النصّية: ٧٧ ، ونظريّة علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٧٨ ، ونحو إجرومية للنصّ الشعري: ١٥٤ ، ومدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٧١ ، وعلم لغة النصّ، المفاهيم والاتّجاهات: ١٢٣ .

النحويّ، وغيرها من الترجمات، ويرجع عدم استقرار المصطلح اللسانيّ الوافد من الغرب إلى الدراسات العربيّة في الغالب إلى إشكالية تلقّي هذه العلوم، التي تمثّلت في مظاهر منها: تعدّد المصطلح اللسانيّ، واضطراب المفهوم الاصطلاحيّ المترجم وازدواجيّته^(١)، وبالرغم من تعدّد المصطلحات إلا أنّها تنضوي تحت مفهوم واحد تصبّ في تماسك الشكل الظاهريّ للنصّ.

وأمام هذا الحشد من الترجمات للمصطلح وقع الاختيار على مصطلح الاتساق؛ لأنّه مفهوم يتأسس على العلاقات والروابط التي تشكّل بنية النصّ، أو ما يجعل شكل النصّ مترابطاً ترابطاً يفضي أوله إلى آخره^(٢)، فضلاً عن أنّه الأكثر شيوعاً من بين المصطلحات الأخرى في الدراسات النصّية الحديثة.

ويتضمّن مفهوم الاتساق الترابط النحويّ بين أجزاء النصّ ((وهو يترتّب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي منها السابق إلى اللاحق بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفيّ بحيث يمكن استعادة هذا الترابط))^(٣)، وبهذا ينظر إلى الاتساق على أنّه علاقة نحويّة تركيبية تقتصر على البنية السطحيّة للنصّ، أي على العلاقات النحويّة والوسائل الرابطة لأجزاء النصّ.

وذهب محمّد خطابيّ في تعريفه للاتساق إلى أنّه ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغويّة (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته))^(٤)، ويرى أحمد عفيفيّ بأنّه ((معيار يهتمّ بظاهر النصّ ودراسة الوسائل التي تحقّق له خاصية الاستمرار اللفظي))^(٥).

(١) ينظر: المصطلح اللسانيّ وإشكالات التلقي العربيّ: ٨٠ .

(٢) لسانيات النصّ، النظرية والتطبيق: ٢٧ .

(٣) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣ .

(٤) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥ .

(٥) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ٩٠ .

ولم يأنَّ سعد مصلوح عن هذا التعريف، فهو يرى أنَّ الاتساق يختصُّ ((بالوسائل التي تتحقَّق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النصِّ، أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطُّها أو نراها كما هي كم متَّصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعضٍ تبعاً للمباني النحوية ... ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو "الاعتماد النحوي")^(١).

فضلاً عن الدور النحوي الذي يؤدِّيه الاتساق في النصِّ، هناك دور دلاليّ آخر، يبدو واضحاً في تعريف (هاليداي ورقية حسن) للاتساق؛ إذ يريانِ ((أنَّ مفهوم الاتساق مفهوم دلاليّ؛ أي إنَّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النصِّ، والتي تحدده كمنص ... وأن الاتساق يبرز في تلك المواضع التي يتعلَّق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر. يفترض كلٌّ منهما الآخر مسبقاً، إذ لا يمكن أن يحلَّ الثاني بالرجوع إلى الأوَّل، وعندما يحدث هذا تتأسَّس علاقة اتساق))^(٢)، فمن وجهة نظرهما أنَّ الاتساق لا يتمُّ في المستوى الدلاليّ حسب، وإنَّما يكون أيضاً في مستويات أخرى كالنحو والمعجم^(٣)، بما يعني أنَّ السمات الشكلية في النصِّ تحدِّد ((البنى الدلالية والتركيبية التي تربط الجمل على نحو مباشر بعضها ببعض من دون الرجوع إلى المستوى الأعلى للتحليل، أي مستوى البنية الكبرى، فيتحقَّق الربط عن طريق علاقات دلالية أساسية، إذ يعتمد تفسير أحد العناصر في النصِّ على العنصر الآخر؛ لهذا قد يقع الربط داخل الجملة أو بين الجمل))^(٤)، وقدَّم (هاليداي ورقية حسن) خمسة أنواع لأدوات الربط (الاتساق) تكوّن شبكة من العلاقات

(١) ويقصد بالاعتماد النحوي: أنه يحمل صفة النحوية على أوسع مدلولاتها، أي على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، ويتحقَّق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع، وهي: ١. الاعتماد في الجملة. ٢. الاعتماد فيما بين الجمل. ٣. الاعتماد بين الفقرة أو المقطوعة. ٤. الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات. ٥. الاعتماد في جملة النصِّ. ينظر: نحو أجزومية للنصِّ الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية: ١٥٤.

(٢) لسانيات النصِّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥.

(٤) علم لغة النصِّ النظرية والتطبيق: ٩٩.

الدلالية تربط الجمل بعضها ببعض أو الفقرات أو وحدات الخطاب وتسهم في خلق النصية وهي^(١):

١. الإحالة: وتتضمن (ضمائر الإحالة الشخصية، والإشارية).
٢. الاستبدال: ويتضمن (الاستبدال الاسمي، والفعلية، والقولية).
٣. الحذف: ويشمل (الحذف الاسمي، والفعلية، والحرفية، والجملي).
٤. الوصل: ويضم (الوصل الإضافي، والعكسي، والزمني، والسببي).

ويؤكد الدكتور إبراهيم خليل هذا بقوله: ((لن يكون -أي الاتساق- موجوداً في النص إلا إذا توافر على الآليات التي تجمع النصّ عموماً، التي يقسمها (فان دايك) على مجموعتين: إحداهما مجموعة الروابط المنطقية، وبعضها طبيعي ينبع من طبيعة التركيب اللغوي^(٢))).

يُلاحظ أنّ الاتساق شرط ضروري لتحديد النصّ من اللا نصّ؛ لارتباطه بالوسائل والروابط الصورية (الشكلية) السطحية، وتحدّد مهمته في توفير عناصر الالتحام وتحقيق الترابط من بداية النصّ إلى نهايته؛ من أجل أن يكون نصّاً متماسكاً، بمعنى إذا توافرت وسائله كان المقطع اللغوي كلاً موحّداً، وإذا افتقر إلى تلك العناصر التي تميّزه تحوّل إلى جمل غير مترابطة، ومن ثمّ يفقد مقومات وجوده بوصفه نصّاً متناسقاً، فمصطلح الاتساق ينهض على مستويات مختلفة تتداخل بموجب الدلالة، إذ يمثّل دعامة أساسية من دعائم الدرس النصّي^(٣).

ومعنى هذا كلّه أنّ الاتساق يعد عاملاً من عوامل استقرار النصّ ورسوخه، وتكمن أهميته في عدم تشتت الدلالات الواردة في الجمل، المكوّنة له^(٤)، فأثر الاتساق يبرز على النصّ عبر مجموعة من الروابط اللفظية، والعناصر النحوية التي تعمل على تلاحم مكوناته

(١) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٠١ .

(٢) في اللسانيات ونحو النصّ: ١٨٧ .

(٣) ينظر: نحوية الاتساق لقصيدة النثر (رسالة ماجستير): ٤٦ .

(٤) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ٧٤/١ .

النصية، مما يؤدي إلى التأثير في المُتلقي بتواصله وتفاعله مع النصّ، فينتج عن ذلك فهم النصّ، وبيان دلالاته^(١).

فهو يساعد القارئ على فهم النصّ في هدي متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر النصّ التي تمكنه من ملء الفجوات، أو المعلومات الضرورية الكامنة ما بين السطور^(٢) في إبراز الوسائل اللغوية والنحوية والدلالية التي تربط مكونات سطح النصّ في تتابع أفقيّ تُظهر التماسك النصّي وتوضح دلالاته.

رابعاً: وسائل الاتساق النصّي:

إن أبرز من اهتمّ بوسائل الاتساق النصّي هما العالمان (هاليداي ورقية حسن) فقسّما العناصر الأساسية التي تسهم في تماسك النصّ على قسمين^(٣):

القسم الأول: الاتساق النحويّ: ويضمّ (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل).

القسم الآخر: الاتساق المعجمي: ويضمّ (التكرار، والتضام)، ممّا يؤخذ عليهما عدم إشارتهما إلى الاتساق الصوتي، فقد تناولاها بما يتواءم مع معطيات السياق في التحليل والتوصيل.

(١) ينظر: أثر القرائن العلائقية في اتساق النصّ في نهج البلاغة: ٣٥ .

(٢) ينظر: نظرية علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٨٠ .

(٣) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام النصّ: ١٦ - ٢٥ ، والاتساق في الانكليزية: ٣١ - ٢٩٢ .

المبحث الأول الاتساق النحوي

هو مظهر من مظاهر الاتساق النصي يساهم مساهمة كبيرة في تحقيق وحدة النص واستمراره، ويتمثل بوجود طائفة من الأدوات الطافية على سطح النص التي من شأنها تحقيق الاتساق النصي يُطلق عليها البنى الصغرى المؤلفة للنص، ويتجلى هذا النوع من الاتساق بظواهر نحوية عديدة قد تدارسها علماءنا القدامى ووقفوا عندها طويلاً، وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف والوصل^(١).

أولاً: الإحالة:

الإحالة لغة: كلمة الإحالة في اللغة العربية مُشتقة من الجذر اللغوي (ح و ل)، جاء في مقاييس اللغة: ((الحاء والواو واللام أصل واحد، وهو تحرك في دور، فالحول العام، ... يُقال: حَالَ الرَّجُلُ فِي مَتْنٍ فَرَسَهُ يَحُولُ حَوْلًا وَحَوْلًا، إِذَا وَثَبَ عَلَيْهِ، وَأَحَالَ أَيضًا، وَحَالَ الشَّخْصَ يَحُولُ، إِذَا تَحَرَّكَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُتَحَوِّلٍ عَنْ حَالِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ اسْتَحَلَّتْ الشَّخْصَ، أَي نَظَرْتُ هَلْ يَتَحَرَّكُ))^(٢)، فالمعاني التي تدور حولها المادة اللغوية أَحَالَ: هي التغير والتحول ونقل الشيء إلى شيء آخر.

الإحالة اصطلاحاً:

تُعدّ الإحالة واحدة من أهمّ وسائل الاتساق في النصّ، إذ أكثر الباحثون الحديث منها، وأسهبوا في شرح عناصرها؛ بوصفها أبرز أداة مؤثرة تساهم بأثر كبير في تماسك النصّ، فقد أكّد (فان دايك) على ضرورة دراستها في إطار لسانيات النصّ^(٣)؛ لحضورها في كلّ لغة طبيعية تتضمّن عناصر تملك خاصية الإحالة^(٤)، وتُسمّى أيضاً بـ(العناصر الإشارية)؛ إذ تختصّ بها الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة بنفسها، بل تعود على عنصر أو عناصر

(١) ينظر: الاتساق في نهج البلاغة، (رسالة ماجستير): ٨٧ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (حول): ١٢١ / ٢ .

(٣) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ٩٩ .

(٤) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧ .

أخر من النصّ، فشرط وجودها هو النصّ، فهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، و ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر^(١)؛ إذ تعمل هذه الألفاظ على ((تشكيل وحدة النصّ وانتظام العناصر المكونة لعالم النصّ))^(٢).

ويرى (دي بوجراند) أنّ الإحالة هي: ((العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))^(٣)، وقد جاء تعريفه هذا ضمن تحديده لمفهوم الإحالة القائم على العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها ثمّ علاقتها معاً بالعالم الخارجي، فهي هنا - أعني الإحالة - لا تخضع لقيود نحويّة، وإنّما تخضع لقيود دلاليّة، أي يجب المطابقة في الخصائص الدلاليّة بين العنصر المُحيل والمُحال إليه^(٤)، إذ ((يتّصل النصّ الممتلك للعناصر الإحاليّة بعنصرين ضروريين مُحال ومُحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذاً داخل النصّ))^(٥)، فالنصّ لا يكون مفيداً إذا كان مجتمعاً بعضه مع بعضه الآخر من دون ترابط^(٦)، فتقوم الإحالة بمدّ شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النصّ، فتجتمع عناصره مشكلة كلاً واحداً^(٧).

وذهب الدكتور عفيفي إلى أنّها ((علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم))^(٨)، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبّاس الأوسّي في أثناء حديثه عن الإحالة إذ عرفها بأنّها ((علاقات بين عناصر السياق اللغويّ بمستويه الشكليّ والدلاليّ على مستوى الجملة والنصّ بأسره وارتباط تلك العناصر

(١) ينظر: نسيج النصّ: ١١٨ .

(٢) نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٠٦ .

(٣) النصّ والخطاب والإجزاء: ١٧٢ .

(٤) ينظر: لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧ .

(٥) تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام: ٤٥ .

(٦) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٨٧ .

(٧) يُنظر: نسيج النصّ: ١٢١، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٢٠، ونظرية علم النصّ، رؤية منهجية في

في بناء النصّ النثري: ٨٤-٨٥ .

(٨) الإحالة في نحو النصّ: ١٢-١٣ .

بالعالم الخارجي فيرتبطان ارتباطاً سببياً، قصد المنشئ بها تماسك النصّ واتساقه^(١)، ونفهم ممّا سبق أنّهما - عفيفيّ والأوسيّ - لم يغفلا ترابط الألفاظ تبعاً للمعاني والمواقف، كما لم يغفلا دور المتكلم في استعماله للألفاظ المحيلة.

وطرح (جون لاينز) المفهوم الدلالي للإحالة، فهو يرى أنّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالية^(٢)، إلّا أنّ (براون ويول) يعدّان هذا المفهوم مجافٍ للصواب؛ لأنّه يهمل مستعمل اللغة، ونظراً إلى الإحالة بوصفها عملاً يقوم به المتكلم، كما جاء في تعريفهما ((في تحليل الخطاب ينظر إلى الإحالة على كونها عملاً يقوم به المتكلم أو الكاتب))^(٣)، وفي موضع آخر أشارا إلى نجاح عملية الإحالة يعتمد على قدرة المستمع في التعرف على المسمّى الذي قصده المتكلم باستعمال العبارة المحيلة، وذلك لفهم النصّ اللغويّ الموجهة إليه^(٤)، إذ يُلاحظ أنّ كلّ من براون ويول لم يهمل دور المستمع في فهم النصّ الموجه إليه.

إلّا أنّ (جون لاينز) تدارك هذا النقص فيما بعد وأعطى المتكلم مزية الإحالة وخرج بتعريف آخر مفاده ((العلاقة بين الكلمات وبين الأشياء والأحداث والأفعال والصفات التي تشير إليها))^(٥).

في حين ذهب الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى استعمال مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً بوصف ((العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.. وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة))^(٦)، وواضح جليّاً من هذا التعريف أنّ الباحثين حصراً وحدداً في

(١) الإحالة في القرآن الكريم: ١٧ .

(٢) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١١٦ ، ولسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧

١٧

(٣) تحليل الخطاب: ٣٦ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٦ .

(٥) علم الدلالة، جون لاينز: ٤٣ ، ونحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١١٦ ، ولسانيات النصّ، مدخل

مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧ .

(٦) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧ .

هذا التعريف صور العناصر الإحاليّة، وهي المذكورة آنفًا، وهذا يعني أن يشمل اللاحق على ما يشير إلى السابق وذلك بالإضمار عنه أو بالإشارة إليه أو وصفه بموصول.

وهناك عناصر لغويّة تتوفّر في الإحالة يمكن تسميتها بالعناصر المحيلة، ولأنّها غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل نلجأ إلى ما تشير إليه لغرض تأويلها وفهم المراد منها، تلك العناصر يمكن تحديدها وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والمعروف أنّ تلك الكلمات لها علاقة بعناصر أخر مذكورة في أجزاء أخر من النصّ، فيتحقّق التماسك بواسطة الإحالة عند استرجاع المعنى، وهذا بدوره يحقّق الاقتصاد اللغويّ الذي يختصر الوحدات الإحاليّة، كما يجنب مستعملها التكرار، وفي الوقت ذاته تُحقّق الاستمراريّة عن طريق حفظ المحتوى في المخزون الفعّال من دون الحاجة إلى التصريح به مرّة أخرى^(١)، كذلك أشار الدكتور نعمان بوقرة لتلك العناصر عند تعريفه للإحالة بقوله: ((العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدّمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على اسم لاحق بدلًا من تكرار الاسم نفسه))^(٢)، فالضمير مثلا إذا أحال على اسم ما فإنّه يكتسب تأويله من الاسم الذي أحال إليه، وكذا أسماء الإشارة وسائر أدوات الإحالة^(٣).

ويتّضح من التعريفات المتقدّمة أنّ الإحالة هي عودة اللفظ المحيل إلى ما يُفسّره ممّا يؤدّي إلى تماسك النصّ.

(١) ينظر: نظريّة علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٨٣ - ٨٤ .

(٢) المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: ٨١ .

(٣) ينظر: الاتساق في العربيّة: ٥٣ .

وتتقسم الإحالة على نوعين أساسيين:

النوع الأول: الإحالة الداخلية (النصية): وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة داخل النصّ سابقة كانت أم لاحقة^(١)، وهي الأكثر ورودًا في النصوص، ولها الأثر الفعّال في تماسك النصّ سواء كانت الإحالة على مفرد أو جملة أو مقطع، وهي على نوعين:

١. **إحالة قبلية (سابقة):** وهي عودة العنصر المحيل على عنصر سبقه داخل النصّ، وتسمّى (الإضمار بالذکر)^(٢)، ولها صور عدّة منها: (الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة).

٢. **إحالة بعدية (لاحقة):** وهي عودة العنصر المحيل على عنصر يأتي بعده داخل النصّ، وهي بذلك تثير ذهن المتلقّي الذي يعمل جاهدًا بالبحث عن المرجع (المحال عليه)، وليس من المستحسن أن تجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة^(٣)، بمعنى إنّه كلما اقتربت المسافة بين اللفظ المحيل والمُحال عليه تيسّر لنا فهم الإحالة وبالعكس، مع ملاحظة أنّ هذه الإحالة قليلة الاستعمال، ويُستعمل فيها ضمير الشأن وأسماء الإشارة.

والنوع الآخر: الإحالة الخارجية (المقامية): وهي إحالة على خارج النصّ تعتمد على معرفة سياق الموقف (الحال) أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنصّ للتمكن من معرفة المحال عليه عبر الظروف والملابسات المحيطة بالنصّ؛ لذلك سميت بالإحالة المقامية^(٤).

ويعرّفها الأزهر الزناد بقوله: ((وهي إحالة عنصر لغويّ إحاليّ على عنصر إشاريّ (غير لغويّ) موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغويّ إحاليّ بعنصر إشاريّ غير لغويّ هو ذات المتكلم. ويمكن أن يشير عنصر لغويّ إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملًا إذ يمثل كائنًا أو مرجعًا

(١) ينظر: نسيج النصّ: ١١٨ .

(٢) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ٣٠١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٧ .

(٤) ينظر: الإحالة في شعر أدونيس: ٨٢ .

مستقلاً بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه^(١)، أي تحيل إلى عنصر غير مذكور في بنية النصّ يمكن التعرف عليه من خلال السياق.

ويرى بعض الباحثين^(٢) أنّ الإحالة المقامية لا تسهم في اتّساق البنية أو الهيئة الشكلية للنصّ؛ لما يتطلبه الاتّساق من مفهوم تركيبى قوامه العلاقة الشكلية الموجودة بين متواليات النصّ^(٣)؛ إلّا أنّها تسهم في إنتاج النصّ؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام.

والبحث يرى أنّ إقصاء دور هذه الإحالة في تماسك النصّ يعيق من قدرة المتلقّي على تفسير ما يجري حول النصّ من أحداث ومواقف، فالتفاعل مطلوب بين النصّ ومتلقيه وربطهما بالسياق الخارجيّ عن طريق (معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)، إلّا أنّها ترتبط بأنواع محدّدة من النصوص، وتحتاج أحياناً إلى جهد أكبر للكشف عنها^(٤).

وسيرجى الحديث فيها إلى مبحث المقامية في الفصل الثالث؛ لأنّه يتعلّق به بدرجة كبيرة؛ لذلك سنركز على الإحالة النصّية الداخليّة في هذا الفصل لما لها من أثر في الاتّساق الشكليّ للنصّ وتماسك أجزائه.

وتنقسم الإحالة بحسب المسافة بين العنصر المحيل والعنصر المُحال إليه على:

١. إحالة ذات المدى القريب: وهي الإحالة التي تقع بين العنصر المحيل والعنصر المُحال إليه على مستوى الجملة.

٢. إحالة ذات المدى البعيد: وهي الإحالة التي يفصل بين العنصر المحيل والعنصر المُحال إليه بفواصل طويلة وتكون بين الجمل المتباعدة في فضاء النصّ^(٥).

ثمّ أصبح مفهوم الإحالة يتركز في عناصرها الأساسيّة وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

(١) نسيج النصّ: ١١٩ .

(٢) ينظر: الاتّساق في الإنكليزية: ٣٧ ، وتحليل الخطاب: ٢٣٠ .

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحويّة العربيّة: ١ / ١٢٧ ، وقضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: ٦٠ .

(٤) ينظر: الترابط النصّي بين الشعر والنثر: ٤٣ - ٤٤ .

(٥) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١٢٠ ، والخطاب السياسي في القرآن الكريم: ٣١ .

أدوات الإحالة:

١. الإحالة بالضمائر:

إنَّ عملية ربط الكلام بعبءه ببعض يحتاج إلى جملة من الأدوات، ومن بينها الضمير الذي يستعمل مساحة ليست بقليلة في تماسك الكلام وربط أجزائه، ومن هنا جاء اهتمام النحويين به، فلا يكاد يخلو كتاب أو أي عمل نحويّ منه، إذ إنَّه يمثّل بؤرة النصّ.

الضمائر: جمع ضمير، والضمير: هو السرّ، والشئ الذي تضمّره في قلبك، والضمير والمضمّر بمعنى واحد، من أضمّرتُ الشئ أخفيته^(١)، وهي من أحد أهمّ المعارف في العربيّة، ففي الكتاب قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): ((وإنّما صار الإضمّار معرفة. لأنّك تُضمّر اسماً بعد ما تعلم أنّ من يُحدّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنّك تريد شيئاً يعلمه))^(٢)، وأكّد ذلك أيضاً ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، بقوله: ((المُضمّر، وهو ضربٌ من الكناية فكلّ مضمّر كناية، وليس كلّ كناية مضمراً. وإنّما صارت المضمّرات معارف؛ لأنّك لا تُضمّر الاسم إلّا وقد علم السامعُ على من يعود، فلا تقول: "ضربته"، ولا "مررت به" حتّى يعرفه، ويدري من هو))^(٣).

ومنّ المعروف في الدراسات العربيّة القديمة -النحويّة والبلاغيّة- أنّ الوظيفة الأساسيّة للضمير هي الربط والاختصار وعدم التكرار، وهذا ما نراه جليّاً في قول الرضيّ (ت ٦٨٦هـ): ((وإنّما احتاجت إلى الضمير؛ لأنّ الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير))^(٤)، فعلاقة الربط عودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدّي إلى تماسك أطراف الجملة^(٥).

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (ضمّر): ٤٩٢ .

(٢) الكتاب: ٦ / ٢ .

(٣) شرح المفصل: ٣ / ٣٤٨ .

(٤) شرح الرضيّ على الكافية: ١ / ٢٣٨ .

(٥) ينظر: اللغة العربيّة معناها ومبناها: ١١٣ .

وفي الدراسات النصية الحديثة عدّ (هارفج) الإحالة الضميرية شرطاً مهماً وأساسياً في تماسك النصوص^(١)، لما تؤديه من دور رئيس وفعل في بيان دلالتها، وأشار بروان ويول في كتابهما تحليل الخطاب بأنّ الضمائر ((أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة إلى كيانات معطاة))^(٢)، ووصفها دي بوجراند بأنّها ((أشهر العناصر الإحالية))^(٣)، فهي عناصر لغوية تحتاج إلى مفسر تعود عليه، يوضحها ويكشف مدلولها.

فالضمير وسيلة من وسائل الاختصار والإيجاز في الكلام؛ إذ يحلّ محلّ الظاهر المحدّد، وتسهم في تلاحم النصّ شكلاً ومضموناً، ويستبدل عنصر لغويّ بعنصر آخر، بحيث يكون العنصر المُستبدل عنصراً عامّاً تجب المطابقة بينه وبين العنصر المحال إليه^(٤)، ويحصل الاختصار عندما يطمئن المتكلم على قدرة المُتلقي على فهم المُختصر، فهي تحدّد مرجعية الضمير إذا كانت خارجية أم داخلية، وكذلك تسهم في عدم إعادة وتكرار الأسماء ممّا يحقّق الإيجاز في الكلام وتساعد على تكوين النصّ، بمتعة ولذة فنيّة.

وتكشف النظرة العامة لهذه الدراسة أنّ الضمائر تسهم بشكل كبير في عملية التماسك النصّي، فتقوم بأكثر أدوار الإحالة، سواء من الناحية الشكلية أو الدلالية، والمقامية أو المقالية، والقبلية أو البعدية، وتكتسب هذه الأهمية ((بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحيل ضمير محلّ كلمة أو عبارة أو جملة أو عدّة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحدّ، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النصّ المختلفة))^(٥)، فهي مع غيرها من أدوات الاتساق تكوّن نسيجاً نصياً عالياً^(٦)، ومعنى هذا أنّ الضمير لا يقتصر يقتصر دوره على الوظائف الشكلية فقط، بل يؤدي وظائف دلالية أيضاً فمن دونه تبقى

(١) مدخل إلى علم لغة النصّ، فولفجانج هاينه مان، وديتر فيهفجر: ٢٣ .

(٢) تحليل الخطاب: ٢٥٦ .

(٣) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٢١ .

(٤) ينظر: نحو النصّ، نقد النظرية وبناء أخرى: ١٧٢ .

(٥) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١ / ١٣٧ .

(٦) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١ / ١٦٢ .

الجمل متناثرة لا رابط بينها، فالضمير بمثابة الجسر الذي يوصل بين المتناثرات^(١)، ويتسع مداه ليشمل النصّ كله.

ومن جانب آخر تصنّف الضمائر إلى: ظاهرة ومستترة، والظاهرة إلى: متصلة ومنفصلة، ومن حيث المدلول تصنف إلى: غيبة وحضور، ومن حيث الجنس تصنف إلى: مذكر ومؤنث ومشترك، ومن حيث العدد إلى: مفرد ومثنى وجمع.

وفي الدرس النصّي قسّمها العلماء على قسمين:

١. الضمائر الوجوديّة، نحو: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هن، ... الخ.

٢. الضمائر الملكية، نحو: كتابي، كتابك، كتابنا، ... الخ^(٢).

وكلاهما ينقسم على: ضمائر للمتكلّم وللمخاطب وللغائب، فيكون اهتمام الدراسات النصّيّة على ضمائر الغيبة التي تشير دائماً إلى شيء داخل النصّ، على حين لا يعتمدون كثيراً على ضمائر المتكلّم والمخاطب في تحقيق التماسك النصّيّ.

ونظر هاليداي ورقية حسن إلى الضمائر من حيث الوظيفة الاتساقية إلى:

١. أدوار الكلام: وهي التي تتدرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلّم والمخاطب، وهي إحالة إلى خارج النصّ بشكل نمطيّ، ولا تصبح إحالة داخل النصّ، أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به أو في الخطابات المكتوبة.

٢. أدوار أخرى: وتتدرج ضمنها ضمائر الغيبة إفراداً وتثنيةً وجمعاً (هو، هي، هم، هن، هما) وهي عكس الأولى تحيل قبلياً بشكل نمطيّ؛ إذ تقوم بربط أجزاء النصّ، وتصل بين أقسامه^(٣).

(١) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١ / ١٦٤ .

(٢) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨ .

(٣) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨ ، وتوحيد المفضل للأمام جعفر الصادق(ع)، دراسة نصية، (رسالة ماجستير): ٣٢-٣٣ ، والإحالة ودورها في قصيدة ساعة التذكار: ١٥٢ ، والتماسك النصّي من خلال الإحالة والحذف دراسة تطبيقية في سورة البقرة: ٣٩ .

ومن الأمثلة القرآنية على الإحالة (القبلية) بالضمائر في الآيات الاجتماعية ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَمَرَ أَنْ يَرْضِعَهُنَّ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ مِمَّا رَزَقْنَهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكْفَى نَفْسٌ إِلَّا بِسَعْمَاءٍ لَوْ سَعَى وَالِدَةٌ بَوْكَدٍهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِبُوكَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَمَرَ آدَا فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوِرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَمَرْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اتَّيَمُّ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

الآية الكريمة بصدد الحديث عن دور المرأة في تقديم الرعاية لولدها، وتحديد المدة الدقيقة للرضاعة، فهو هنا خطاب اجتماعي الغاية منه تحقيق التكافل الأسري ومعرفة الواجب المنوط لكل فرد من أفراد الأسرة، والتي تبدأ من لحظة ولادة الطفل وكيفية رعايته والاهتمام به، فالآية متضمنة ((بيان اهتمام الإسلام بالصغير، وحرصه على أن ينبت نباتًا حسنًا بالرضاعة الطبيعية من الأم، وهذا مما لا تخفى فوائده الطبيّة والنفسية))^(١).

جاءت الآية الكريمة بصيغة الخبر الذي يُفيد معنى الأمر، فقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ وفيه وجهان: الأول عام يشمل كل أم، والآخر خاص متعلق بالمطلقات^(٢)؛ لأن الآيات السابقة متضمنة خطابًا فيه عدد من القضايا الاجتماعية إحداها الطلاق.

ونلاحظ هنا كثرة الضمائر التي جاءت مترابطة بحيث أدت دورها الإحالي، وأسهمت في تحقيق تماسك النص من دون إحداث التشتت لدى القارئ، إذ إن ((إعادة الضمير إلى مرجعه من أهم المهام التي يقوم بها مفسر النص؛ لأنها تزيل عنه اللبس، وتوضح دلالاته، ولا شك أن اللبس يحول دون تماسك النص، كما أن إزالة اللبس عن النص تقوي تماسكه، وتبين الترابط بين أجزائه))^(٣)، فأولى الضمائر التي نقف عندها في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ فالضمير (هُنَّ) العائد على الوالدات أدى وظيفته المتمثلة بالربط

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مج ١/ ٢٩٦ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٥/ ٣٨ - ٤٠ ، وتفسير المنار: ٢/ ٣٢٤ ، وروح المعاني: ١/ ٥٣٩ .

(٣) الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني: ١٠ .

بين جملة (يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) والاسم الذي قبلها (أَوْلَادَاتُ)، فالرابط هنا جاء ضميراً متصلاً في محلّ جرّ بالإضافة، والمحال إليه متقدّم وهو (أَوْلَادَاتُ)، ويُعرف هذا النوع من الإحالة بالإحالة الداخلية (القبلية)؛ لأنّ المحال إليه والمحال متوقّران داخل النصّ القرآني.

ومن النصوص التي تحقّق فيها الاتساق النصّي عبر العلاقات الإحالية ما جاء في قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ سَكَتَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسَرَّحَ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَسْكَحَ نِزَاجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَسْرَجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ (البقرة: ٢٢٩-٢٣٠).

إذ جاءت هذه الآيات في صدد تبيان أحكام الطلاق وما يترتب عليه، فالتنزيل العزيز شأنه ((يتحدّث عن الطلاق في حدّ ذاته، والطلاق مأخوذ من الانطلاق والتحرّر، فكأنّه حل عقدة كانت موجودة وهي عقدة النكاح، وعقدة النكاح هي العقدة التي جعلها الله عقداً مغلظاً وهي الميثاق الغليظ))^(١)، والملاحظ على النصّ المذكور تعدّد الضمائر الواردة فيه، وتتوّعها بين الظاهر منها والمستتر، وهذه الضمائر ارتبطت بشبكة من العناصر الإحالية أسهمت في إيضاح النصّ وبيان تفصيلاته من دون الحاجة إلى تكرار الاسم الصريح، فهي بذلك جاءت بمثابة الخيط الرفيع الرابط بين أجزاء النصّ، وتلك الضمائر يمكن إجمالها بالآتي:

الضمير في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ عائد على الزوجين، وجيء بالضمير المؤنث للجمع؛ لأنّ الطلاق معرّف تعريف الجنس، والضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ عائد على ولي أمر المتزوجين أو القائمين على أمرهما، بدلالة لفظة (يقيما) ولم يقل (تقيما) فيفهم أنها عائدة على الزوجين، وكذلك الهاء في جملة (فإن طلقها) العائدة على الزوج، وفي (غيره) العائدة على الذي سيتزوجها من بعده، والكاف في جملة (ولا يحلّ

(١) تفسير الشعراوي: ٢ / ٩٨٩ .

لكم) العائد على الأزواج، والضمير (هنّ) في لفظ (آتيتموهنّ) عائد على المطلقات، ومن ثمّ الضمير المستتر في لفظ (افتدت) عائد على ((جنس المخالعة، وقد تمحّض المقام لأنّ يُعاد الضمير إليها خاصة؛ لأنّ دفع المال منها فقط))^(١)، وهذا يعني أنّ النصّ القرآنيّ الذي بين أيدينا مصوغ بشبكة من العلاقات الإحاليّة جعلته نصًّا واحدًا متلاحمًا يرتبط أوله بآخره، والتي حقّقت اتّساق النصّ وترابطه.

٢. الإحالة بأسماء الإشارة:

الوسيلة الثانية من الوسائل الإحاليّة التي تعمل على اتّساق النصّ هي أسماء الإشارة والتي تحيل على كلام سابق أو لاحق في النصّ، فتؤكّل إليها وظيفة ربط أجزاء النصّ وانسجامه. وهي اسم مظهر دالٌّ بإيماء على اسم حاضر حضورًا عينيًّا أو ذهنيًّا^(٢)، فهي تُعين الذات المشار إليها به، وهي في هذا كضمير الغائب يحتاج إلى مذكور أو محسوس قبله حتّى يُشار إليه فيكون كضمير راجع إلى ما قبله^(٣)، و((إذا كانت الضمائر تحدّد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فإنّ أسماء الإشارة المكانية والزمانية، وكذلك الظروف الدالّة على الاتجاه، تحدّد موقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تمامًا مثلها لا تُفهم إلاّ إذا رُبطت بما تشير إليه))^(٤)، فبهذا المعنى يؤدّي اسم الإشارة وظيفته المتمثّلة بربط الجمل، فيحيل معنى ما سبقه إلى معنى ما لحقه، سواء أكان لفظة، أم جملة، أم نصًّا، ويكون بديلًا عنه، وهذا يعني أنّه يشترك مع الضمائر في الإحالة ولكّنه - أي اسم الإشارة - أوسع منه ممّا ينتج قوّة التماسك على مستوى اللفظ والمعنى.

فإذا ما رجعنا إلى تراثنا العربيّ وجدنا نتاجًا ثرًّا، تناول أنساق اللغة، وقواعدها وضبطها، وتُصنّف أسماء الإشارة على أنّها واحدة من أهمّ الوسائل الرابطة للجملة المسهّمة

(١) التحرير والتتوير: ٢ / ٤١٠ .

(٢) ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو: ١٥٣ .

(٣) ينظر: شرح الرضيّ على الكافية: ٢ / ٤٧٩ .

(٤) نسيج النصّ: ١١٧ - ١١٨ .

في تحقيق الانسجام بين أجزائها^(١)، ويمكن تحديد مفهومها في اللغة في هدي ما نقله ابن منظور في أن أصل اسم الإشارة متأني من قولهم: ((أشار إليه وشور: أوما، ويكون ذلك بالكف والعين والحاجب...أشار الرجل يشير إشارة إذا أوما بيده))^(٢)، وقد يُشار بأسماء الإشارة إلى مسمى، ما يجعلها متضمنة معنى الفعل أشير^(٣)؛ لأنها أسماء وضعت لتدل على إثبات شيء معين وقعت عليه الإشارة.

ومفهوم اسم الإشارة عند النحويين يدنو كثيرا من المفهوم السائد في الدرس النحوي، فهو يُعد من الوحدات اللغوية الخاضعة لقواعد الاستعمال والتي تختلف باختلاف طبيعة الدور الدلالي الذي تؤديه، كما تستند إلى الصور التي يؤديها كل صنف من الوحدات اللغوية في النص، ولم يقتصر دور اسم الإشارة على ما يؤديه في الدرس النحوي، بل تعداه إلى الدور الكبير الذي يؤديه في الدرس اللساني النصي.

يحدد سيبويه الوظيفة الأساسية لأسماء الإشارة والتي تقع في مرتبتي القرب والتراخي، إذ يقول: ((ذاك بمنزلة هذا إلا أنك إذا قلت: ذاك فأنت تُنبهه لشيء مُتراخ))^(٤)، في حين ذهب جمهور النحاة إلى إضافة مرتبة أخرى، فتكون وظيفة أسماء الإشارة واقعة في ثلاثة أقسام، فُصل فيها القول: ((والجمهور على أن له ثلاث مراتب: قُربى، ووسطى، وبعدي، فيشار إلى مَنْ في القُربى بما ليس فيه كافٌ ولا لامٌ: كذا، وذى، وإلى مَنْ في الوسطى بما فيه الكاف وحدها، نحو ذاك، وإلى مَنْ في البُعدي بما فيه كافٌ ولا مٌ، نحو ذلك))^(٥)، ويبدو واضحا من رأي الجمهور بأن الوظيفة الأساسية لأسماء الإشارة تظهر في بيان مدى القرب أو البعد من المتكلم. وقد تتصف أسماء الإشارة بالإبهام إذا ما افتقرت إلى ما يُبين معانيها، وهو ذكر المشار إليه؛ لأنك تشير بها إلى أشياء مختلفة كأن يكون حيوانا أو نباتا أو

(١) ينظر: الكتاب: ٥ / ٢ ، وشرح المفصل: ٣٥١ / ٢ ، وشرح الرضي على الكافية: ٣٠ / ٢ ، ومغني اللبيب: ١٨٧ / ٢ .

(٢) لسان العرب: ١٠٦ / ٥ .

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٣٥٢ / ٢ .

(٤) الكتاب: ٧٨ / ٢ .

(٥) شرح ابن عقيل: ١٣٥/١ - ١٣٦ ، وينظر: الكتاب: ٥/٢ - ٧ ، المقتضب: ١٨٦ / ٣ ، وشرح المفصل: ٢ / ٣٦٥ ، ونتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل: ٨٥٣ .

جماداً^(١)، و((تشير بها إلى كل ما بحضرتك وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك، ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس))^(٢)، ويتوافر فيها كذلك التعريف، ويبدو هذا الشيء من باب الجمع بين الضدين المتناقضين، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت مفردة قبل التركيب، أما إذا أصبحت مركبة وجرت في الاستعمال فعند ذلك يزول التضاد بين الإبهام والتعريف؛ لأن الإبهام الذي فيها وصف يرفعه الاستعمال تحقّقاً، وقد بين النحاة روافع الإبهام عن أسماء الإشارة، وقد أكدوا على أنّها حضورية مقامية - في الإشارة الحسية - وليست ذكرية مقامية^(٣).

ومن يُدقق النظر في كلام الرضي (ت ٦٨٦هـ) يلمس الدقة والوضوح في المسألة المتعلقة بأسماء الإشارة، فقد تطرّق إلى الإشارة الحسية من دون الإشارة العقلية، حينما تكون هذه الأسماء تشير إلى محسوس قريب أو بعيد غير مشاهد، نحو: ﴿تَلَكُمُ الْجَنَّةُ﴾ (الأعراف: ٤٣)، فلتصويره كالمشاهد، كما هو الأمر إن أُشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته، نحو: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ (يونس: ٣)، ويعلّل السبب في ذلك بقوله: ((إنَّ اسم الإشارة لما كان موضوعاً للمشار إليه إشارة حسية، فاستعمله فيما لا تدركه الإشارة كالشخص البعيد، والمعاني: مجاز، وذلك بجعل الإشارة العقلية كالحسية مجازاً لما بينهما. فلفظ اسم الإشارة الموضوع للبعيد، إذن أعني (ذلك) كضمير راجع إلى ما قبله))^(٤)، أي أنّه اكتسب الحسية عن طريق الوصف المتقدّم وما يقرّ منه في نفس السامع.

كان لأسماء الإشارة في علم النصّ الحديث إسهاماً كبيراً في تحقيق اتساق النصّ وترابطه من خلال دورها المتمثّل في تحقيق الترابطات وتشكيل العلاقات الداخلية في النصّ، فعن طريق الترابط يتمّ دمج مكوناته الداخلية والمعطيات المطروحة فيه، وينتقل معنى ما

(١) ينظر: الكتاب: ٧٧/٢ .

(٢) الإيضاح في شرح المفصل: ٣ / ١٢٦ .

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١٠٦٩/٢ ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية: ١٢٠ (اسم الإشارة هو الاسم المبهم الموضوع المشار إليه إشارة حسية بأحد الاعضاء).

(٤) شرح الرضي على الكافية: ٣٠ / ٢ .

يسبقه إلى ما يلحقه ممّا يجعله بديلاً عن لفظة أو جملة أو نصّ وهو ما يُطلق عليه بمبدأ الإحالة، وبهذا المعنى يكون مدى الإحالة أمّا قريباً يجري في مستوى الجملة الواحدة، وأمّا بعيداً يجري بين الجمل المتّصلة أو المتباعدة في فضاء النصّ^(١).

وأشار الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أنّ هناك عدّة إمكانيات إذ يمكن تصنيفها، بحسب الظرفيّة الزمانيّة نحو: (الآن، غداً، أمس)، أو المكانيّة نحو: (هنا، هناك، هنالك)، أو بحسب الحياد أو الانتقاد، نحو: (هذا، هؤلاء)، أو بحسب البعد والقرب، نحو: (هذا، هذه، هؤلاء، أولئك)، أو بحسب العدد، نحو: (هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء)^(٢)، ولا يختلف هذا التصنيف عن التصنيف النحويّ العربيّ القديم، في دور أسماء الإشارة في تحديد المشار إليه من ناحية القرب والبعد والعدد.

ومن الأمثلة القرآنيّة على الإحالة (القبليّة) باسم الإشارة في الآيات الاجتماعيّة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة: ٣٢).

الآيات الكريمة في سياق الحديث عن قصة ابني آدم (عليه السلام) ليُخلص بعدها الله - عزّ وجل - إلى سوق مبرّر تحريم قتل النفس، وبيان عقوبة فاعلها، ففيها خطاب اجتماعيّ يضمن للفرد حرّيّة البقاء حيّاً، وعدم قتله أو المساس به من دون ذنبٍ أو خطيئة، إذ إنّ فائدة تلك القصّة ((تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجساسة عليها، ويتراعوا في المحاماة على حرمتها؛ لأنّ المتعرّض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها))^(٣).

(١) ينظر: نسيج النصّ: ١٢٣- ١٢٤، ونحو النصّ، إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٢٠.

(٢) ينظر: لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٣) الكشف: ١/ ٦٢٧.

فلأسماء الإشارة أثر مهم في تحقيق الارتباط النحوي عن طريق إمكانيته في الدلالة على ما يُشير إليه، فورود اسم الإشارة (ذَلِكَ) الذي للبعيد جاء رابطاً ومعوّضاً عن الجملة السابقة، أي أنّ العلاقة القبلية الترابطية قائمة بين اسم الإشارة (ذَلِكَ) وجملة الآيات المحرمة للقتل، أي عائد على جريمة القتل التي قام بها قابيل، فأُسند إلى العنصر الإحاليّ مهمّة توضيح حكم القاتل للنفس المحرّم قتلها، فالربط الإحاليّ أفاد الحكم الذي يقصده الخطاب القرآنيّ، وأسهم أيضاً في تحقيق تماسك النصّ وسبكه سبكاً محكماً.

وجملة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ فيها وجهان:

الوجه الأول: متعلّق بـ (كَبَبْنَا) فهو اسم إشارة إلى ذلك القتل، والأجل في الأصل

الجناية.

الوجه الآخر: جازه بعضهم أنّه متعلّق بقوله: ((من النادمين)) أي ندم من أجل ذلك القتل -قتل أخاه-^(١)، وقد ردّ على هذا القول صاحب كتاب التحرير والتنوير بقوله: ((يتعيّن أنّ يكون (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ) تعليلاً لـ "كَبَبْنَا" وهو مبدأ الجملة، ويكون منتهى التي قبلها قوله: (من النادمين) وليس قوله (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ) معلقاً بـ (النادمين) تعليلاً له للاستغناء عنه بمفاد الفاء في قوله (فأصبح)^(٢).

وكذلك ما جاء في سورة الاحقاف أيضاً من (إحالة قبلية) باسم الإشارة: قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَرُ عَنْهُمُ سَيِّئَاتُهُمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦)﴾ (الاحقاف: ١٥-١٦).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ١٨١ .

(٢) التحرير والتنوير: ٥ / ٨٧ .

فقد أشار الله تعالى إلى الذين ينالون رضاه، ويفوزون بالجنة جزاء إحسانهم وشكرهم له على نعمه، وقصرهم العبادة له وحده سبحانه، فهي ((وصية صادرة من خالق الإنسان لجنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته وهي وصية الإحسان إلى الوالدين مطلقة من كل شرط ومن كل قيد، فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها، بدون حاجة إلى أي صفة أخرى))^(١).

وبالرجوع إلى الآية الكريمة لمعرفة نوع الإحالة الواردة فيها نجد أن اسم الإشارة (أولئك) إحالة نصية قبلية؛ وذلك لإحالتها على المذكور قبلها في النص، فهو عائد على الآية السابقة بما تحمله من صفات العبد التائب، العابد، الشاكر...وفي ذلك قال ابن كثير: ((هؤلاء المتصفون بما ذكرنا، التائبون إلى الله، المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل، أي هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله))^(٢)، وقد جيء باسم الإشارة هنا بالجمع (أولئك) ومخبره عنه بألفاظ الجمع ظاهر في أن المراد بالإنسان في قوله تعالى: ((ووصينا الإنسان)) غير معيّن بل المراد الجنس المستعمل في الاستغراق كما قدمناه، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن ما قبلها من الوصف والحث يحدث ترقيب السامع لمعرفة فائدة ذلك، فكان قوله تعالى: (أولئك الذين يتقبل عنهم...) إلى آخر الآية جواباً لترقبه^(٣).

ومن الإحالة القبلية ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِذَا قُلْتُمْ نَحْنُ نَرَىٰ قُرْبَهُمْ وَآبَاءَكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَايَا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مج ٧ / ١٩٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٧ / ٢٥٩ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٤ - ٣٥ .

إِذَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ وَمَرُّوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَكَأَنَّهُمْ لَمَّا نَحَبُوا غَدْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ كَذَبَوا وَعَدَّبُوا ظُهُورَهُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ أَسْفُودٍ ﴿٣٦﴾ وَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مُرْحَبًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَكُن تَبْلُغُ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ (الإسراء: ٣١-٣٨).

فقد تضمن النص القرآني عددًا من النواهي التي حذر الله تعالى عباده من اقترافها، فقد ابتدأها عز وجل بتحريم قتل الأولاد، ونهاهم أيضًا عن ارتكاب فاحشة الزنا، ومن جملة النواهي التي تضمنتها الآيات الكريمة قتل النفس وأكل مال اليتيم، وأمرهم بإيفاء الكيل والميزان، كذلك النهي عن سماع ما لا يحق له سماعه والنظر إليه، والنهي عن السير على الأرض تكبرًا واستعلاءً، فكل ما تقدم ذكره من نهي متعلق بالسيئات والمكروه التي حذر الله تعالى عباده من الاتصاف بها، واسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ...﴾ عائد على كل ما تقدم ذكره من المحرمات والنواهي^(١).

(١) ينظر: الميزان: ٩٥ / ١٥ .

٣. الإحالة بالأسماء الموصولة:

تُعد الإحالة بالأسماء الموصولة ذات سطوة إحاليّة واسعة، فهي تسهم في تحقيق التماسك النصّي كنظيراتها الضمائر الشخصية وأسماء الإشارة.

والموصول في اللغة: اسم مفعول من الفعل (وَصَلَ) المتعدّي، ذلك أنّ هذا الفعل يُستعمل لغةً متعدّيًا تارةً ولزماً أخرى؛ فيقال: ((وَصَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصْلاً وَصِلَةً ... ويقال: وَصَلَ الشَّيْءُ إِلَى الشَّيْءِ وَصْلاً ... انتهى إليه وبلغ))^(١).

فقد عقد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) بابًا بعنوان: (باب الصلة والموصول)، يقول: ((أَنَّ الصِّلَةَ مُوضِحَةٌ لِلإِسْمِ؛ فَلِذَلِكَ كَانَتْ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ المَبْهَمَةِ ...؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: جَاءَنِي الَّذِي، أَوْ مَرَرْتُ بِالَّذِي لَمْ يَدْلِكَ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقُولَ: مَرَرْتُ بِالَّذِي قَامَ ... فَإِذَا قُلْتَ: هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ وَضَعْتَ اليَدَ عَلَيْهِ))^(٢)، وقال الزُّبَيْدِيُّ (ت ٣٧٩هـ) في التعريف بالاسم الموصول: ((اعلم أنّ من الأسماء ما لا يتمّ بنفسه حتّى يوصل بغيره، فيكون اسمًا، فمنها: الذي والتي ... ولا بُدَّ أَنْ يكون في الصلة نِكر من الموصول يرجع إليه ويتعلّق به))^(٣)، ومراده بالذِّكر ما اصطلح على تسميته في ما بعد ب: (الضمير العائد).

وعرّفه الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) بأنّه: ((ما لا بُدَّ له في تمامه اسمًا من جملة تردّفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه. وتسمّى هذه الجملة صلةً، ويسمّيها سيويّه الحشو، وذلك قولك: الذي أبوه منطلق زيد))^(٤).

ويُعرف الاسم الموصول في الدرس النحويّ بذلك الاسم الذي يفتقر إلى جملة صريحة، أو مؤوَّلة، فهو بهذا يشبه الحرف؛ لعدم إفادته معنىً قائمًا بذاته، كما يشترك الضمائر وأسماء

(١) لسان العرب: مادة (و ص ل): ٢ / ٤٢٩٦ .

(٢) المقتضب: ٣ / ١٩٧ .

(٣) الواضح: ١٥٠ .

(٤) المفصل في علم العربية: ١٣٨ .

الإشارة بصفة الإبهام، فلا يتخصص معناه إلا بصلته^(١)؛ حتى يتسنى له تكوين أجزاء تامّة بتلك الصلة وذلك العائد^(٢)، وهو ما يُطلق عليه بـ (جملة الصلة)، أو ما يشبه الجملة، ومن دونها يبقى اسمًا مبهمًا وغامضًا ويحتاج إلى تعيين مدلوله وإيضاح المراد منه^(٣).

وعلى الرغم من أهميّة الأسماء الموصولة في ترابط النصّ وتماسكه؛ إلا أنّ بعض كتب علم النصّ لم تُشر إليها، واكتفوا بذكر أسماء الإشارة وأدوات المقارنة^(٤).

ولا يبتعد المفهوم القديم عن المفهوم الحديث، ففي الدرس النصّي الحديث، يرى أحمد عفيفي ((أنّها لا تحمل دلالة خاصة وكأنّها جاءت تعويصًا عمّا تحيل إليه، وهي أيضًا تقوم بالربط الاتساقّي "بوساطة" ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطًا مفهوميًا بين ما قبل (الذي) وما بعده^(٥)، فيعمل الاسم الموصول في ترابط النصّ وانسجامه؛ عن طريق الربط المفهوميّ بين ما يسبقه وما يأتي بعده.

وقد أورد الدكتور فاضل السامرائيّ علّة تسميتها بالموصولة؛ لأنّها توصل الكلام بما بعدها حتى يتحقّق معناها؛ وذلك لأنّ الأسماء الموصولة أسماء ناقصة الدلالة لا يفهم معناها دون اتصالها بما بعدها، فإذا قلت: جاء (جاء الذي) أو (رأيت التي) لم يفهم المقصود فإذا جنّت بالصلة اتّضح المعنى المقصود، وذلك كأن تقول: (جاء الذي ألقى الخطبة)^(٦).

ويحظى الاسم الموصول بالوظيفة نفسها التي تحظى بها كلّ من الضمائر وأسماء الإشارة، وتتمثّل وظيفتها في الجملة لإفادة الاختصار، وفي هذا الصدد يقول الدكتور مهدي

(١) ينظر: شرح المفصل: ٢ / ٣٧١ - ٣٧٢، وشرح التسهيل: ١ / ١٨٢، والنحو الوافي: ١ / ٣٤٠ (اسم غامض المعنى مبهم الدلالة).

(٢) ينظر: التعريفات: ٢٣٧.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ١ / ٣٤١، (صلة الموصول تقسم إلى قسمين: صلة اسمية أو فعلية ويشترط أن تكون خبرية والقسم الثاني: شبه الجملة).

(٤) ينظر: توحيد المفضل للأمام جعفر بن محمّد الصادق (ع) دراسة نصّية: ٣٦.

(٥) الإحالة في نحو النصّ: ٢٧ - ٢٨.

(٦) ينظر: معاني النحو: ١ / ١١٩.

المخزومي: ((أمّا الأسماء الموصولة فهي كالضمائر وأسماء الإشارة، تؤدّي ما تؤدّيه من وظيفة ... ولكنها أقوى من الضمائر وأسماء الإشارة في تحقيق الاختصار))^(١)، ونعني بالاختصار أن يستعمل المتكلم أقلّ العبارات لتوضيح مقصده وتأدية المعنى؛ وذلك عند العودة إلى بؤرة النصّ في الجملة الأولى؛ لأنه كلما ابتعد المتكلم عن بؤرة النصّ قلّ التماسك، وبخلاف ذلك فإذا اقتربنا من البؤرة كان لابدّ من جذب الألفاظ البعيدة إلى بؤرتها بطريقة مختصرة.

ومن الأمثلة القرآنية على (الإحالة القبليّة) بالاسم الموصول في الآيات الاجتماعية ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا بِمَا شَرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَكَأْتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَكَأْتَفْرُوْا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَكأْتَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الإنعام: ١٥١).

الآية فيها خطاب للبشرية يندرج فيه جملة المحرّمات عليهم، ومنها: الإشراف بالله، وعدم الإحسان بالوالدين، واقتراف الفواحش، وقتل الأنفس بغير حق؛ إذ نلاحظ في الآية الكريمة تقديم ((ضمير المخاطب (الكاف) على ضمير الغائب (إياهم)؛ لأنّ الخطاب فيها للفقراء؛ فحسُن أن يُقال لهم: (نرزقكم) أوّلاً، كي يزول ما بكم من فقر، ثمّ عطف عليهم أولادهم لإفادة معنى: (نرزقكم جميعاً))^(٢)، كذلك جاءت الآيات التي بعدها متضمّنة تحريم أكل مال اليتيم، وعدم الإيفاء بالكيل، والظلم الناتج عن القول.

إنّ افتتاح الآية الكريمة بقوله تعالى: (تعالوا) بطلب الحضور دليل على أنّ الخطاب للمشرّكين الذين كانوا في إعراف؛ ليتلو عليهم أحكاماً لم يكونوا يعملون بها، ممّا أدّى إلى

(١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٠٠ .

(٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ٦١٥ .

إفساد حياتهم في جاهليتهم^(١)، فالأحكام التي نصّت عليها تلك الآية تتوزّع على أقسامٍ ثلاثة يمكن إجمالها بالآتي^(٢):

١. أحكام فيها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس وهو ما افتتح بقوله تعالى:
(ألا تشركوا به شيئاً).

٢. أحكام فيها حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض وهو المفتتح بقوله تعالى: (ولا تقربوا مال اليتيم).

٣. أحكام جامعة تمثل أصلاً كلياً جامع لمظاهر الهدى وهو اتباع طريق الإسلام والتحرّز من الخروج عنه إلى سبل الضلال وهو المفتتح بقوله تعالى: ((وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه)).

وبالرجوع إلى الآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها من باب تحقيق الانسجام النحويّ بوساطة الإحالة باسم الموصول، نلاحظ أنّ الاسم الموصول (التي) عائد على سابق له موجود في النصّ وهو (النفس).

ومن أمثلة (الإحالة البعدية) بالاسم الموصول أيضاً ما ورد في الآية الكريمة:
﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩).

سياق الآيات في مقام الحديث عن آيات تنظيم المجتمع، وتحقيق العدل في توزيع الميراث بنظام يكفل العدل للأفراد ويضمّن صلاح المجتمع، وبيان حقّ كلّ من الرجل والمرأة، فهو خطاب يصبّ في مصلحة الفرد خاصة والمجتمع عامّة، إذ نصّت الآيات على أحقية الكبار والصغار، الذكور والإناث في الميراث بحسب التفاوت الذي فرضه الله تعالى عليهم، فبعضه متعلّق بالقرابة كالزوجة أو الأبناء، وبعضه مرتبط بالولاء^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٦ / ٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٦ / ٨ .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٩٤ / ٢ .

الآيات الكريمة - قيد الدراسة- تحمل إشارات مهمة في إدارة الحياة الاجتماعية فيما يتعلق بالميراث على وجه الخصوص يمكن إجمالها بالآتي^(١):

١. بيان علة الميراث، وهي القرابة.
٢. عموم القرابة كيفما تصرفت من قريب أو بعيد.
٣. إجمال النصيب المفروض بينت أصل الحق في الميراث، وبينت ذلك آية المواريث بعد؛ فكان في الآية توطئة للحكم وإبطالا لما كان من الفساد في التوارث.

فبعد أن اختتم الآي العزيز من إيضاح حق الورثة أعقبه بالحديث عن الفقراء الذين لا يملكون ما يورثونه لأبنائهم من بعدهم إلا القليل من المال؛ ليحسنوا التصرف في حياتهم والتدبر، فإذا حضروا الوفاة عليهم أن ينطقوا بالعدل والصواب، ووضع الوصية بما يحفظ لأولادهم الحياة الكريمة، مع الاكتفاء بترك المال لهم، فقد جاء بالموصول (وليخش الذين...؛) لأن (الصلة لما كانت وصفاً مفروضاً حُسن التعريف بها، إذ المقصود تعريف من هذه حاله، وذلك كاف في التعريف للمخاطبين بالخشية. إذ كلّ سامع يعرف مضمون هذه الصلة لو فرض حصولها له، إذ هي أمر يتصوره كلّ الناس))^(٢)، فحققت الإحالة بالموصول تماسكاً نصياً عن طريق ترابط اسم الموصول الدالّ على الجماعة (الذين) مع صلته الجملة الفعلية (تركوا من خلفهم...) فصار كياناً واحداً لا يتم معنى الأول من دون إحالة الثاني عليه، فالإحالة هنا إحالة بعدية متعلقة بالذين يتركون خلفهم ذرية ضعفاء.

ومن قبيل الإحالة بالاسم الموصول ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُتَكَرَّمًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُومًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَوْرٌ﴾ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيمُ رُقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ تَتُومُنُوا بِاللَّهِ وَمَسْئُولُهُ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلَّهِ الْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ (المجادلة: ٢-٤).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ٤٦ .

(٢) التحرير والتنوير: ٤ / ٢٥٢ .

فالنص القرآني فيه بيان تفصيلي لحكم الظهر؛ فهي من عادات أهل الجاهلية في تحريم زوجاتهم عليهم، إذ يتحقق هذا التحريم بالقول على شاكلة قولهم: (أنت علي كظهر أمي)، فيقصد من قوله هذا تحريم معاشرتها تشبيها لها بالأم^(١).

نلاحظ في النص القرآني إحالات كثيرة يمكن إجمالها بالآتي:

الإحالة باسم الموصول (الذين) ذي الدلالة العامة، والإحالة باسم الإشارة (ذلكم) العائد على الحكم المترتب على الظهر وهو تحرير رقبة، وذلك في قوله تعالى: ((ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله)) عائد على حكم إطعام ستين مسكيناً، أما الإحالة في قوله تعالى: ((تلك حدود الله)) إحالة قبلية باسم الإشارة عائدة على كل الأحكام المذكورة سلفاً والمتمثلة: بتحرير رقبة، والصيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، قال الشوكاني (١٢٥٠هـ): ((والإشارة بقوله و(تلك) إلى الأحكام المذكورة وهو مبتدأ وخبره (حدود الله) فلا تجاوزوا حدوده التي حدّها لكم، فإنه قد بين لكم أنّ الظهر معصية وأنّ كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة، و(للكافرين) الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعملون بما حدّه الله لعباده، (عذاب أليم) وهو عذاب جهنم وسمّاه كفراً تغليظاً وتشديدًا))^(٢)، فكلّ إحالة من تلك الإحالات أدّت دورها في ربط أجزاء النصّ، وسبكه سبغاً محكماً، فجاءت مختزلة في طياتها أجزاء كثيرة من مضمون النصّ، فضلاً عن أنّ الإحالات هنا لم تقف عند حدود الجملة الواحدة، بل تعدّتها إلى مجموعة آيات متصلة ذات حقل دلاليّ واحد، وهي بذلك أسهمت في تحقيق الاتساق بين وحدات النصّ في بنية كليّة واحدة.

أمّا فيما يخصّ الإحالة بالاسم الموصول الذي نحن بصدد الحديث عنه، فقد تحقّق بوساطة الموصول (الذين) الوارد في بداية الآية (الذين يظاهرون منكم) فجاء باسم الموصول بصيغة الجمع الدالّ على العموم؛ ليشير الباري -عزّ وجلّ- إلى أنّ الخطاب عامّ وليس لظهار بن أوس الذي نزلت فيه الآية الكريمة.

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٢٧٣، والتحرير والتنوير: ٢٨/ ١٠، وصفوة النقايسير: ٣/ ٣١٦ .

(٢) فتح القدير: ٥/ ٢٢٠ .

ثانياً: الحذف:

الحذف لغة: يدور بمعنى القطع من الطرف، كما جاء في العين: ((الحذف: قطف الشيء من الطرف كما يُحذف طرفُ ذنب الشاة))^(١)، و((حذف الشيء حذفاً، قطعه من طرفه))^(٢)، ويأتي أيضاً بمعنى الطرح والإسقاط، قال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذف من شعري، ومن ذنب الدابة: أي أخذت^(٣)، وهو قطعه أو تخفيفه اختصاراً.

الحذف اصطلاحاً:

عند البحث في مفهوم الحذف اصطلاحاً وجدنا أنه لا يختلف عما موجود في المعجمات، فهو ((إسقاط كلمة بخلفٍ منها يقوم مقامها))^(٤)، وقيل فيه بأنه: ((إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام))^(٥).

مما لا شك فيه أنّ الحذف ظاهرة لغوية عرفها القدماء، وأدركوا قيمتها السياقية، فهو من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث الأسلوبية والنحوية والبلاغية بوصفها انحرافاً عن المستوى المعتاد^(٦)، فهو يُنشط فكر المُتلقي ويزيل الثقل عن النَّصّوص؛ مما يؤدي إلى صلابتها، وقوة تماسكها، ولا يتم الحذف إلاّ بدليل^(٧)، وقد أشار إليه سيبويه (ت ١٨٠هـ) في أكثر من موضع في (الكتاب) مبيناً أنواعه، وكاشفاً عن أسبابه مؤكداً أن ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم^(٨)، وعده ابن جني (ت ٣٩٢هـ) باباً قيماً من أبواب الشجاعة العربية^(٩)، ولعل أبرز ما في جوهر رؤى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في باب الحذف

(١) العين: مادة (ح، ذ، ف): ٣ / ٢٠١، وينظر: المحيط في اللغة: ٣ / ٦٩، وتهذيب اللغة: ٣ / ٤٧٦ .

(٢) لسان العرب: مادة (ح ذ ف): ١ / ٧٧٤، وينظر: المعجم الوسيط، مادة (حذف): ١٦٢ .

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤ / ١٣٤١ .

(٤) الحدود في النحو: ٣٨، وينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ٦٢ .

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٦ .

(٦) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٨ - ٢٧ .

(٧) ينظر: الخصائص: ٢ / ٣٦٢ .

(٨) ينظر: الكتاب: ١ / ٨، ١١١، ٢٧٩، و ٢ / ١٤٤ .

(٩) ينظر: الخصائص: ٢ / ٢٦٠ وما بعدها .

تتجلى في قوله: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ...))^(١).

الحذف ظاهرة لغوية تقع في الكثير من اللغات؛ لأنها وسيلة للاختصار والإيجاز، إلا ((أن ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات، لما جُبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز))^(٢)، إذ يلجأ إليها المتكلم عندما يطول يطول المقال، ويجد في المقام ما يغني عن ذكر المحذوف، فتكون ((هناك قرائن معنوية أو لفظية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في نكره))^(٣). فهو علاقة مشتركة بين المتكلم والمتلقي؛ إذ لا يقوم المتكلم بالحذف إلا إذا كان المحذوف معلوماً عند المتلقي، فيسهم المتلقي في تقدير المعنى بناءً على فهمه تارة وعلى وضوح السياق اللغوي والمقامي تارة أخرى.

ويشترط في الحذف إحاطة متلقي النص على ما يملكه من مخزون معرفي بمكونات السياق اللغوي والاجتماعي المصاحب له؛ لئتمكّن من تقدير العنصر المحذوف بدقة.

ويشترط أيضًا ضرورة وجود الدليل (القرينة) على المحذوف^(٤)، ويتفق الباحثون المحدثون مع النحويين والبلاغيين العرب القدماء في هذه المسألة - المحذوف ووجود الدليل (القرينة) - لما له من أهمية كبيرة تكمن في دوره المتمثل في توحيد المرجعية بين المحذوف والقرينة، مما يساعد على إزالة اللبس والغموض في فهم المعنى الذي يقدمه النص، ويحقق انسيابية في إيصال الأفكار للمتلقي واستمراريتها^(٥)، فهو أحد الأطراف الأساسية التي تؤدي إلى وجود التماسك وتحققه في النص.

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٠ .

(٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٩ ، وينظر: السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب: ١١٦ .

(٣) بناء الجملة العربية: ٢٥٩ ، وينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١١٥ .

(٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ١٩٢ .

(٥) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٨٨ - ٨٩ .

وفي الدراسات النصّية الحديثة يرى (دي بوجراند) أن: ((استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة))^(١)، ووجد هاليداي ورقية حسن بأن ((علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادةً علاقة قبلية))^(٢)، فيكون العنصر المحذوف حاضرًا في ذهن المُتلقي على الرغم من استبعاده في النص، لكن معرفة المحذوف تتطلب من المُتلقي افتراض عنصر سابق يدل على النص المستبعد، وهذا يعني أن المُتلقي هو الذي يستخرج معنى النص ويتفاعل معه، فهو شريك في تشكيل المعنى وفهمه؛ لأنّه يضيف معانًا جديدة على النص لم تكن موجودة فيه^(٣).

وبالرجوع إلى الآيات الاجتماعية نجد أن الحذف قد ورد فيها بكثرة؛ وذلك لإسهامه في ربط العديد من الجمل، كما أن ((الحذف لم تقتصر مهمته على تحقيق التماسك النصّي بين عناصر الجملة الواحدة أو الآية الواحدة، بل تحقق التماسك بين أكثر من جملة، وكذلك بين أكثر من آية، غير أن الحالة الأولى أكثر انتشارًا من الثانية))^(٤)،

من هنا أكد ((علماء النصّ أهميّة توصيف الحذف في مستوى العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة))^(٥)، والذي يساعد في ذلك ((أنّ النصّ بناء يقوم على التماسك والاتساق، وهذان العاملان يُساعدان مُنشئ النصّ على الاختصار...؛ لذا يُشترط في الحذف أن يبدأ النصّ بجملة تامّة تُراعي القواعد النحويّة، أمّا في الجمل التالية فإنّ علماء النصّ يعتقدون على ما يُسمّى بالتبعية النحويّة، أي تبعية الجملة التالية للجملة السابقة))^(٦).

للحذف أهميّة كبيرة في إحداث الترابط بين أجزاء النصّ التركيبية واتساقها مع وجود الدليل على المحذوف، فالدليل بمثابة المرجعيّة له، ومن ثمّ يكون المحذوف كالمذكور، وهذا

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٠١ .

(٢) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢١ .

(٣) ينظر: علم اللغة النصّي: ٢ / ٢١٥ .

(٤) علم اللغة النصّي: ٢ / ٢٢٦ .

(٥) لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء: ٤٥ .

(٦) الدلالة والنحو: ٢٥٣ .

ما يؤدي إلى استمرارية النص؛ لأنه سينطبق عليه ما ينطبق على النص الكامل العناصر^(١)، وعند إعادة المحذوف أو إحالته إلى المرجع الذي يفسره تتضح قيمة الحذف وأهميته في اتساق أجزاء النص، فيضحى أثر الحذف بذلك توسيعاً للسيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما إلى ما تليها من الجمل^(٢)، فالحذف ((يربط نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يقنطع من البنية السطحية بشدة))^(٣).

أما المحاور التي بوساطتها يحقق الحذف التماسك النصي فيمكن إجمالها بالآتي^(٤):

الأول: التكرار: لأن الحذف يعامل معاملة المذكور مما يؤدي تقديره إلى استمرارية المعنى داخل النص.

الثاني: المرجعية: وتمثل الإحالة بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور.

الثالث: وجود القرينة بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور.

وفي ضوء هذا الفهم نخلص إلى أن الحذف في بناء النص ليس فعلاً بريئاً أو عملاً محايداً أو شكلاً مفروضاً على النص من الخارج؛ وإنما هو عمل واعٍ، وسمة من سمات الدرس النصي، ومظهر من مظاهرها الإبداعية التي تعمل على استثمار الطاقات التعبيرية الهائلة التي تزخر بها اللغة العربية.

أنواع الحذف:

يندرج تحت وسيلة الحذف أنواع^(٥):

(١) ينظر: علم اللغة النصي: ٢ / ٢٢١ .

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٦ .

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٢ / ٣٦٠ .

(٤) ينظر: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٢٨ ، والسبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)،(رسالة ماجستير): ٨٦ ، وتوحيد المفضل للأمام جعفر الصادق (ع) دراسة نصية،(رسالة ماجستير): ٣٩ .

(٥) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٥ ، ولسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢ ، علم لغة النص

النص النظرية والتطبيق: ١١٨ ، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٩٣ .

١. الحذف الاسمي: ويقصد به الحذف الداخلي من المركب أو المجموعة الاسمية^(١)، أمثال: حذف المبتدأ والفاعل والمفعول به والمضاف...إلخ، ويُلحظ دورُ هذا الحذف في الترابط المنظومي والسطحي في الآيات الاجتماعية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا كَبْرٌ مِّنْ نَّفْعِهِمَا وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) في الدنيا والآخرة وسألوكم عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعتكم إن الله عزيز حكيم^(٢) (البقرة: ٢١٩-٢٢٠).

فقد حُذِفَ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ لَفْظَةُ "أَعْنَتَكُمْ" الَّتِي هِيَ فِي مَحَلِّ مَفْعُولٍ بِهِ لِـ "شَاءَ"^(٣)، أَي: "لَوْ شَاءَ اللَّهُ إَعْنَتَكُمْ لِأَعْنَتَكُمْ"، فَحُذِفَتْ لِدَلَالَةِ الْمَذْكُورِ فِي الْجَوَابِ، أَي: لِحَمْلِكُمْ عَلَى الْعَنْتِ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ، وَأُحْرَجِكُمْ^(٤)، وَقَدْ حُذِفَ الْاسْمُ مِنَ الشَّرْطِ لِدَلَالَةِ الْجَوَابِ عَلَيْهِ، فَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ رُوحِ الْمَعْنِيِّ: ((وَحُذِفَ مَفْعُولُ الْمَشِيئَةِ لِدَلَالَةِ الْجَوَابِ عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِكَمَالِ لَطْفِهِ سُبْحَانَهُ وَرَحْمَتِهِ حَيْثُ لَمْ يَعْلقْ مَشِيئَتَهُ بِمَا يَشِقُّ عَلَيْنَا فِي اللَّفْظِ أَيْضًا))^(٥)، فَهَذَا تَحَقَّقَتْ أَمَّ مِيزَةٌ مِنْ مِيزَاتِ الْحَذْفِ أَلَا وَهِيَ الْاِخْتِصَارُ وَالْإِيجَازُ، وَمَرْجِعِيَّتُهُ دَاخِلِيَّةٌ لَاحِقَةٌ، أَمَّ بِوَسَاطَتِهَا تَقْوِيَّةُ الْمَعْنَى مِنْ دُونَ تَكَرُّرِ اللَّفْظِ نَفْسَهُ، مَعَ الْاِحْتِقَاطِ بِالْعُنَاوَرِ الْمَحْذُوفَةِ فِي الذَّاكِرَةِ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّةِ الْقِرَاءَةِ مِمَّا يَنْتِجُ عَنْهُ اسْتِمْرَارِيَّةُ التَّلْقِيِّ فَيَتَحَقَّقُ التَّمَاسُكُ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ١)، فقوله تعالى (سورة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه)^(٥)، ((واسم الإشارة المقدر يشير إلى حاضر في السمع وهو الكلام المتتالي، فكل ما ينزل من هذه

(١) ينظر: نحو النَّصِّ، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٧، وعلم لغة النَّصِّ النظرية والتطبيق: ١١٨.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١ / ٣٢٧.

(٣) ينظر: الكشف: ٢ / ١٢٨.

(٤) روح المعاني: ١ / ٥١١.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨ / ١٤١، والكشاف: ١٨ / ٧١٧، وإعراب القرآن وبيانه: ٦ / ٥٥٧، والبحر

المحيط: ٨ / ٦، وتفسير البغوي: ٣ / ٣٧٩، والجدول في إعراب القرآن: ٩ / ٢٢٣.

السورة وألحق بها من الآيات فهو من المشار إليه باسم الإشارة المقدر^(١)، وحُذِفَ لكثرة استعماله في الكلام، ومرجعيته قبلية أسهمت في اتساق النصّ عن طريق إثارة ذهن المُتلقي لملء هذا الفراغ، فجعلته يوظف مخزونه الثقافي واللغوي مع سياق الآية المباركة والظروف المحيطة بها ليهتدي إلى المحذوف والتركيز على جملة الأحكام المسردة التي اوجب المكلفين إلزامها والعمل بها^(٢).

من الشواهد القرآنية على الحذف الاسميّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ

وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَكَأَعَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٥).

إنّ هذه المحرّمات الأربعة المذكورة في بداية الآية أباح الله تعالى أكلها في حالات خاصّة، وهي إذا حلّت المجاعة بالقوم وشارفوا على الهلاك ولم يجدوا ما يأكلونه سوى تلك المحرّمات، فجاز لهم أكلها بشرط عدم الرجوع إليها^(٣)، وهذا من لطف الباري ورأفته بعباده المكلفين.

في الآية الكريمة تمّ حذف المضاف (أكل) اختصاراً، والتقدير: حرّم عليكم أكل الميتة والانتفاع بها وهو كلّ ما له نفس سائلة من دواب البر وطيّره ممّا أباح الله أكله^(٤)، فنسبة التحريم إلى الميتة لا تجوز عقلاً إلا بتقدير محذوف، وقد استدل هنا بدلالة العقل على وجود محذوف هو تحريم أكل الميتة؛ ((لأنّ الحكم الشرعي يتعلّق بالأفعال دون الأجرام))^(٥)، فعمل المصدر المحذوف التركيز على جملة المحرّمات، وخلق تماسك نصّي وترابط دلاليّ بين فقرات النصّ القرآنيّ؛ وذلك عن طريق تقدير المحذوف من لدن المُتلقي، وهذا التقدير جعل النصّ أكثر تماسكاً وحفاظاً على استمراريته من دون الحاجة إلى ذكره، قال أبو حيان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ) في معرض تفسيره لهذه الآية: ((بَلْ هَذَا مِمَّا حُذِفَ مِنْهُ الْمُضَافُ

(١) التحرير والتنوير: ١٤١ / ١٨ .

(٢) ينظر: تفسير البغوي: ٣ / ٣٧٩ .

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٤ / ٤٠٥ .

(٤) ينظر: مجمع البيان: ٣ / ٢٢٤ .

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٨٣ .

لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: حُرِّمَ عَلَيْكَ الْحَمْرُ، إِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ شُرْبُهَا، وَحُرْمَتُ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ أَي: أَكْلِهَا^(١).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

جاء في إعراب (قُتِلَ) ((فعل ماض مبني للمجهول في محلّ جزم فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر تقديره هو))^(٢) ففي الآية الكريمة قد تم حذف الفاعل، والغاية منه هي التركيز على الحدث لفت الانتباه والإخبار عنه على إطلاقه، ((فهذا الحكم لا يتعلّق بقاتل بعينه، بل يشمل كلّ من وقع منه القتل، ومعنى هذا أنّ الحذف قد جاء ليعلن عن وقوع الحدث دون الالتفات إلى الفاعل))^(٣).

فللحذف أثرٌ في تحقيق التماسك النصّي؛ لأنّ المحذوف ومن الناحية الدلالية يُعامل معاملة اللفظ المذكور، فكما أنّ اللفظ مطلوب ذكره في بعض المواضع، كذا الحال مع الحذف، فيفتح الدلالة النصّية أمام المتلقّي ليشارك في إنتاج النصّ وفهمه عن طريق تقدير الفعل المحذوف الذي يكون منسجماً مع سياق النصّ.

٢. الحذف الفعلي: ويقصد به حذف العناصر الفعلية من التركيب السطحي للنصّ، أي: أن يكون العنصر المحذوف فعلياً^(٤)، ومن نظائره في الآيات الاجتماعية قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ

(١) البحر المحيط: ٥٧٧ / ٣ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٤٣٣ / ٥ - ٤٣٤ .

(٣) الأثر الدلاليّ لحذف الاسم في الخطاب القرآنيّ: ٨٠ .

(٤) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١٢٧ ، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١١٨ .

كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿المائدة: ٨٩﴾.

في النَّصِّ القرآنيِّ حذفٌ فعليٌّ نستدلُّ عليه بوساطة المعنى، فالفعل المحذوف هو (حنثتم) لدلالة ما قبله عليه -المعطوف عليه- (حلقتم)، والتقدير (إذا حلقتم وحنثتم)^(١)؛ لأنَّ كفارة اليمين إنما تجب بحنث اليمين، لا بمجرد الحلف^(٢)، والغاية من حذف الفعل هنا (حنثتم) لشدَّ الانتباه على ضرورة تجنب الحلف نفسه من الأساس، ولذلك جاء الأمر بعده بحفظ اليمين (واحفظوا أيمانكم)، والمتأمل في هذا الحذف الوارد في الآية سابقة الذكر يجده قد شكَّل عنصرًا مؤثرًا في اتِّساق النَّصِّ وتماسكه؛ لأنَّ تقدير المحذوف يستدعي تحقُّق الفهم والمعرفة بما سبق من حديث لتتبيَّن دلالة اللفظة المحذوفة.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَيَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُنَّ فَرِيضَةٌ وَكَأَنَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٢٣-٢٤)، جيء في إعراب (كتاب الله) أنَّه منصوب على المصدر على أنَّه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (كتب الله كتابًا عليكم)^(٣) فحذف الفعل هنا وأضيف

(١) معاني القرآن، النحاس: ٣٥٤ / ٢ ، وينظر: الكشاف: ٣٠٧ / ٧ .

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٥ / ٤ ، ومجمع البيان: ٣٣٥ / ٣ ، والميزان: ١١٠ / ٧ .

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١ / ١٢٢ ، والكشاف: ١ / ٥٢٩ ، وإملاء ما من به الرحمن: ١ / ١٧٤ ، والميزان: ٥ /

المصدر إلى فاعله وأقيم مقامه؛ لدلالة قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ) عليه، بمعنى ما هو مذكور من أصناف النساء كتب الله تحريمها عليكم كتاباً^(١)، وهذه المرجعية القبلية أسهمت في تآزر وحدات النصّ وتماسكها، وإتيان الكلام بتلك الصياغة للدلالة على أنّ الأمر بالتحريم مكتوب عليهم ومفروض فرضاً تاماً وثابتاً في كلّ مكان وعصر.

ومن حذف الفعل ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧)، المحذوف هنا هو الفعل (يعلم)، والدليل عليه هو الفعل (يعلم) المتقدم عليه، والتقدير ((يعلم ما في السموات ويعلم ما في الأرض))، وعلى هذا تكون المرجعية قبلية، وفي مثل هذا يؤدي الحذف أفضل حالات الاتساق؛ فإنّ الفراغ الحاصل من حذف الفعل (يعلم) يمكن تعويضه بالنظر إلى ما تقدم، وفي هذا الحذف تجاوز للإطالة في الكلام؛ فتكرار فعلين من الصورة نفسها قد يجلب إطالة لا يرتضيها الأسلوب القرآني الرصين، فالمعنى واضح عند المتلقي، وحينما يكون المعنى واضحاً ومعلومًا يطرح منه ما يرد الكلام إلى الإيجاز^(٢)، فيعمل الإيجاز على اتساق النصّ شكلاً ومضموناً.

٣. الحذف الحرفي: ويكون بحذف حرف أو أداة^(٣)، وهذه الظاهرة مشتركة بين المرسل والمتلقي، أو يقوم المرسل بعملية الحذف لكنه لا يحذف إلا ما كان معلوماً عند المتلقي^(٤)، ومن الأمثلة القرآنية على هذا الحذف في الآيات الاجتماعية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْلُ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا يُغْضِلُوهُنَّ لِذُهُبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣ / ٥٨٥ ، مجمع البيان: ٣ / ٤٨ - ٥٠ .

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٢ / ٢٧٨ .

(٣) ينظر: الترابط النصّي بين الشعر والنثر: ١٠٦ .

(٤) ينظر: مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٤٤ .

اختلف في تحديد نوع الاستثناء الوارد في الخطاب القرآني ((إِنَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ)) فيحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا استثناءً من عموم أحوال الفعل الواقع في تعليل النهي، وهو إرادة الإذهاب بعض ما آتوهن؛ لأنَّ عموم الأفراد يستلزم عموم الأحوال، أي إلا حال الإتيان بفاحشة فيجوز إذهابكم ببعض ما آتيتموهن، ويحتمل أن يكون استثناءً منقطعًا في معنى الاستدراك، أي لكن إتيانهن بفاحشة يُحلِّ لكم أن تذهبوا ببعض ما آتيتموهن^(١)، ونفهم من هذا التفسير أنَّ المصدر المؤوَّل (حال الإتيان بالفاحشة) المحذوف أسهم في سبب النَّصِّ وقوته، وهناك رأي آخر مفاده أنَّ الاتساق النَّصِّي قد تحقَّق في الآية عن طريق المصدر المؤوَّل الذي جاء ((في محلِّ جرِّ بحرف الجرِّ، والتقدير إلا في إتيان الفاحشة))^(٢)، فمرجعيتها داخلية لاحقة، وهذا النوع من الحذف يعرف بالحذف الحرفي.

ومن قبيل الحذف الحرفي أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧)، ويرى الزمخشري في هذه الآية أنَّها خطاب للأئمة في أن ينظروا إلى اليتامى ويستوفوا لهم حقوقهم وعدم السماح لأحد بهضمهم^(٣) جاء في الكشاف ((كان الرجل منهم يضمُّ اليتيمة إلى نفسه ومالها، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال، إن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتَّى تموت فيرثها (وتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) يحتمل في أن تتكوهن لجمالهنَّ، وعن أن تتكوهنَّ لدمامتهنَّ))^(٤)، فحرف الجرِّ المحذوف من النَّصِّ القرآني ساعد على انتاج اتساق التعبير القرآني، فتكون مرجعيته داخلية لاحقة؛ لأنَّ تأثير الحذف على مستوى المعنى أبلغ وأشدَّ تأثيرًا من ذكره.

(١) ينظر: تفسير الشعراوي: ٤ / ٢٠٨١ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ٤ / ٤٧٠ .

(٣) ينظر: الكشاف: ٥ / ٢٦٣ .

(٤) الكشاف: ٥ / ٢٦٢ .

٤. **الحذف الجمليّ:** أو ما يسمّى بـ(الحذف القوليّ): وهو ما يكون داخل ما يشبه الجملة، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَكُلُوا الْبَرِّ حَتَّىٰ نُفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢)، في هذه الآية المباركة حذف، ونوع الحذف هو حذف جمليّ، فقوله تعالى: ((فإن الله به عليم) تعليل لجواب شرط محذوف تقديره: وما تتفقوا من شيء فمجازيكم بحسبه فإن الله به عليم، وفي حذفه إشارة إلى كرم الله الذي يجازي به الحسنات أضعافاً مضاعفة))^(١)، وجاء في الكشف إن: ((لن نتالوا البر" لن تبلغوا حقيقة البر، ولن تكونوا أبراراً. وقيل: لن نتالوا بر الله وهو ثوابه "حتى تتفقوا مما تحبون" حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها))^(٢)، وهذا ما أكده السياق بأنّ جواب الشرط محذوف، أي: إنّ الثواب مشروط بالإنفاق، وهذا دليل نصّي يرشد إلى ما هو محذوف من جملة جواب الشرط، وبهذا يكون الحذف قد حقق اتساقاً نصّياً وترابطاً بين أجزاء النصّ.

ومن أمثله أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣)، و((التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً))^(٣)، فحذف (وأحسنوا) لدلالة المصدر عليه في قوله تعالى بعدها (وقولوا للناس حسناً)، وعلى هذا تكون المرجعية بعدية، أمّا الطبرسيّ فقد جعل سياق المقال هو الدليل بقوله: ((أي وأوصى بالوالدين أحساناً ... معنى أوصى بتحريمه، وأمر بتجنبه))^(٤)، فتكون المرجعية حينئذٍ مقالية عائدة إلى سياق الكلام، لقد أثرت معرفة المُتلقي بالنصّ المبارك بتقدير المحذوف؛ فالمفسّر الذي يعتني ببيان مقاصد القرآن الكريم بما يملكه من معرفة بعلاقة مفردات القرآن الكريم ببعضها ببعضها الآخر تختلف رؤيته عن اللغويّ الذي يبحث في علاقة الألفاظ من حيث الصناعة النحوية

(١) الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم: ١٢٠ .

(٢) الكشف: ١ / ٢٩٦ ، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٢ / ٥٧ .

(٣) معاني القرآن، النحاس: ٢ / ٨٣ .

(٤) مجمع البيان: ٤ / ١٤٤ .

واللغوية، وقد أفاد الحذف تكريمًا للوالدين ورفعًا لقدرهما؛ وذلك لاقترانها باسمه تعالى وكأن الإحسان إليهما قرين لعبادته سبحانه ولو ذكر لكان أمرًا آخر^(١).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (النساء: ١٣٥)، تسهم معرفة المُتَلَقِّي بسياق الآية في اكتشاف المحذوف ببسر وسهولة، فقد حُذِفَ في الآية الكريمة جملة (تشهدون)، جاء في البحر المحيط ((ومعنى: ولو على أنفسكم، أي: تشهدون على أنفسكم أي تقرّون بالحقّ وتقيمون القسط عليها، والظاهر أنّه أراد بقوله: ولو على أنفسكم أنفس الشهداء لله تعالى، وأبعدَ من جورٍ أن يكونَ المعنى في أنفسكم))^(٢)؛ بدلالة قوله تعالى (شهداء لله) عليه، فلم يحمل المُتَلَقِّي كثير من المؤونة في تحديد المحذوف؛ لأنّ الدليل المقالي يساعد على استمرارية إدراكه، ويوسع مفهومه على امتداد المتواليات النصّية التي وقع فيها، ولاشكّ أنّه قد أوجد بوساطة مرجعية المحذوف إلى المذكور تعالفًا على مستوى البنية التركيبية والدلالية.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المتحنة: ١)، ويرى ابن جزري في تفسيره لهذه الآية أنّ جواب الشرط لـ ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، والتقدير إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء^(٣).

(١) ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ١٣٠ .

(٢) البحر المحيط: ٩٤ / ٤ .

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٣٥ / ٢ .

لقد ساعد الحذف على تجنب التكرار، وأدى إلى استمرارية المعنى، فهو يقع في البنية السطحية والشكلية للنص؛ ويعامل معاملة المذكور من حيث المعنى؛ إذ تتمثل فيه المرجعية فالمحذوف يحيل على المعنى المذكور، وتتعدد أدوره داخل النصّ فهو أحد وسائل الربط بين جملتين متعاقبتين، وقد يمتدّ إلى مجموعة من الجمل المتجاورة، فتتشكل سلاسل متتالية للحذف.

ومن هنا يتّضح لنا مدى أثر ظاهرة الحذف في اتساق الآيات الاجتماعية وتماسكها، وذلك لعلاقته بترابط أجزاء النصّ من خلال إشراك المُتلقي في عملية بناء النصّ، وتنشيطه لمساحات واسعة منه اتكاءً على فهمه ومعرفته النحوية والبلاغية بالأعراف اللغوية في التواصل الحواريّ، وعليه تكون هذه الظاهرة من الظواهر اللغوية المميزة في اتساق النصّ وتماسكه في ضوء بحث المُتلقي عن العنصر المحذوف، وردم الفجوات، وسدّ الفراغات من خلال سابق الكلام ولاحقه محققًا بذلك سرعة الوصول إلى مضمون النصّ، ممّا يشكّل جسراً تواصلياً بين مرسل النصّ ومتلقيه.

ثالثاً: الاستبدال:

البَدَل لغة: البَدَل في اللغة، خلف الشيء وعوضه، وكذا البديل، وفيه معنى المفعول، أي ما جعل مكان شيء آخر، والإبدال: جعل شيء مكان آخر^(١)، كما جاء في التنزيل: ﴿فَأْمَرْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ﴾ (الكهف: ٨١).

وفي الاصطلاح وسيلة من وسائل التماسك الشكلي في النصّ، وهو: تعويض عنصر بعنصر آخر^(٢) داخل النصّ، أي إبدال كيان لغويّ موجود في النصّ بكيان آخر؛ ليتحقّق بذلك اتّساق النصّ وانسجامه، مع ترابط أجزائه، وهذه الوسيلة من التماسك النصّي تعتمد بنسبة كبيرة على ذكاء المُتلقي وفطنته ليتسنى له فهمها وإدراك مقاصدها الدلالية، فهي لا تقوم على مبدأ التطابق والتماثل، بل على التقابل والاختلاف بين العناصر، ممّا ينتج عنه استبعاد عنصر وإحلال آخر بدلاً عنه من دون أن يُلغى الاتساق بين أجزاء النصّ^(٣).

وبالرجوع إلى التراث العربيّ نجد أنّ الاستبدال كان حاضرًا في دراساتهم النحويّة، إذ كان يطلق عليه مصطلح (البَدَل)؛ إلّا أنّه يختلف عن الدراسات النصّيّة الحديثة من ناحية الوظيفة، فقد تناوله القدماء على أنّه تابع من التوابع، ويقع فقط في الأسماء وداخل الجملة الواحدة، في حين أنّ اللسانيين عدّوه وسيلة من وسائل التماسك النصّي، يقع داخل الجملة والنصّ، فعرفوه على أنّه: ((تابع يمهد له بذكر متبوع قبله غير مقصود لذاته؛ وإنّما التابع هو المقصود وحده بالحكم، ويسمّى التابع بدلًا، والمتبوع مُبدلاً منه))^(٤)، وقسموه على ثلاثة أقسام^(٥):

(بدل كلّ من كلّ، وبدل بعض من كلّ، وبدل الاشتمال)، فالبدل على وفق هذا التقسيم يقع في الأسماء من دون الأفعال.

(١) ينظر: لسان العرب مادة (بدل): ١ / ٢٤٥، والمصباح المنير: ١ / ٣٩، والمفردات: ١ / ١١١.

(٢) ينظر: لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٣) ينظر: السبك في العربيّة المعاصرة بين المنطوق والمكتوب: ٩٧.

(٤) النحو الميسر: ٢٧١.

(٥) ينظر: المقرب: ١ / ٢٤٢-٢٤٣.

وعبر عنه (هاليداي ورقية حسن) في حديثهما عن الفرق بين الإحالة والاستبدال بقولهما: ((الاستبدال علاقة مجالها الصيغ اللغوية من قبيل المفردات والمركبات، ويتم في المستوى النحوي والمعجمي))^(١)، أما الإحالة فهي علاقة بين المعاني وتتم في المستوى الدلالي، وعند الرجوع إلى كتاب الدكتور محمد الشاوش نجده يرفض ذلك الفرق بين الإحالة والاستبدال واصفاً إياه بالتكلف والافتعال، منطلقاً من عدّ الاستبدال مكبلاً بالقيود النحوية والمعجمية، على حين أنّ الإحالة مكبلة بالقيود الدلالية المعنوية، فالأخيرة وإن كانت خاضعة للقيود الدلالية إلا أنّها محتفظة بعمادها اللغوي المتمثل بالضمائر، وأسماء الإشارة، وألفاظ المقارنة، والأسماء الموصولة^(٢).

أما بشأن الفرق بين الحذف والاستبدال فقد تطرّقنا إليه عند حديثنا عن مفهوم الحذف، ويمكن الرجوع إليه لمعرفة الفرق بينهما، فالاستبدال وفقاً للمعطيات السالفة الذكر هو علاقة اتساق قائمة بحد ذاتها، تتم في المستوى النحوي والمعجمي، وهو علاقة تقابل بين عنصري الاستبدال (المُستبدل والمُستبدل منه) تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد، أي استبعاد وصف وإحلال آخر محله.

أنواع الاستبدال:

وينقسم الاستبدال - بحسب نوع العنصر المُستبدل - على ثلاثة أقسام^(٣):

١. الاستبدال الاسمي: وفيه تستبدل الكلمات (Same, Ones, One) من الأسماء الأخرى المتقدّمة عليها في النص نفسه، ويقابلها في العربية الكلمات (آخر، آخرون، نفس، واحد).

ومن الأمثلة القرآنية على الاستبدال الاسمي في الآيات الاجتماعية ما جاء في قوله

تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَاللَّائِي يَسْنُنَ مِنَ الْمَهِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ

(١) الاتساق في الإنكليزية: ٨٩ .

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١ / ١٣٢ .

(٣) ينظر: الاتساق في الإنكليزية: ٨٨ .

إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَبِقِ اللَّهُ يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا (٥) أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكْتُمْ مِنْ
وَجَدِكُمْ وَكَا تُضَامِرُوهُنَّ لَتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٌ فَأَتَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ
لَكُمْ فَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُ أُخْرَى ﴿ (الطلاق: ٤-٦)؛

فالتصّ المبارك في بيان حكم المطلقة التي بلغت مبلغ اليأس، فتجاوزت العمر الذي تحيض به، والمطلقة غير البالغة، أي لم تصل سن المحيض ثلاثة أشهر، والحامل المطلقة عدتها وضع الجنين^(١)، حكماً شرعياً، وعلى المكلفين الالتزام به، وهذه الأوامر كلها أُنْتُبِدِلت بِ(ذلك أمر الله)، وكأنه جاء بِ(ذلك) بدلاً من معنى الآية السابقة أو مضمونها، فضلاً عن إنَّ هناك استبدال اسمي آخر حصل في الآية الكريمة فقد حلَّ لفظ (أخرى) محلَّ (نساء)، وهي علاقة استبدال تعمل على استمرارية المعنى، من خلال تعلق العنصرين وترابطهما، فلا يفهم العنصر المُستبدل من دون العودة إلى العنصر الذي سبق ذكره لمتعلق به، ولا يخفى ما للاستبدالات من وظيفة اتساقية تأخذ بأجزاء النص لتكسبه حيوية حركية، فالاستبدال الذي حدث بين (النساء وأخرى) جاء نتيجة لكون المستبدل به هو هو المستبدل إذا استعرنا التعبير النحوي القديم.

وهذا الاستبدال منح النص استمرارية متوهجة في ذهن المُتلقي تجعله لا ينصرف عنها إلى غيرها، ولكون هذه الصفات يحلّ بعضها محلّ الآخر، وجاءت الآيات الكريمة وكأنها جملة واحدة، مع تجنب تكرار التعبير نفسه.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا
لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِّمُوا أَنكُم مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

في هذه الآية الكريمة شبه الله تعالى أرحام النساء التي منها النسل بالبذور التي تُرمى في الأرض لتنتج ثمرها؛ فقوله تعالى (فأتوا حركم) يدل على الوجوب إذ لا معنى لإيجاب

(١) ينظر: الكشاف: ٢٨/ ١١١٦، ومدارك التنزيل: ٣/ ٤٩٩، والتحرير والتنوير: ٢٨/ ٣١٥.

فعل مع إرجاعه إلى اختيار المكلف ومشيبته^(١)، وجملة ((نساؤكم حرث مُقدّمة لجملة فأتوا حرثكم أنى شئتم وفيها معنى التعليل للإذن بإتيانهنّ أنى شاءوا))^(٢)، وجيء بـ (أنى) الدالة على الأمكنة والكيفيات، وقد قيل بورودها في الأمكنة فقط، ومنهم من قال بورودها في الكيفيات؛ فهي في هذه الآية الكريمة أقرب إلى أمكنة ابتداء الإتيان^(٣)، والغاية من الارتباط الجسديّ بين الأزواج الإنجاب، ففي قوله تعالى: ((وقدموا لأنفسكم)) (أي لا تأخذوا المتاع اللحظي العاجل على أنّه هو الغاية بل خذوه لما هو آت))^(٤) نلاحظ هناك استبدال حاصل بين لفظتي (نساؤكم) و(حرثكم)، إذ حلّ الاسم (حرثكم) محلّ (نساؤكم)، فالتقابل بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمستبدل به) حصل على المستوى المعجمي، والدلالي، وإنّ علاقة الاستبدال شاركت في اتّساق النّص، وأدّت وظيفة الإيجاز والاختصار؛ لأنّهما يُشيران إلى الشيء نفسه، ولكن بلفظين مختلفين، وقد استبعد لفظ (نساؤكم) وجيء بما يقابلها (حرثكم) لحكمة أشار إليها الزمخشريّ؛ بأنّها من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة التي ترد في القرآن، وهذه الألفاظ في كلام الله دلالة على حسن آداب التي يجب على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدّبوا بها^(٥).

ومن الآيات المتضمّنة استبدالاً اسمياً ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أَمَا يَبْلُغْنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَهْزُمَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

فالناظر يلحظ الاستبدال المتحقّق في النّص الكريم بين لفظتي (أحدهما) و(الوالدين)، إذا حلّت لفظتا (أحدهما أو كلاهما) محلّ (الوالدين) مع الاحتفاظ بنسق النّص وانسيابيته، فضلاً عن إبقائه على الدلالة التي تشير إليها لفظة (الوالدين) في أوّل الآية؛ ذلك أنّ

(١) ينظر: الميزان: ٢ / ٢١٧ .

(٢) التحرير والتنوير: ٢ / ٣٧١ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢ / ٣٧٤ .

(٤) تفسير الشعراوي: ٢ / ٩٦٩ .

(٥) ينظر: الكشاف: ٢ / ١٣٠، وأنوار التنزيل: ١ / ١٣٩ .

الإحسان المقرّر والمفروض من الله تعالى غير مقصور على أحدهما من دون الآخر، فجاءت اللفظتان (أحدهما أو كلاهما) معطوفتين على بعضهما؛ للدلالة عن اشتراكهما بصفة الإحسان والرعاية، وهكذا نلاحظ أنّ الاستبدال أبقى على اتّساق النصّ وترابطه.

ومن قبيل الاستبدال الاسميّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتَامِ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَثَلَاثٍ وَمِرْبَاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣)، توضّح الآية الكريمة أحقيّة الرجل في الزواج من أكثر من امرأة، ففيها إذن ((لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متّقين فيه ومختلفين، كقولك: اقتسموا هذه البدره درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ... فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع))^(١)، فالاستبدال الاسميّ الحاصل في النصّ الكريم قد تمّ في لفظة (واحدة) بديلة عن الجملة التي سبقتها (فانكحوا ما طاب لكم...)، وقد أفاد الاستبدال هنا الاتّساق النصّيّ من دون إعادة اللفظ بعينه، فأسهّم في اختزال الكلام وتماسك النصّ، فالاستبدال يؤدّي وظيفة الحذف؛ إذ يحصل الاقتصاد في الاستعمال عن طريق جعل المعنى مستمرًا في ذهن المتلقّي من دون الحاجة إلى التصريح بلفظه مرة أخرى^(٢).

٢. الاستبدال الفعليّ: وفيه يحلّ فعل محلّ فعل آخر متقدّم عليه ويمثّله في الإنجليزية (do) بصيغته المختلفة، وفي العربيّة مادّة (فعل) بصيغتها المختلفة، ومثاله:

- هل يهمل الطالب المجتهد دروسه؟

- لا أظنّه يفعل.

فاستبدلت (يفعل) بكلام يفترض أن يحل محلّها (يهمل دروسه).

(١) أنوار التنزيل: ٥٩ / ٢ .

(٢) ينظر: لسانيّات النصّ، النظرية والتطبيق: ١٢١ .

ومن شواهد في الآيات الاجتماعية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمَامِي فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣).

تُعدّ جملة ((وإن خفتم ألا تقسطوا)) و((فإن خفتم ألا تعدلوا)) من قبيل الأضداد، فالخوف المذكور في النصّ القرآني قد يكون معلوماً، وقد يكون مظنوناً^(١)، وجاء في تفسير المحرّر الوجيز: أنّ الخوف لا يكون ((بمعنى اليقين بوجه، وإنما هو من أفعال التوقع إلا أنه قد يميل الظنّ فيه إلى إحدى الجهتين، وأمّا أن يصل إلى حد اليقين فلا))^(٢)، وقد تجلّى اتساق النصّ في عملية الاستبدال الفعليّ الحاصل بين لفظة (تعدلوا) و (تقسطوا)، فعلى رغم من التقارب الدلاليّ الكبير بين اللفظتين، فكلاهما يُراد به الإنصاف والمساواة، إلا أنّ هناك ملمح دلاليّ دقيق يتّصف به لفظ (تقسطوا)، ذلك أنّ ظهور الإنصاف والمساواة يكون ظهوراً بيانياً^(٣)، وهكذا فقد تحقّق الاتساق عن طريق إحدى وسائل الاستبدال ألا وهي الإيجاز والاختصار.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من الاستبدال قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَمْرُؤُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٣-٢٤).

أشارت الآية الكريمة إلى أنّ قذف المحصّنات المؤمنات من الكبائر، وتحلّ على قائلها لعنة الله وغضبه، ونلاحظ أنّ الاستبدال الفعليّ في النصّ القرآنيّ قد تمّ بين جملة (يرمون المحصّنات) والفعل (يعملون) وهذا الاستبدال أسهم في اختزال الألفاظ، وسبك العبارتين، واتساقهما داخل النصّ، وربط الأجزاء بعضها ببعض، ذلك أنّ الفعل (يفعلون) اختزل بداخله

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٥ .

(٢) المحرر الوجيز: ٦ / ٢ .

(٣) ينظر: معجم الفروق الدلالية: ٣٤١ .

جملة كاملة وهي (يرمون المحصنات...)، فحقق الترابط والاتساق داخل النص، وجاءت هذه الآية المباركة متنسقة، ومتناسقة مع الآية التي سبقتها في استمرارية المعنى واكتماله.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَاتِّغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (الممتحنة: ١)، فالاستبدال هنا تم في الفعل (يفعل) ليكون بديلاً عن الفعل (تتخذوا)؛ لأن ضمير الغيبة في الجملة الفعلية (يفعله) عائد إلى الاتخاذ من الفعل (لا تتخذوا) أي: ومن يفعل ذلك بعد هذا النهي والتحذير فهو قد ضلَّ عن سواء السبيل، فقد حافظ الاستبدال على استمرارية مستوى الفعل، وأدى إلى تكثيف المعنى وتماسك الصورة واتساقها بين المُستبدل والمستبدل منه.

٣. الاستبدال الحرفي: وفيه يتم إحلال عنصر لغوي محلَّ عبارة داخل النص بشرط أن يتضمَّن المستبدل منه محتوى العبارة المُستبدل منها^(١)، ويتم باستعمال أدوات (ذلك، هذا، لا)، ومثاله قولنا:

- هل ستحضر الحفل؟

- لا.

فكلمة (لا) فقد استبدلت بجملة سابقة كان من المفترض أن تذكر، وهي: (لا، لن أحضر الحفل).

ومن شواهد في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ

(١) ينظر: الاتساق في الإنكليزية: ٨٨ .

الْبَيْعِ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقِهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٧٥﴾.

ففي النصّ القرآنيّ استبدال قولي تجسّد في اسم الإشارة (ذلك)، حيث يؤدي الاسم الإشاريّ هنا دور الموصل لكلّ السياق السابق ويسمح مع ما بعده ببناء علاقة التعليل مع واقع اللغة، إنّ علاقة التعليل تنشأ أساساً في الجملة الثانية بين الاسم الإشاريّ وما بعده، وبهذا أشار أبو حيان الأندلسيّ بقوله: ((ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى أكلهم الربا، أي ذلك الأكل الذي استحلّوه بسبب قولهم واعتقادهم أن البيع مثل الربا، أي: مُستندُهُم في ذلك التسوية عندهم بين الربا والبيع))^(١).

إنّ هنا إشارة إلى ما ذكر من حالهم وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بفضاعة المشار إليه، فكلمة (ذلك) جاءت بدلاً من الكلام السابق بقوله: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ...) وقد أحال هذا العنصر اللغويّ (ذلك) إحالة قبليّة، كما يحتمل لفظ (ذلك) إشارة إلى ما نزل بهم من العذاب في السياق اللاحق (بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) أرادوا نظمهما في سلك واحد (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، فكان عاملاً من العوامل المساعدة على التماسك النصّي بين الجمل المقامة السابقة أو اللاحقة.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِنَّا أَنْتَ كُنَّا نَجَارِكُمْ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نَصَلِّبُهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿(النساء: ٢٩-٣٠)).

والمتمأمل للنصّ يجد أنّ الاستبدال القوليّ في الآية السابقة تحقّق في اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ((ومن يفعل ذلك ...)) وبين ما قبلها وهو جملة لا تقتلوا، في قوله تعالى: ((ولا تقتلوا أنفسكم...))؛ فاسم الإشارة (ذلك) ((إشارة إلى القتل، أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدواناً وظلماً لا خطأ ولا اقتصاصاً))^(٢)، فقد ساعد اسم الإشارة على اختزال

(١) البحر المحيط: ٧٠٧ / ٢، وينظر: تفسير ابن عرفة: ٧٦٧ / ٢ .

(٢) الكشف: ٢٣٣ / ٥ .

الألفاظ وترابط النص، وهناك من يرى أنه عائد على أكل المال بالباطل، أو عائد على كل ما ذُكر سابقاً من نهي^(١).

ونلاحظ في الآية الكريمة استبدال قولي آخر حاصل في قوله تعالى: (ذلك) بدلاً عن الجملة في قوله تعالى: (فسوف نصليه ناراً) فقد حَقَّق اسم الإشارة هنا استبدالاً نصياً؛ وذلك باختزاله تركيبياً نحوياً ساعد على الاستغناء عن الوحدات النصية السابقة.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

في النص القرآني استبدال قولي حاصل بين جملة (أولئك هم المفلحون)، وقوله تعالى: (آمنوا به وعزروه)، فقد جاء في التحرير والتتوير أن اسم الإشارة في قوله تعالى: (أولئك هم المفلحون) للتتويه بشأنهم، وللدلالة على أن المشار إليهم بتلك الأوصاف صاروا أحرى بما يخبر به عنهم بعد اسم الإشارة^(٢)، فحلت لفظة (أولئك) محل مجموعة من العبارات الطويلة من النص، فحققت ترابطاً بين اللاحق وما سبقه من مقطوعة طويلة ساعدت على الاستمرار الدلالي عبر تراكيب نحوية سطحية، في تكوين بنية النص الكبرى، واختصرها بلفظ موجز، فعمد بذلك إلى الاقتصاد والبعد عن تكرار تلك العبارات، فأصبح النص ذا اتساق نصي قربه من ذائقة المتلقي، بما خلعت عليه هذه الوسيلة النصية من جمال التواشج والتعلق بين أجزائه.

ومن أمثلة الاستبدال القولي قوله تعالى: ﴿وَكَأْتُمْ سِكُوهُنَّ ضِرَامًا لَتَعْتُدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ٢٣١).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٢ / ٢ ، وأنوار التنزيل: ٧١ / ٢ .

(٢) التحرير والتتوير: ٤٨٣ / ٥ .

ففي الآية الكريمة كان الاستبدال بجملة (يفعل ذلك)، فاستبدالها بالجملة السابقة (ولا تمسكوهن ضرارًا)، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): ((كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ، فَإِذَا قَارَبَتْ انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ رَاجِعَهَا ضِرَارًا، لئَلَّا تَذْهَبَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَعْتَدُ))^(١)، إذ ربط الاستبدال لاحق النَّصِّ بسابقه ليكون منه تشابكًا في فضاء النَّصِّ يعضد بعضه بعضًا؛ ليقوي تحقيق المفهوم الذي أَرَادَهُ النَّصُّ في حصر تحصيل الوعيد من الله تعالى، جاء في التفسير المنير: ((ومن يفعل هذا الفعل الممنوع وهو الأمسك على سبيل الضرر والعدوان، فقد ظلم نفسه))^(٢)، فساعد هذا الاستبدال على تنشيط ذهن المُتَلَقِّي ولفت انتباهه إلى مساحة كبيرة ذات دلالات واسعة من بنية النَّصِّ، وهذا مؤدَّى الوظيفة النَّصِّيَّة للاستبدال.

فالاستبدال ليس غرضه إقامة علاقات نحويَّة أو معجميَّة حسب، بل لإقامة علاقات دلاليَّة تمنح النَّصِّ صفة الاستمراريَّة من دون الحاجة إلى تكرار التعبير، فبذلك يتحقَّق اتساق النَّصِّ وتماسكه، كما ترجع أهميَّة الاستبدال في تحقيق اتساق النَّصِّ من خلال ملاحظة العلاقة بين المُستبدل والمستبدل منه، وهي علاقة قبليَّة بين عنصر سابق في النَّصِّ وعنصر لاحق فيه^(٣).

والاستبدال وسيلة مهمَّة للربط بين الجمل، إذ يقوم العنصر المُستبدل به بالدور الذي يؤدِّيه العنصر المُستبدل منه، وهذه الاستمراريَّة في تبادل الأدوار داخل السياق اللغوي للنَّصِّ تمنحه القوَّة في التماسك.

ويساهم الاستبدال في تماسك النَّصِّ عن طريق وضع ألفاظ جديدة داخل النَّصِّ، تجعل القارئ أمَّام حشد كبير من الدَّلالات التي يلجأ إليها الكاتب (مؤسَّس النَّصِّ)؛ بدلًا من تكرار بعض الألفاظ التي قد تبدو مملة بعض الشيء عند إعادتها لمرَّات عدَّة داخل النَّصِّ الواحد، والحذف من الإسقاط، أي إسقاط المفردة بشكل نهائيٍّ من النَّصِّ، إلَّا أنَّ الاستبدال هو جعل ألفاظ مرادفة أو قريبة يفهمها القارئ أو المُتَلَقِّي بوضوح تامَّ عند تلقَّيه النَّصِّ أو الخطاب.

(١) تفسير القرآن العظيم: ١ / ٤٧٥ .

(٢) التفسير المنير: ٢ / ٣٥١ .

(٣) ينظر: لسانيَّات النَّصِّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠ - ٢١ ، والمعايير النَّصِّيَّة في السور القرآنيَّة: ٩٧ .

رابعاً: الوصل (الربط):

الوصل لغة: الوصل في الموروث المعجمي من: الشدّ أو الربط، وهو مصدر الفعل وصل يصل وصلًا وصلته، وصلت الشيء وصلًا وصلته، والوصل ضدّ الهجران، الوصل خلاف الفصل، ووصل الشيء بالشيء، يصله وصلًا، وصلته وصلته^(١).

لقد ارتبط مصطلح الوصل في الدراسات النصّية الحديثة بمصطلح العطف والوصل والفصل في الموروث العربيّ (النحويّ والبلاغيّ)، فقد أسهب علماء اللغة السابقون فيه أيّما إسهاب، فكانوا ((قصب السبق في التأسيس لأسس ترابط عناصر الكلام من فصل ووصل واتّصال الكلام وعلاقات الألفاظ بعضها ببعض))^(٢)، فلا يكاد يخلو منه كتاب نحويّ أو بلاغيّ؛ لما له من أثر مهمّ في بناء الجمل والنصوص من خلال أدوات العطف التي تؤدّي إلى الكفاءة النصّية.

والوصل اصطلاحًا ((تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف العشرة))^(٣)، وهي كما عدّها المبرد (ت ٢٨٥هـ): (الواو، الفاء، ثمّ، أو، لا، أمّا، بل، لكنّ، أمّ، حتّى)^(٤)، وسار عليها النحاة من بعده، ولكلّ واحد منها دلالاته ووظيفته التي يؤدّيها بين المفردات والمركبات، ويختار المتكلم ما يريد من هذه الحروف في كلامه، وما يلائم المعنى الذي يريد إيصاله إلى المتلقّي، فيكون لها دورها المباشر في ((حمل الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، بشرط توسط حرفٍ بينهما من الحروف الموضوعه لذلك))^(٥)،

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (و ص ل): ٢ / ٤٢٩٧ ، وتاج العروس، مادة (و ص ل): ٣١ / ٧٨ - ٨٠ .

(٢) النحو القرآنيّ في ضوء لسانيّات النصّ: ١٩٢ .

(٣) شرح الرضيّ على الكافية: ٢ / ٣٣٢ .

(٤) ينظر: المقتضب: ١ / ١٠ - ١٢ ، والأصول في النحو: ٢ / ٥٥ - ٥٧ ، وشرح الرضيّ على الكافية: ٤ /

٣٨١ .

(٥) المُقَرَّب: ١ / ٢٢٩ ، وينظر: دلائل الإعجاز: ١٤٨ ، وشرح المُفَصَّل: ٢ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والكافية في النحو:

١ / ٣١٨ .

فالوظيفة الأساسية للعطف على حدّ تعبير سيبويه تتجسّد في ((وصل الكلام بعضه ببعض))^(١)، بمعنى حضور الأداة بين الكلمتين أو الجملتين للربط بينهما.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاهتمام بهذا المصطلح سابقاً لم يكن مستقلاً بحدّ ذاته، فقد كان يُدرس ضمن موضوع عام يُعرف بـ(التوابع) - كما مرّ بنا سابقاً في موضوع الاستبدال- فلقد انصبّ جهد أغلب النحاة في دراستهم لموضوع العطف على عطف المفردات، ولم يعبثوا عنايةً كبيرةً بعطف الجمل^(٢)، بخلاف البلاغيين الذين انصرفوا عن عطف المفردات، واقتصر بحثهم في العطف على عطف الجمل؛ إذ إنهم لم يستعينوا بعطف الألفاظ إلا ما يخدم دراساتهم البلاغية، وبعبارة أدقّ ما يتعلّق بمسائل الفصل والوصل فقط^(٣).

وتتحقّق للعطف فوائد بلاغية جمّة؛ فهو الخيط الذي تنتظم فيه الألفاظ والجمل كما تنتظم الدرر في العقد، لذلك أولى عبد القاهر الجرجانيّ العطف جلّ عنايته من البحث والتقصّي، وذهب إلى أنّ سرّ تنوع أدوات العطف له خاصيّة دلاليّة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((وأعلم أنّ سبيلنا أنّ ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثمّ نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها، ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أنّ يشرك الثاني في إعراب الأوّل، وأنّه إذا أشركه في إعرابه، فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أنّ المعطوف على المرفوع بأنّه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنّه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك))^(٤)، وهناك شرطان أساسيان لا بدّ منهما في العطف حتّى يتحقّق معناه^(٥):

الأوّل: الاتّصال: أي وجود علاقة مشتركة بين المعطوف والمعطوف عليه.

الثاني: المغايرة: أي عدم عطف الشيء على نفسه، وعطفه على غيره.

(١) الكتاب: ١ / ٤٣٧ .

(٢) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ٧٦ - ٧٧ ، والنحو الوافي: ٣ / ٥٥٥ - ٥٦٠ .

(٣) ينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم: ٩٨ .

(٤) دلائل الإعجاز: ١٤٨ .

(٥) ينظر: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم: ١٢٥ ، وعلم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١ /

١٤٧ - ١٥٠ .

وهذه اللّمحات أساس الترابط النحويّ والبلاغيّ عند العرب، إذ أسهمت في ضبط القواعد المشكلة للنّصّ من غير توقّف وانقطاع، وهذا إن دلّ على شيء فقد يدلّ على وعي العرب ونباهتهم بدقائق الاتّصال وتعلّق مكوّنات النّصّ بعضها ببعض^(١).

ويتناول علماء علم لغة النّصّ موضوع الوصل بوصفه وسيلة من وسائل التماسك النّصيّ؛ لأنّ النّصّ مجموعة من الجمل المتتالية والمتعاقبة أفقيّاً، وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتّى تكون نصّاً متماسكاً.

ولأهميّة الوصل عدّه (دفيد كريستال) أول وسيلة من وسائل الاتّساق مقارنة بالوسائل الأخرى (الإحالة والتكرار والمقارنة ...) في تحقيق التماسك النّصيّ^(٢).

وتكشف النظرة العامّة لهذه المصطلح ما أقرّه اللغويّان (هاليداي ورقية حسن): ((أنّ طبيعة الربط بالأداة تختلف عن علاقات التماسك الأخرى (الإحالة، الاستبدال، الحذف)، فهي ليست علاقة إحاليّة))^(٣)، إذ يمتاز الوصل من باقي عناصر الاتّساق الأخرى؛ بكونه لا يبحث عن مرجعيّة في السابق عليه أو اللاحق له مثلما كان الحال في الإحالة، أو يحتاج إلى تقدير محذوف حتّى تكتمل سلسلة المتتابعات النّصيّة، وإنّما تقوم علاقة الوصل أصلاً على أدوات تجمع بين متتاليات نصّية لإفادة التماسك فيما بينهم.

ويضيف كلّ من (هاليداي ورقية حسن) أنّ المقصود بعملية الربط بالأداة في الوصل الطريق التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم^(٤)، وإنّ هذا الربط أو الوصل بين عناصر التركيب والجمل ((يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات والصور التي تترابط بأنواع الربط المختلفة يحسن أن تعد ذات نظام سطحي متشابه))^(٥)، وهذا ما ذهب إليه أيضاً الدكتور أحمد عفيفي في قوله: أنّ العطف ((وسائل

(١) ينظر: النحو القرآنيّ في ضوء لسانيّات النّصّ: ١٨٧ - ١٨٩ .

(٢) ينظر: علم اللغة النّصيّ بين النظرية والتطبيق: ١ / ٢٥٧ .

(٣) التماسك النّصيّ للاستخدام اللغويّ في شعر الخنساء: ٢٩ ، وينظر: علم لغة النّصّ النظرية والتطبيق: ١١٠ ، والاتّساق في الإنكليزية: ٢٢٦ .

(٤) ينظر: لسانيّات النّصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣ .

(٥) النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٤٦ .

متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية^(١)، ثم أشار بعد ذلك إلى صور عدة تؤدي إلى علاقات ترابطية عن طريق أدوات الربط تُستنتج بوساطته دلالة النص^(٢).

في حين ربط الدكتور سعيد بحيري أدوات العطف بوظائف نحوية ودلالية وبلاغية في معرض حديثه في العطف في قوله: ((الربط النحوي خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، والعوامل التي يعتمد الترابط على المستوى السطحي للنص ما يتمثل في مؤشرات لغوية مثل علامات العطف والوصل والفصل))^(٣)، فالنص على حد قول بحيري وحدة دلالية كبرى تتألف من جمل عديدة يربط بعضها ببعض جملة من أدوات الربط، فهو بذلك مركب بسيط من جمل تقوم بينهما وشائج تناسق وانسجام، يتخللها جملة من العلاقات الدلالية بين مكوناته السطحية^(٤) سواء أكانت تلك العلاقات صريحة أو ضمنية^(٥).

فهو بهذا المعنى تتمثل وظيفتها داخل النص في تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة^(٦)؛ لأنّ تناظر الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية يمثل المبدأ الذي يحكم العطف^(٧)، ووسيلة لتفسير كيف توجد تلك العلاقات في سطح النص^(٨).

والعطف مشاركة بين عنصرين يحيل الثاني على الأول ويرتبط به، فهو بذلك يتجاوز الوظيفة الشكلية ليؤدي وظيفة جمالية أسهمت في تكثيف النص بدلاً من إطلاته، ومن ثمّ يمنح النص حركة دلالية تلتقي عندها مكونات النص ليحصل تناغم بين تلك المكونات

(١) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٩ .

(٣) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: ١٢٣ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: ٢٥ .

(٥) ينظر: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً): ٦١ .

(٦) ينظر: النص والسياق: ٨٣ .

(٧) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٦٣ .

(٨) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٠ .

وترابطها على رغم من تباعدها^(١)، وبهذا الربط تتحقق سمة التماسك الشكلي والدلالي للنص، ويزداد بها قوة وصلابة من جانب، واستمرارية وامتداد من جانب آخر؛ وبذلك فهي السمات الجوهرية داخل النص، ومن دونها يفقد النص سمة النصية؛ لتفكك جملة وتبعثرها.

وقد حدّد الباحثان (هاليداي ورقية حسن) أربعة أنواع للوصل، هي^(٢):

١. الوصل الإضافي: وهو الربط بين جملتين أو أكثر، ويُعبّر عنها بالأدوات (الواو، الفاء، أم، أو) فيتمّ الربط بين الجمل بوساطتها لإضافتها معنى جديد، فتضيف كلّ جملة لاحقة إلى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً^(٣)، وهذا ما أطلق عليه الدكتور تمام حسان بالربط الجمعي منعاً للبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية^(٤)، ويتجلى هذا النوع من الربط في آيات الخطاب الاجتماعي ما ورد في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَكَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتَهُ وَمَا ذُحِّجَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَنْزَامِ ذَٰلِكُمْ فَسِقُ الْيَوْمِ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).

نلاحظ في الآية الكريمة أنّ الرابط (الواو) قد ربط بين جمل ثلاث: الأولى في قوله تعالى: (أكملت لكم دينكم)، وعطف قوله تعالى: (وأتممت عليكم نعمتي)، و (رضيت لكم الإسلام ديناً)، فجملة أتممت عليكم نعمتي (وكان فصلها عن التي قبلها جارياً على سنن الجمل التي تُساق للتعديد في منّة أو توبيخ، ولأجل ذلك أعيد لفظ اليوم ليتعلّق بقوله أكملت))^(٥)، بمعنى أنّ ظاهر الجملة معطوفة على جملة (أكملت لكم دينكم)، ممّا يجعل

(١) ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن: ١٩٧ .

(٢) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣ - ٢٤ .

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٢ .

(٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٥، وعلم لغة النص بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً): ٢٣ .

تمام النعمة حاصلًا يوم نزول هذه الآية^(١)، وأمّا جملة (رضيت لكم الإسلام دينًا)، فمعطوفة على الجملتين اللتين قبلها، فهذا يدلّ على أنّ الواو رابط دلاليّ وتركيبيّ بين الوحدات اللغويّة، ممّا أسهم في جعل الكلام كتلة نصيّة واحدة.

ومن الآيات التي ورد فيها الواو رابطًا بين مفاصل النّصّ القرآنيّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

جاء النّصّ القرآنيّ في سياق تربية الأفراد تربية أخلاقيّة واجتماعيّة، ففيه تشريع الآداب المتعلقة بغضّ البصر وحفظ الفروج والتّنبه عليهما، وقد أشرك المؤمنات مع الرجال في حكم غضّ البصر، وقد قدّم الله تعالى (غضّ البصر) على (حفظ الفروج)؛ وذلك ((لأنّ النظر بريد الزنى ورائد الفجور، والبلوى فيه أشدّ وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه))^(٢)، وأنّ في النّصّ القرآنيّ تعدادًا للمواضع التي يُسمح للمرأة فيها ترك الحجاب، فجاء العطف ب (أو) لبيان أنّ هؤلاء جميعًا مشمولون بالأمر الإلهيّ.

نلاحظ في الآية الكريمة تكرار حرفي العطف (الواو و أو) فبوساطة حرف العطف الواو تمّ ربط جملة من الأوامر والنواهي في نسق سببيّ واحد، فغضّ الإبصار وحفظ الفروج، وعدم إظهار الزينة... إذ لم يتم الاستغناء بوحدة عن الأخرى، فالنّصّ المبارك جاءت آياته محبوكة بأداة الربط (الواو) ممّا أفادت هذه الأداة تبيان نوع العلاقة بين الملفوظات الواردة في النّصّ والتي لا يمكن الجمع في ذات واحدة بمعنى أنّ الأب غير الأبن وغير البعل، ثمّ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٦ / ٦ .

(٢) الكشف: ٢٣٠ / ٣، وينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٢٥٧ / ١٨ .

أسهمت في تبيان ما يترتب عليه من حكم شرعي، إذ أدت تلك الأداة أثرًا كبيرًا في تحقيق التماسك النصي بين الجمل.

فألذي اكسب النصّ قوّة في التماسك والترابط، اشتماله على أداة أخرى، ألا وهي (أو) فقد أفادت الإباحة في وقوع أحد الأمرين، إذ لا مانع من الجمع بينهما، والأداة الواردة في هذه الآية أفادت التنويع لا التخيير في الحكم المتعلق بالملفوظات الواردة فيها وجاء في إعراب (أو) ((عاطفة لمطلق الجمع بمعنى الواو في المواضع الأحد عشر))^(١)، إلا أننا نلاحظ أنّ الباري -جلّ وعلا- لم يجعل الأعمام والأخوال ضمن المحلّ على المؤمنة إظهار زينتها أمامه، وقد ورد في الكشاف تسويغ لعدم ذكرهم، مفاده أنّ الأب إذا رآها فربّما يصفها لابنه وهو ليس من محارمها، إذ تحلّ عليه، فيكون تصوّره لها بالوصف بمنزلة النظر إليها، فهذا أيضًا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط والتستّر^(٢).

ومثال آخر في العطف الإضافي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، ورد في النصّ القرآني معطوفات كثيرة، وكلّها من نوع عطف المفرد على المفرد ف (اليوم) عطف على لفظ الجلالة الله (والآخر) صفة (والملائكة والكتب والنبيين) عطف أيضًا على لفظ الجلالة الله (وآتى) معطوف على (آمن) داخل في حيز الصلاة، واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين (كلها معطوفة على (ذوي)، (وفي الرقاب) الجار والمجرور معطوف أيضًا، أي وآتى المال في فكّها من الأسر أو إعتاقها، (وأقام الصلاة وآتى الزكاة عطف على آتى المال وعطف (والمؤمنون) على من آمن بالله، وغير أسلوب الوصف، فلم يقل ومن أوفى بعهده للدلالة على مغايرة الوصفين بأنّ الأول من علائق حقّ الله تعالى وأصول الدين

(١) المفصل في تفسير القرآن: ١٢٩٩، وينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٨ / ٢٥٤ .

(٢) الكشاف: ٣ / ٢٣٣ .

والثاني من حقوق العباد^(١)، ثم قال: (وَالصَّابِرِينَ) نصب على الاختصاص بتقدير: أخص أو أمدح ((غَيْرِ سِبْكَهَ مَا قَبْلَهُ تَنْبِيهًا عَلَى فَضِيلَةِ الصَّبْرِ وَمَزِيَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْأَوَّلِ، وَمَجِيءُ الْقَطْعِ فِي الْعَطْفِ ... أْبْلَغُ مِنَ الْإِتْبَاعِ، لِأَنَّ تَغْيِيرَ الْمَأْلُوفِ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ تَرْغِيبِ فِي اسْتِمَاعِ الْمَذْكُورِ وَمَزِيدِ اِهْتِمَامِ بِشَأْنِهِ))^(٢)، وقد شاركت هذه العلاقات بين التراكيب اللغوية في تلاحم وحدات النصّ وتماسكها، فيدلّ هذا على أنّ حروف العطف قد حققت تماسكًا وترابطًا على مستوى النصّ ككلّ.

٢. الوصل العكسي: المراد به ربط الجملة اللاحقة بما سبقها ((على عكس ما هو متوقّع))^(٣)، بمعنى أنّ الجملة الثانية تأتي على عكس سابقتها، والأدوات المستعملة في هذا النوع من الربط (بل ولكن).

ومن أمثلة الوصل العكسي ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٨٩).

جاء في تفسير الميزان أنّ معنى اللغو في قوله تعالى: (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) ما لا يترتب عليه أثر من الأعمال، ومعنى الأيمان في قوله تعالى: (ولكن يؤخذكم بما عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ) هو القسم والحلف^(٤)، فقد حققت الأداة (لكن) التي تفيد الاستدراك، ربطًا عكسيًا بين جملتين: الأولى (لا يؤخذكم باللغو في أيمانكم..)، والثانية (يؤخذكم بما عَقَدْتُمُ...)) فكان لها أثر كبير في مدّ جسور الاتصال بين أجزاء النصّ؛ لأنّ الربط

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١/ ٢٥٠، والتحرير والتنوير: ٢/ ١٣١.

(٢) روح المعاني: ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥، وينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني: ٤١.

(٣) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣.

(٤) ينظر: الميزان: ٧/ ١١٠.

الاستدراكي بالأداة (لكن) أفاد المغايرة في الحكم بين الجملتين؛ لأنَّ الجملة بعد الأداة أفادت ثبوت ما نهى عنه الله - عزَّ وجلَّ -.

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾.

في هذه الآية الكريمة تتحقَّق العطف بالأداة (ثم) التي عطفت جملة (ثم بعثه..) على جملة (فأماته الله)، فتدلَّ (ثم) على وجود مهلة وتأخير بين الإماتة والبعث بعد موته، إذ إنَّ التعقيب في قوله تعالى: (فأماته الله) ((بحسب المعقَّب. فلا يلزم أن يكون أماته في وقت قوله: أنى يحيي هذه الله، وقد قيل: إنَّه نام فأماته الله في نومه))^(١)، فقد أفادت حروف العطف هنا الانتظام وجاءت الأحداث مرتبة في سلك الظرف الزمنيِّ بحسب التعاقب الذي وقعت فيه، وجملة (قال) استثنائية، و(بل لبثت مائة عام)، بل حرف عطف، عاطفة على جملة محذوفة، لا بدَّ من تقديرها، والتقدير: ما لبثت يومًا أو بعض يوم بل لبثت مائة عام^(٢)، فقد حصل الربط الاستدراكي في الآية المباركة بين الجملة المحذوفة وقوله تعالى (لبثت مائة عام)، فساعدت الأداة (بل) على الاحتفاظ بتماسك النصِّ القرآني واستمراريته.

٣. الوصل الزمني: والمراد به الربط ((بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن))^(٣)، ومن أدواته (الفاء وثم). ومن الأمثلة على هذا النوع من الربط قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ مَرَّقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿الروم: ٤٠﴾.

(١) التحرير والتنوير: ٣٦ / ٣١ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١ / ٣٩٥ .

(٣) نسيج النص: ٤٦ .

جاء النَّصَّ القرآني بصيغة الإخبار الصريح بأنَّ الله تعالى هو خالقنا، وهو المتكفل برزقنا، ثم هو الذي يميّتنا بعد هذه الحياة، وهو الذي يحيينا يوم القيامة لتُجزى كل نفس بما عملت من خير أو شر، وقد وردت أداة الربط (ثم) مكرّرة ثلاث مرّات في النَّصَّ القرآني، إذ ربطت بين ثلاث جملٍ فعليّة، وإنَّ التركيز على العطف بها دون غيرها من الأدوات تتضح دلالاته عند الرجوع إلى سياق الآية الكريمة، فدلالته هنا على التراخي الزمني والرتبي^(١)، فالجملة الأولى الواردة في النَّصَّ القرآني (الله الذي خلقكم) والضمير فيها عائد على الله تعالى، قد عطف عليها جملٌ ثلاثٍ آخر، فالتراخي الزمني حاصل نتيجة الخلق أولاً، ثم أعقبه بالرزق الذي تعهد به الله تعالى، ثم الإماتة ومن بعدها الإحياء، فكلها أفعال تأتي تباعاً وبمدد زمنيّة متعاقبة، ممّا أدى إلى ترابط أجزاء النَّصَّ وتماسكه.

ومن قبيل الوصل الزمني أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَسْأَلُوا بِسْمِهِمْ قائلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يوماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَنْزَكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٩).

الملاحظ على النَّصَّ القرآني أنّ جملة قد سُبكت بالفاء سبباً دقيقاً ممّا أنتج عنه علاقة دلاليّة بين تلك الجمل، فبعد أن كان الجدل قائماً بين أصحاب الكهف عن مدّة مكوثهم في الكهف هناك، وقوله تعالى: (قال قائل منهم) ((دليل على أنّ السائل عن لبثهم كان واحداً منهم خاطب الباقيين وسألهم عن مدّة لبثهم في الكهف نائمين (...))^(٢)، ولإنهاء ذلك الجدل اقترح أحدهم الذهاب إلى المدينة لشراء بعض الأكل والشراب، فجاءت الفاء في لفظة (فابعثوا) عاطفة على جملة (فبعثناهم) وقد أفادت الترتيب هنا، ثم عطف على جملة (فابعثوا) جملة (فليُنظر أيّها أزكى طعاماً).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١ / ١٠٧، والجدول في إعراب القرآن: مج ١١، ٢١ / ٥٠.

(٢) الميزان: ١٥ / ٢٥٥.

فأداة الربط الفاء هنا قد جاءت محافظة على الترتيب الزمني ودلالته، فهي ((تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض))^(١)؛ لأنَّ المدَّة الزمنيَّة بين الإبعث والنظر والإتيان بالطعام كلَّها ذات دلالات زمنية متعاقبة غير مترابطة، حققت بذلك فضاءً دلاليًّا في جعل الذهاب إلى المدينة سبباً لإنهاء الجدل بينهم، فلم يقتصر الربط على سطح النَّص بل تعدَّاه إلى المعنى العميق للنَّص.

٤. الوصل السببي: هو الربط بين جملتين يكون أحدهما سبباً للآخرى، فالعلاقة ((بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج، أي: أنَّ تحقُّق إحداها يتوقف على حدوث الأخرى))^(٢)، وأدواته هي (اللام، الفاء، كي).

وأمثله في النَّص القرآني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَايَعَتِكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَمْرُجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِحِهِنَّ وَاسْتَعْفِرْنَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢).

النداء موجّه للنبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بضرورة مبايعة النساء المؤمنات، وقد تحقَّق الترابط النَّصي في الآية الكريمة بوساطة الأداة (إذا) الشرطية، فقيل في إعرابها ((ظرف مستقبل متضمّن معنى الشرط))^(٣)، فجاءت رابطة بين جملة الشرط (جاءك المؤمنات) وجوابها، مستعينة بالفاء الرابطة لجواب الشرط إذا، فهي ((جوابية لتوكيد الترتيب والتعقيب والسببية))^(٤)، وجملة بايعهن لا محلّ لها لأنّها جواب شرط غير جازم^(٥)، فبوساطة الفاء حصل ترابط شكلي ودلالي في أن واحد، وقد خلق بذلك بؤرة دلالية مركزية تعمل على اتساق النَّص بصورة أفقية وعمودية.

(١) الكتاب: ٢١٧ / ٤ .

(٢) النَّص والخطاب والإجراء: ٣٤٧ .

(٣) إعراب القرآن وبيانه: ٧٠ / ١٠ .

(٤) المفصل في تفسير القرآن: ٢٨ / ١٩٤٨ .

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٧١ / ١٠ .

ومن الآيات التي تحقّق فيها الاتساق النصّي عن طريق الوصل السببيّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ۲۷۵).

جاء في النصّ المبارك أنّ الله تعالى أحلّ البيع في حين حرّم الربا، وجاء الخطاب موضّحاً شناعة الربا، والتحذير من التهاون به؛ لما فيه من خطورة على المجتمع وسبباً في إفساده. ونلاحظ استعمال (ذلك بأنهم) التي تفيد السبب للربط بين طرفي الكلام، فقد ربطت بين جملة (الذين يأكلون الربا...) وجملة (قالوا إنما البيع...) فهي فسّرت سبب قيام الذين يأكلون الربا مثل الذي يتخبّطه الشيطان من المس؛ وذلك بسبب قولهم وتشبيههم البيع بالربا، أي ((لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكلهم الربا))^(١).

نلاحظ أنّ الأداة (ذلك بأنهم) قد أسهمت على اتّساق النصّ، ولو حذفت هذه الأداة أو قطعناها عن سياقها ولم نعطفها على سابقتها لما تمّت دلالة النصّ، فنرى أنّ الخطاب القرآنيّ قد وصف الأحداث وصفاً دقيقاً بنظمهم الربا والبيع في سلك واحد؛ لإفضائهم إلى الربح فاستحلوه كاستحلاله.

ومما تقدّم يلاحظ أنّ أدوات الربط المختلفة أسهمت في خلق دوائر دلالية متعدّدة تبدأ من نقطة ثمّ تعود إليها والسبب في ذلك هو الربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين^(٢)، وهذا يعني أنّها أسهمت في اتّساق النصّ كلّه فضلاً عن اتّساق أجزائه.

(١) إرشاد العقل السليم: ١ / ٢٦٦ .

(٢) ينظر: التماسك النصّي، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة: ٩٠ .

المبحث الثاني

الاتساق المعجمي في الآيات الاجتماعية

يُمثل (الاتساق المعجمي) الوجه الآخر من الوجوه التي تُحقّق تماسك النّصّ عن طريق عناصر لغويّة يُطلق عليها العناصر المعجميّة، ((ولا نعني بالمعجم حين نذكره في دراساتنا اللغويّة ذلك الكتاب المحصور بين دفتين بذكر الكلمات ومعانيها أو أي معجم مكتوب، ولكننا نعني به المعجم محلّ الأداءات اللغويّة التي استطاع ابن اللغة (ومنهم الشعراء) أن يخرنّها في ذاكرته اللغويّة ويستعملها عند الحاجة إلى استعمالها وتوظيفها وفقًا لقواعد النظام اللغويّ العام))^(١).

يُعد الاتساق المعجمي من وجه نظر المحدثين الدارسين في الشأن النّصيّ مظهرًا من مظاهر اتّساق النّصّ، ووسيلة لفظية من وسائله التي تقع بين مفردات النّصّ، وعلى مستوى البنية السطحيّة فيه وتعمل على الالتحام بين أجزائه معجميًا، ومعاني جملة وقضاياه من خلال إحكام العلاقات الدلاليّة القريبة والبعيدة فيه، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث، وتعالقها من بداية النّصّ حتّى آخره، ممّا يحقّق للنّصّ نصّيته^(٢).

ويتحقّق الاتساق المعجمي الذي يطلق عليه بعض الباحثين بـ (الربط الإحاليّ) الذي يقوم على إحالة عنصر إلى آخر، فتتحقّق بوساطته استمراريّة المعنى ويمنح النّصّ صفة النّصيّة، فعن طريق تلك الإحالة تتحرّك العناصر المعجميّة على وفق سياق منتظم يسعى إلى بناء فكرة أساسيّة للنّصّ وتكوينه، وكذلك تسهم في فهم النّصّ عند سماعه أو قراءته عن طريق بثّ المعلومات المتعلّقة بتفسير العناصر المعجميّة الأخرى ذات الصلة المباشرة بها^(٣).

(١) عناصر الاتساق والانسجام: ٥٣٠ .

(٢) ينظر: أثر التكرار في التماسك النّصيّ: ١٧ .

(٣) ينظر: علم لغة النّصّ النظرية والتطبيق: ١٠٥ ، ولسانيات النّصّ النظرية والتطبيق: ١٢٤ .

ويختلف الاتساق المعجمي عن الاتساق النحويّ في أنّه لا يبحث عن العنصر المفترض أو المفترض، ولا عن علاقات نحوية تشكّل نسيج النّص، بل يتحقّق الاتساق المعجمي من خلال وسيلتين لغويتين، هما^(١):

١. التكرار
٢. المصاحبة المعجمية (التضام)

وسائل الاتساق المعجمي في الآيات الاجتماعية:

أولاً: التكرار:

ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أنّ ((الكاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمعٍ وترديدٍ من ذلك كَرَرْتُ، وذلك رُجُوعُكَ إليه بَعْدَ المَرَّةِ الأولى))^(٢)، فالتكرار في اللغة بمعنى الإعادة، فكرر الشيء: أعاده مرة بعد أخرى، وكررت عليه الحديث: إذا رددته عليه^(٣)، وهو من الأساليب الشائعة في العربية.

وفي الاصطلاح: هو ((عبارة عن الإتيان بشيء مرّة بعد أخرى))^(٤)، أي إعادة كلمة أو جملة أكثر من مرّة في السياق نفسه لغرض ما^(٥).

يعدّ التكرار ظاهرة لغوية عرفت لها اللغة العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا من الشعر الجاهلي وغيره^(٦)، وهو أحد الأسس التي اعتمدها القرآن الكريم في بثّ إعجازه، فهو خاصية لغوية، وأسلوب بلاغي قديم، وواحد من أهمّ خصائص الفصاحة؛ قال فيه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ((إنّ في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنّه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلّا ترديد ما يُراد تحفظه منها، وكلّما زاد ترديده كان أمكن له

(١) ينظر: لسانيّات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (كَّرَ): ١٢٦ / ٥ .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ك ر ر): ٣٤١٤ / ٢ .

(٤) التعريفات: ٦٥ .

(٥) ينظر: المخصص: ٤١٢ / ٣ .

(٦) ينظر: علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق: ١٧ / ٢ .

في القلوب وأرسخ له في الفهم أثبت للذكر وأبعد من النسيان))^(١)، فيتّسم التكرار في القرآن الكريم بسمّة نفسيّة سيكولوجيّة.

والحديث عن التكرار في الموروث العربيّ طويل قد أسهب فيه العلماء شرحاً وتفصيلاً^(٢)؛ فقد نال حظاً وافراً وحضوراً كبيراً في المؤلّفات القديمة حين تناولوها بالشرح والتحليل بدءاً من الشواهد الشعرية والنثرية الجاهليّة، والنصوص التي تواردت إلينا في تلك الحقبة من الزمن، مروراً بالقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، فهو سنة من سنن العرب، فلا يكاد يخلو منها مؤلّف أو كتاب.

وقد تباينت النظرة إلى التكرار بين القدماء والمُحدثين، وهذا الاختلاف متأتّ من جراء الوظيفة، فلقد ارتبط التكرار بالدرس البلاغيّ، فكانت من أساليب فصاحة الكلام وأصلاً من أصول البديع، وفي الدرس النحويّ فقد اقتصر على دراسة التوكيد اللفظيّ فقط، أمّا المُحدثون النّصيّون فقد عدّوه عاملاً من عوامل الاتّساق النّصيّ^(٣)، مع عدم الإغفال عن نظرة البلاغيّين للتكرار، فدراستهم له ((وإنّ كانت تخدم الدراسة النّصيّة إلّا أنّها تختلف عن دراسة علماء النّصّ له، إذ إنّ النّصّيّين لا ينظرون إلى الوحدة المعجميّة وما تحمله في ذاتها؛ بل بحسب موقعها، ودورها في تماسك النّصّ واتّساقه، ممّا يسهم في ثبات النّصّ واستمراريّته))^(٤).

وقد تناولت الدراسات النّصيّة التكرار فعّدته شكلاً من أشكال الاتّساق المعجميّ، فقد استطاع الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أن يضع تعريفاً جامعاً لأنواع التكرار ووظائفه، إذ يقول: ((إنّ التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة؛ وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها تحقيق التماسك النّصيّ بين عناصر النّصّ

(١) الكشف: ٣ / ١٢٧ .

(٢) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة: ١٥٨ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢ / ٧٣ - ٨٢ ، والمثل السائر: ٢ /

١٤٦ ، والبرهان في علوم القرآن: ٣ / ١١ - ٢٣ ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١ / ٢٦٢ .

(٣) ينظر: علم اللغة النّصيّ بين النظرية والتطبيق: ١ / ١٤٥ .

(٤) أثر التكرار في التماسك النّصيّ: ٢٢ .

المتباعدة^(١)، فهو ((يعطي مُنتج النَّصّ القدرة على خلق صورة لغويّة جديدة؛ لأنّ أحد العنصرين المكررين قد يسهّل فهم الآخر))^(٢)، فالعناصر المكررة في صورها المختلفة تضيف على النَّصّ تماسكاً شكلياً، وانسجماً دلاليّاً.

وقد اختلفت آراء الباحثين النَّصّيين في كون التكرار وسيلة معجمية أو إحالية أو نحوية أو دلالية، فبعضهم يرى أنّه من وسائل الربط، على نحو ما ذهب إليه تمام حسان في قوله: إنّ ((الأصل في الربط هو التكرار على مستوى الجملة))^(٣)، فهو يعدّه من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية بشرط أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا كان لفظية متكلّفة لا سبيل إلى قولها^(٤)؛ لأنّه يدخل في علاقة تفسيرية ليوضّح العلاقة بين صدر الكلام وما يليه^(٥)، ومن ثمّ فهو يعطينا تصوّراً عن مهيمنات اللفظ المكرر، وما يمنحه من بعد حاجي يسهم في إغناء قيمته الدلالية.

وعبّر عنه بعضهم بمصطلح الإحالة التكرارية، أي الإحالة بالعودة ويتمثّل في تكرار لفظ أو ألفاظ عدّة في بدايات الجمل المكونة للنص بقصد التأكيد، وهو أكثر الأنواع الإحالية دوراناً في الكلام^(٦)؛ لأنّه يعمل على إنعاش الذاكرة إذا ما كان هناك فاصل طويل يفصل بين صدر الكلام وما يتعلّق به، والذي قد يجعله عرضة للنسيان، فيعمل التكرار على تحفيز الذاكرة عبر إشاراته الإحالية.

نخلص إلى أنّ التكرار يؤدّي أثرًا مهما في تحقيق التماسك المعجمي عن طريق تشاكلة اللغويّ الذي يسهم في لفت الانتباه، ويعمل على تحقيق التماسك، فالتكرار يعمل على بناء شبكة من العلاقات داخل النَّصّ بطريقة يكون فيها النَّصّ مترابطاً و متماسكاً، فيتمّ الحفاظ على بنية النَّصّ وتحقيق الجانب الدلاليّ والتداوليّ بوساطة تكرار العناصر وتكثيفها، كما

(١) علم اللغة النَّصيّ: ٢٠ / ٢ .

(٢) النَّصّ والخطاب والإجراء: ٣٠٦ .

(٣) مقالات في اللغة والأدب: ١٥٣ / ٢ .

(٤) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: ٢٣١ .

(٥) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١ / ١١٣، والسبك المعجمي في كتاب الإمتاع والمؤانسة: ٦ .

(٦) ينظر: نسيج النَّصّ: ١١٩ .

يسهم التكرار في تأكيد كينونة النصّ واستمراره عن طريق تشكيل مجموعة من الجمل ينتج عنها نصًّا متلاحم الأجزاء قويّ النسيج.

وينقسم التكرار على:

١. تكرر اللفظ نفسه: المقصود بهذا النوع من التكرار إعادة اللفظة المعجمية نفسها الواردة في النصّ لفظاً ودلالةً، بمعنى أنّ التكرار يتمّ مع الحفاظ على وحدة المرجع؛ وذلك لأنّ النصّ بصدد الحديث عن المرجع نفسه والقضية نفسها^(١)، ومن الأمثلة القرآنية على تكرر اللفظ نفسه في آيات الخطاب الاجتماعيّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَكِّتَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٢-٤٥)، نلاحظ في النصّ القرآنيّ اتساقاً معجمياً تتحقّق عن طريق التكرار الحاصل في أداة النداء والمنادى، إذ تكرّرت لفظة (يا أبت) أربع مرّات في السياق القرآنيّ، وهو ((تكرير اقتضاه مقام استنزاه إلى قبول الموعدة لأنّها مقام إطناب))^(٢)، فقد نادى عليه بعاطفة قويّة منبعها الفطرة النقيّة التي فُطر عليها الابن البار، فضلاً عن كونه دائم الحرص لأبيه، ومُشفقّ على حاله الذي آل إليه عناده وجهله، ومن ثمّ كان هذا النداء الرقيق المتمثّل بجملة النداء (يا أبت) وسيلة إبراهيم (عليه السلام) لتكون المفتاح المفضي إلى فتح مغاليق قلب أبيه، وترقيق مشاعره^(٣)، فجاءت تلك العبارة الندائية لتمثّل الخيط الرابط بين الوحدات اللغويّة وتساعد في دعم الموضوع الرئيس لتأكيد صفة الأبوة، فضلاً عن قوّة تماسكه في إحضار الذهن لتلقّي النصيحة والاستزادة.

ولم يقتصر التكرار على الجملة الندائية في النصّ القرآنيّ، بل تكرّرت لفظة الشيطان ثلاث مرّات، وكذلك لفظ الرحمن مرّتين؛ لأنّ الآية الكريمة في سياق إساءة النصيحة لوالد

(١) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١٠٦-١٠٧.

(٢) التحرير والتتوير: ١١٤/١٦.

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مج ٤/٤٤٨.

إبراهيم، وحثه على ترك عبادة الأصنام؛ لأنها من وساوس الشيطان، ولما فيها من فساد وضلال.

ومنه أيضاً ما جاء في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ لِيَسْأَلُوا بِسْمِهِمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَنْزَكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٩).

النص القرآني - قيد الدراسة - في سياق الحديث عن قصة أصحاب الكهف، جاء في قوله تعالى: (ليتساءلوا بينهم) فالمراد من التساؤل أن يعتبروا ((ويستدلوا على عظيم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقيناً))^(١)، واسم الإشارة (كذلك) عائد على نومهم والكيفية التي تم فيها، وما هذا التكرار في السؤال والإجابة إلا للوصول إلى نتيجة، وسُمي هذا النوع من المحاوراة بالتساؤل؛ ((لأنها تحاور عن تطلب كل رأي الآخر للوصول إلى تحقيق المدّة))^(٢)، فالملاحظ على النص القرآني التكتيف في تكرار لفظة (قال) بصيغتي المفرد والجمع، فهو هنا يُشكل عنصراً رابطاً بين الأحداث لا على مستوى جملة واحدة، بل على مستوى جمل متعددة تمنح القارئ أو المُتلقي شعوراً بوحدة الموضوع مما يمنحه متعة وتركيزاً؛ لأنه ينقل لنا سياقات لغوية تتدرج في الحوار، فتساهم في دعم النص، فلو جاء النص القرآني خالياً من لفظ (القول) لانتفى الاتساق النصي وأصبح نصاً مفككاً ضعيفاً.

ومن معين نبع التكرار قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي أَنزَلْتُ فِيكَ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَا أَيُّهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اقْبِرُوا الصَّلَاةَ وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرُوا عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ

(١) الكشاف: ٢ / ٧١٠ .

(٢) التحرير والتنوير: ١٥ / ٢٨٤ .

الأمومِرِ (١٧) وَكَأ تَصْعَرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَكَأ تَمُشِّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْنِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴿ (لقمان: ١٥-١٩).

نلاحظ على الآية الكريمة أنَّ القرآن الكريم لجأ إلى أسلوب الوعظ والإرشاد؛ لأنَّ فيها خطابًا اجتماعيًا ظاهره شخصيٌّ موجّه من لقمان الحكيم إلى ابنه، وباطنه خطاب عام للبشريّة جمعاء، ويُعد هذا الأسلوب وسيلة من وسائل التربية؛ لأنَّ النفس البشريّة تتأثر بما يُلقى إليها من كلام، ومن ثمّ وسيلة من وسائل التعلّم، وعليه قامت الرسالات السماوية وبه نهضت دعوات الإصلاح الاجتماعي^(١).

والتكرار الوارد في النّص القرآنيّ (المنادى وأداة النداء) في قوله تعالى: (يا بني) ((لتجديد نشاط السامع لوعي الكلام))^(٢) ممّا أكسب النّص سمة الاستمراريّة فهو من قبيل التكرار الكلّي لمرجع واحد، ولكون النّص القرآنيّ جاء متضمّنًا خطابًا توجيهيًا من لقمان لابنه، فقد جاء متجنّدًا بالتكرار بالمنادى المخاطب، إذ عمِد التعبير القرآنيّ إلى تكرار النداء الموجّه إلى ابن لقمان ثلاث مرّات؛ وذلك لأنّه محور الخطاب وعليه قام النّص، فالتكرار هنا قد أحال إلى مرجع سابق داخل النّص، إذ إنّ الخطاب في سياق الحديث عن جملة أخلاقيّات على الإنسان أن يتأدّب بها، فهو يُعدّ موجّهًا من جهة وناهيًا من جهة أخرى.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴿ (المائدة: ٤٢)، فتكررت لفظة (سماعون) مع اللفظة نفسها من الآية السابقة وهي صيغة مبالغة، وقد أفاد تكرارها معنى التوكيد، كما يرى ذلك طائفة من المفسرين^(٣)، فهذه اللفظة بقوّة جرّسها وصياغة حروفها تفصح عن دلالة هؤلاء القوم وتوكّد

(١) ينظر: التربية الإسلامية: ١٧٨ .

(٢) التحرير والتنوير: ١٦٢ / ٢١ .

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ٤٤٨ / ١ ، والتنهيل لعلوم التنزيل: ٢٣٧ / ١ .

صفة السمع عن طريق التكرار لتعبير عن التميّز الذي رافق ذكر هذه اللفظة للمرّة الثانية وتدلّ على قوّة فعل التنفيذ^(١).

٢. ذكر شبه مرادفه: يُعدّ سيبويه أوّل من أشار إلى الترادف في الكلام بقوله: ((اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين... واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق))^(٢)، فهو يعني استبدال لفظٍ معجميٍّ بأخر بينهما فروق دلاليّة دقيقة؛ وذلك للتركيز على العنصر المكرّر وشدّ الانتباه إليه^(٣).

والبحت يرى أنّ لكلّ لفظة في القرآن الكريم حدوديّتها ودلالاتها الخاصّة ولا يُعبّر عنها لفظ آخر، فألفاظ القرآن الكريم لا يقوم مقامها لفظ آخر مهما كان فصيحًا أو بليغًا، وعليه فالقرآن عندما يستعمل كلمة معيّنة يستعملها بحسب دلالتها إذ لا يمكن أنّ تأتي كلمة أخرى فتعطي معنى الكلمة التي استعملها القرآن الكريم، وهذا يقودنا إلى أنّنا لا يمكن أن نقرّ بما يسمّى بالترادف القرآنيّ.

٣. نكر الخاصّ بعد العامّ: وهو صيغة من صيغ الاتساق المعجميّ، إذ يتألّف من ((موضوع عامّ، ويكون عادة كلمة تحتلّ رتبة دلاليّة أعلى قياسًا بالعناصر التي تشتق منها، أو مجموعة من الوحدات التي تحتلّ موقع المحمول في الجملة السابقة، ثمّ تصبح كلّ وحدة موضوعًا في الجملة اللاحقة))^(٤).

من النّصوص التي تدرج تحت هذا الجنس من الاتساق المعجميّ، والذي يحقّق نوعًا من الترابط النّصيّ، والانسجام التّأليفيّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا مَّرْحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَكَيَسَّتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير: ٢٥٢ .

(٢) الكتاب: ١ / ٢٤ .

(٣) ينظر: أثر التكرار في التماسك النّصيّ: ٤٧ .

(٤) الاتساق والانسجام في القرآن الكريم: ٨٢ .

السِّيَّاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ الْأَنْوَاعِ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَخْتِذُنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿النساء: ١٦-١٨﴾، شرعت الآية الكريمة بقوله تعالى: (إنما التوبة على الله ...) فالابتداء بأداة القصر أفاد قصر التوبة على الله تعالى وحده، أي أحوالها على ذاته بكلّ كماله وجماله^(١)، ودلالة حرف الجرّ (على) هنا ((للاستعلاء المجازي بمعنى التعهّد والتحقّق))^(٢)، وموضوع التوبة عامّ لله تعالى وحده؛ إذ نلاحظ تتبّع النّصّ واضحًا في عودة المعاني جميعها إليه، ثمّ تبعه عزّ وجلّ بكلام فيه بيان خصوص هذه التوبة، وهي في مقام تبين أمر التوبة ووصفها على أنّها أعمّ، فهذه التوبة أعمّ من توبة العبد من الشرك بالله أو الكفر بعد الإيمان^(٣).

من ثمّ نبهنا الله تعالى على فئة ثانية لا تشملهم توبة الله ورحمته، وهم الذين (يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إنّي تبت الآن) فهؤلاء الذين يتمادون في الكفر، ويفنون حياتهم في المعصية وحبّ الدنيا لا يذوقون برد التوبة، إذ لا ينفعهم توبتهم عند اقتراب لحظات الموت^(٤)، وقوله تعالى: (ولا الذين يموتون وهم كفّار) فهذه الجملة معطوفة على ((العصاة في شرط قبول التوبة منهم لأن إيمان الكافر توبة من كفره، والإيمان أشرف أنواع التوبة، فبيّن أنّ الكافر إذا مات كافرًا لا تُقبل توبته من الكفر))^(٥).

تلك هي أنساق التوبة التي خصّ بها الله تعالى عباده، وهذا التخصص في ذكر الأصناف وارتباطها بالموضوع العامّ (التوبة) فتحقّق التلاحم والتجانس المعجمي بين مختلف مستويات النّصّ، فكانت عودة المعاني جميعها إلى المعنى العامّ فحققت بذلك اتساقًا معجميًا عبر مساحة النّصّ.

ومنه - أيضًا - ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا بِآيَاتِهِ وَإِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ الْأَنْوَاعِ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَخْتِذُنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

(١) ينظر: تفسير الشعراوي: ٤ / ٢٠٧١ .

(٢) التحرير والتنوير: ٤ / ٢٧٧ .

(٣) ينظر: الميزان: ٤ / ٢٤٥ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤ / ٢٤٩ .

(٥) التحرير والتنوير: ٤ / ٢٨١ .

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿الأنعام: ١٥١﴾.

لفظة (الفواحش) جاءت عامّة انضوت تحتها لفظة (القتل)، ثمّ خصّ بالذكر (قتل النفس)، فهي على الرغم من اندراجها ضمن الفواحش إلا أنّ تخصيصها بالذكر دلالة على كونها فساد عظيم^(١)، ويُعزّد هذا الرأي ما جاء في تفسير البحر المحيط أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ هذا مندرج تحت عموم الفواحش إذ الأجود أن لا يخصّ الفواحش بنوع ما، وإنّما جرّد منها قتل النفس تعظيمًا لهذه الفاحشة واستهوالًا لوقوعها^(٢)، والغرض من ذلك إفادة الشمول مع العناية بالخاصّ الذي ذكره مرتين، مرّة وحده ومرّة مندرجًا تحت العامّ، فانبثاث هذه الألفاظ على مساحة واسعة من النصّ المذكور قد أعطى الاستمراريّة والتماسك لهذا النصّ.

ومن قبيل هذا التكرار أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، يرى القرطبي وأبو حيان الأندلسي أنّ العدل هو كلّ فعلٍ من شائع وأحكام، والإحسان فعل كلّ مندوب إليه^(٣)، فهو أداء المستحبات، وقيل: أداء الواجبات^(٤)، فالمتأمل في الآية المباركة يجد أنّ لفظة (الإحسان) قد حملت معنى عامًّا انضوت تحته لفظة (إيتاء ذي القربى)؛ لأنّ ((العدل في الأفعال والإحسان في الأقوال، وإيتاء ذي القربى: هو صلة الرحم، وهو مندرج تحت الإحسان، لكنّه نبّه عليه اهتمامًا به وخصًّا على الإحسان إليه))^(٥)، وفي الآية المباركة نوع آخر من التكرار وهو ذكر العامّ بعد الخاصّ، ففي قوله تعالى: (وينهى عن الفحشاء والمنكر) فلفظ المنكر أعمّ من الفحشاء لاشتماله على المعاصي والرذائل، بعدها انتقل

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٠ / ٨ .

(٢) البحر المحيط: ٦٨٨ / ٤ .

(٣) ينظر: الجامع أحكام القرآن: ١٠ / ١٦٥ - ١٦٦ ، والبحر المحيط: ٥٨٦ / ٦ .

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٠١ / ٨ .

(٥) : ٦ : ٥٨٦ .

الخطاب إلى ذكر الخاص بعد العامّ وهو لفظ البغي: وهو التطاول بالظلم والسعاية فيه، وهو داخل في المنكر، ونبّه عليه اهتمامًا باجتنابه^(١)، إذ توزّعت هذه الأصناف في النَّصّ المذكور، وهي عبارة عن مكررات لكلمة عامّة تجمعها، فعند ذكر خصوص الشيء أو نوعه أو جزئه هو تكرر بصيغة أخرى، وهذا ما يجعل من النَّصّ متماسكًا متسقًا^(٢).

وما يندرج تحت هذا الحقل أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)، فالناظر في هذه الآية المباركة، يلاحظ أنّ الله نهاهم أيضًا عن ارتكاب فاحشة الزنا؛ لما فيها من إفساد للمجتمع، وذهاب الأخلاق، وكذلك لما فيها من أمراض ومخاطر تهدّد الفرد والمجتمع، فوصف الزنا بالفحش دلالة على ملازمته له غير مفارقة عنه^(٣).

وقد أجمع أهل التفسير في كتب الوجوه والنظائر على أنّ البغي بمعنى: الظلم، وهو من جنس الفساد الذي نبع عن إحدى معاني هذه اللفظة، والقرطبي يرى أنّ البغي يعني: ((الظلم وتجاوز الحد))^(٤)، ويرى الألوسي أنّ البغي بمعنى: الظلم والاستطالة على الناس، وقد أفرد بالذكر مبالغة في الزجر عنه بغير الحقّ، وبناء على التعميم لما سبقه أو لدخوله في الفواحش^(٥).

وذهب الشيخ صاحب الأمثل إلى أنّ الإثم هو الذنوب كلّها؛ لأنّه في الأصل يعني: ((كلّ عمل مضر، وكلّ ما يوجب انحطاط مقام الإنسان وتردي منزلته، ويمنعه ويحرمه من نيل الثواب والأجر الحسن، وعلى هذا يدخل كلّ نوع من أنواع الذنوب في المفهوم الواسع للإثم))^(٦)، ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأُثْمًا

(١) ينظر: البحر المحيط: ٥٨٦ / ٦ .

(٢) ينظر: أثر التكرار في التماسك النَّصِّي: ٥٥ .

(٣) ينظر: الميزان: ٨٥ - ٨٦ .

(٤) جامع أحكام القرآن: ٢٠١ / ٧ .

(٥) ينظر: روح المعاني: ٣٥٣ / ٤ .

(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٨ / ٥ .

وَالْبَائِثَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿الأعراف: ٣٣﴾.

ومنها ما جاء في لفظة (تعثوا) في سياق قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: ٨٥)، ف(العثو) لغة: من عثى في الأرض إذا أفسد فيها^(١)، قال الزجاج: ((والعثو أشد الفساد))^(٢)، و(تعثوا) هنا في سياق في هذه الآية المباركة يدلّ ظاهرًا على أنّ المراد بـ(العثو) نقص المكيال والميزان؛ ولأنّ السياق القرآني مرتبط بما قبله وما بعده، وظاهر هذه الآية خطاب لأهل مدين بالنهي عن النقص في الميزان، وجاء في الآية بعدها الأمر بالإيفاء بالمكيال والميزان، وقد صرح القرآن الكريم بالإيفاء بالمكيال بعد النهي السابق عن النقص؛ لأنّ النهي لا يتحقق بدون الإتمام بالعدل، أي بدون زيادة أو نقصان^(٣)، ف(العثو) أشدّ الفساد الذي من ضمنه نقص المكيال والميزان، الذي عرف به أهل مدين، كما عرفوا بالبخس والنقص في الميزان والمكيال، والذي كان عمدة إفسادهم، وهو مذكور في قصتهم^(٤)، إلّا أنّ المراد بـ(العثو) هنا إلى جانب نقص المكيال والميزان؛ تعميم إنقاص الحقوق وقطع الطريق والغارة والسرقة وغيره؛ لأنّه عبارة عن مطلق الفساد^(٥).

فالفساد مفهوم واسع شمل كلّ ظلم ونقص وتدمير وانحراف، ويقابله الصلاح والإصلاح، فإنّ كلمة (العثو) تعني إحداث هذا الفساد أو الإفساد^(٦)، الذي هو ضد هدف الوجود وهو الإصلاح^(٧).

(١) ينظر: العين: ٢ / ٢٣١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١ / ١٤٢ .

(٣) ينظر: روح المعاني: ٦ / ٣١٢ .

(٤) ينظر: الميزان: ١٢ / ٣٥١ .

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ٣ / ١٤٤ ، وروح المعاني: ٦ / ٣١٢ .

(٦) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢ / ٣٨٧ .

(٧) ينظر: موسوعة معاني ألفاظ القرآن الكريم: ٢ / ٤٠ .

نستنتج ممّا سبق أنّ ظاهر الآية على تحقيق (العثو) لنقص المكيال والميزان-كما ذكرنا- إلا أنّ مضمونها يدلّ على تعميم مطلق الفساد بصورة كليّة، فالإنطلاق من المعنى الخاصّ إلى المعنى العامّ هو إحدى أنواع التكرار.

ثانياً: المصاحبة المعجمية (التضام):

المصاحبة لغة: ما وجد في الدراسات والبحوث التي عُنت بهذه المادة اللغوية (ص ح ب) اعتمدت حول ما تدور جملتها (المرافقة والمعاشرة)، قال ابن فارس: ((الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مُقارَنَة شيءٍ ومُقارِبَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الصَّاحِبِ ... وكلّ شيءٍ لَاءَمٌ شيئاً فَقَدْ اسْتَصْحَبَهُ))^(١)، واستصحبته: دعاه إلى الصحبة ولازمه، وكلّ ما لازم الشيء فقد استصعبه، وأصحبت الناقة أي: انقادت واسترسلت وتبعته صاحبها^(٢)، وجاء في المعجم الوسيط أن: ((صاحبه مُصاحِبَةٌ وصِحَابًا: رافقه ... والصَّاحِب: المرافق ومالك الشيء والقائم على الشيء))^(٣).

وفي الاصطلاح: إنَّ المتصفح في مؤلفات علمائنا القدماء^(٤) ينبثق في جوهره مادّة علمية تحفل بمنطلق البدايات التأسيسية لهذا العلم الحديث؛ لأنّ لكل أصل جذوراً، وقد وجدت في مؤلفات التراث العربيّ جذور لهذه المادّة، إذ ((تنبه إليها اللغويون والأدباء، وتشهد مصنّفاتهم فيما سمّي بفقّه اللغة أو بمعاجم المعاني أو الألفاظ الكتابية بعميق إدراكهم لها واستقصائهم لأمثلتها، وإن لم يخصصوها بأسم))^(٥)، وقد أشارت إلى ذلك الدكتورة نادية رمضان رمضان النجار بقولها: ((اهتمّ القدماء بعلاقة (التضام)، وإن كانوا لم يصطلحوا على تسميتها، فعرفت مصطلحات عدّة منها: (الضمّ، والنظم، والوصف، والمعاظلة ... الخ)، كما عرفت عند اللغويين بـ(التلازم، والتركيب، والتضام))^(٦).

أمّا في الدراسات النصّية الحديثة فهي الوسيلة الثانية من وسائل التماسك المعجمي التي تسهم في بناء نسيج النصّ.

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (صحب): ٣ / ٣٣٥ .

(٢) ينظر: تاج العروس، مادة (ص ح ب): ٣ / ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) المعجم الوسيط، مادة (ص ح ب): ٥٠٧ .

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ٢٠/١ - ٢١ ، والفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٥ - ٢٦ ، والصاحبي في فقه

اللغة (باب المحاذاة): ١٧٤ - ١٧٥ ، وفقه اللغة وأسرار العربية: ٩٧ ، ولسان العرب: ١ / ٢١٥٢ ، وشرح

قطر الندى وبل الصدى: ٢٤٦ ، والمصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم: ٣١ - ٤١ .

(٥) المصاحبة في التعبير اللغوي: ٦٠ .

(٦) التضام والتعاقب في الفكر النحوي: ١٠٠ .

وتستعمل المصاحبة في قبالة المصطلح الإنجليزي (Collocation) وقد تناولها المحدثون تحت مسميات عدّة، وفقاً لقياسات تداوليّة ودلاليّة وتركيبية^(١)، منها: (التضام، والتوارد، والاقتران اللفظي والدلالي، والمتلازمات) وهناك من تناولها تحت مفهوم (الاستدعاء)^(٢)، قاصداً بذلك ما يستدعيه اللفظ من ألفاظ مصاحبة عند ذكره، أي أنّ حضور كلمات يستدعي حضور كلمات أخر ترتبط أو تشترك معها برابط معين.

وقد وضع المحدثون عدّة تعريفات للمصاحبة المعجمية (التضام) حاولت أن تتعامل معه إجرائياً وفق ما يتناسب مع ما تربو إليه تلك الدراسات وينقل محمد خطابي عن (مايكل هاليداي ورقية حسن) بأنها ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك))^(٣)، على حين يرى (فيرث) أنّ المصاحبة المعجمية تعني: ((أنّ تجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى على نحو يجعلنا بحكم العادة والألفة نتوقع أنّ تجيء الكلمتان متصاحبتين))^(٤).

والتضام هو امتداد لنظرية السياق الذي عبّر عنه (أولمان) توافق الوقوع أو الرصف معرّفًا إيّاه بأنّه: ((الارتباط الاعتياديّ لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة))^(٥)، وهذا يدلّ على أنّ الكلمة تستمدّ معناها وحيويتها وفق تعبير سياقها اللغويّ، وأنّ الرافد الوحيد المغذي للفظة والذي تستمدّ منه معناها السياقيّ هو مصاحبتها للفظة الأخرى^(٦)، عن طريق حياة الجماعة المحيطة بها.

(١) ينظر: المصاحبة المعجمية، المفهوم والأنماط، والوظائف: ٥٥ - ٧١ .

(٢) كما أشار إلى ذلك أستاذنا الدكتور نجاح العبيدي في إحدى المحاضرات التي ألقاها علينا في السنة التحضيرية، ويقصد بها الربط عن طريق استدعاء كلمة مقابلة للكلمة التي ذُكرت.

(٣) لسانيات النَّصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥ ، ونحو النَّصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١١٢ .

(٤) المصاحبة في التعبير اللغويّ: ١٦ .

(٥) المصدر نفسه: ٧٤ .

(٦) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ١٩٦ - ١٩٧ .

لا شكَّ في أنَّ النَّصِّيَّين العرب قد أولوا المصاحبة المعجمية (التضام) عناية خاصة في التقصيِّ والبحث، حيث يتمثَّل التضام في فكر تمام حسان عند توافر أنواعه في تشكيل علامات بارزة تتضح في^(١):

١. علاقة التلازم: وهو أن يكون لفظ ملازمًا للفظ، أي أن يستلزم حضور أحد العنصرين عنصرًا آخر.

٢. علاقة التوارد: وهو مناسبة لفظ للفظ آخر، إذ لا يمتنع أن يصاحبه، وهو بهذا المعنى أقرب إلى دراسة الأساليب البلاغية الجمالية.

٣. علاقة التنافي: وهو تنافر لفظ مع لفظ آخر، فكلمات المعجم تأتي في مجموعات تتجاذب مع بعضها، وتتنافر على غيرها بحسب المعنى الذي تحمله والموضع الذي ترد فيه.

وفي هذا يقول الدكتور محمود عكاشة في معرض حديثه لهذا المصطلح: ((عبارة عن مصاحبة بعض ألفاظ اللغة ألفاظًا أخرى للتعبير عن معني خاص يتكون من هذا التلازم، مثل: ذاق الموت، خر السقف))^(٢)، أي أن تلك الألفاظ تُلمح إلى دلالة محددة عند انضوائها في سياق متجاوز، متضامة مع ما يجاورها لتدلَّ على معنى كما وضعت له، وعليه يُعرّف النَّصِّيُّون المصاحبة المعجمية (التضام) بأنّها: ((الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغويّ ما، مثل: البقرة مع اللبن، واللبن مع الظلمة))^(٣)، فحضور اللفظ المصاحب ووضوحه يسهم في اتساقه لدى المُتلقي.

والمصاحبة المعجمية بوصفها مصدرًا للربط بين الكلمات، تُشير إلى الوسيلة التي يمكن بواسطتها انتظام الكلمات معًا، كما تشير في الوقت ذاته إلى القيود المستعملة في بيان كيفية اتساق الكلمات معًا^(٤)، إذ ثمة ربط لفظي بين ازدواج من العناصر المعجمية التي

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/ ١٥١ - ١٥٥، والسبك النَّصي في القرآن الكريم: ١٥٨.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٨٧ - ١٨٨.

(٣) نحو النَّصِّ إطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٨٩.

(٤) ينظر: علم اللغة النَّصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٤٣.

تتشارك مع بعضها بعلاقات دلالية يمكن إدراكها^(١)، وكلّ عنصر معجمي يشي بنوع من العلاقة التي يمكن أن يؤسس لترابط النصّ وتماسكه، فورود العنصر في سياق العناصر المترابطة هو الذي يؤدي إلى اتساق النصّ، ويعطي للمقطع صفة النصّ، كون التماسك من هذا الجانب لا يتأسس إلا بالإحالة على النصّ^(٢).

هناك من يرى أنّ هذا النوع من الربط المعجمي يُعدّ من أكثر الأنواع صعوبة في التحليل؛ لأنّ معرفته تحتاج إلى قارئ أوتي قدرًا من الفطنة لتمييزه حال وروده في سياقات متشابهة، فضلًا عن مقدرته على فهم تلك الكلمات عند ورودها في سياق النصّ المترابط^(٣).

وتنقسم وسائل المصاحبة المعجمية (التضام) على^(٤):

١. الارتباط بموضوع معيّن: إذ يتمّ الربط بوساطة عناصر معجمية نتيجة لظهورها في سياقات متشابهة، وهو ما يطلق عليه (محمّد خطابي) علاقة التلازم الذكري، مثل: (المريض - الطبيب).

٢. التقابل أو التضاد: إذ تتربط الكلمات مع بعضها بوساطة أشكال التقابل المتعدّدة، ومنها: المكملات، مثل: (ولد - بنت)، والمتعارضات، مثل: (يحب - يكره)، والمقلوبات، مثل: (يأمر - يطيع)

٣. علاقة الجزء بالكلّ: مثل: (الرأس - الفم)

٤. علاقة الجزء بالجزء: مثل (الأنف - العين)؛ لأنّهما جزآن من الوجه.

٥. الاشتمال المشترك: مثل (كرسي - منضدة) فالكلمتان تشتمل عليهما كلمة (أثاث)

٦. الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة: وتشتمل على كلمات لها زوج مرتب ترتيبًا معينًا كما في الكلمات الدالة على الاتجاهات (الشمال - الجنوب - الشرق - الغرب)

(١) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١١٠ .

(٢) ينظر: لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣٨ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٠٩ .

(٤) ينظر: لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥ ، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٠٩ .

٧. الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غر منتظمة: مثل مجموعة الكلمات الدالة على الألوان (أحمر - أصفر... الخ).

نخلص إلى أن المصاحبة المعجمية (التضام) ليس لها حالة واحدة تتمظهر بصورة معينة، وإنما هي متنوعة، مختلفة، متعارضة، ومتغايرة، تنطوي على وظيفة معجمية، ينبغي تعريفها لكشف المخبوء والمستور خلف جمالها المعجمي، فهي تمتلك وظيفة التحكم في متعتها.

ويمكن رصد علاقة التضام في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١. علاقة التلازم الذكري: وهي علاقة معجمية تمتاز بأنها تحقق الترابط النصي من ((خلال توالي سلسلة من المتلازمات وضعها الكاتب جنباً إلى جنب في نصه))^(١)، وتعتمد على قوة الأسلوب واللغة وسعة الثقافة والمعرفة^(٢)؛ ((لأن أوجه إعادة الصياغة الاسمية المتكافئة نصياً لم ينشئها حقيقة إلا مؤلف النص))^(٣)، وقد دعاها القدماء بـ(مراعاة النظير).

وقد وردت علاقة التلازم الذكري في الآيات القرآنية الاجتماعية بصورة خاصة، فمن هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٧)، أو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣)، فقد تلازم اللفظان (آمنوا وعملوا الصالحات)، وهذا اللازم والتجاور، بين اللفظتين أسهم في تلاحم النص واتساقه؛ إذ العمل الصالح ينبثق من الإيمان، بل إنه يدفع بصاحبه إلى عمل الخير، وقد كثر هذا التلازم بين اللفظتين في القرآن الكريم بشكل عام، وفي الآيات -محل الدراسة- بشكل خاص؛ ليوكّد شدة الارتباط والتلازم بين الإيمان

(١) نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٦ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١٦ .

(٣) مدخل إلى علم لغة النص (مشكلات بناء النص): ١٣٨ .

والعمل الصالح، ويؤكد أيضًا على أهميّة العمل الصالح، فالإيمان لا يكون إلا بالعمل الصالح.

ومن أمثله أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء: ١٨٣)، نلاحظ هنا تلازم بين الوجدتين المعجميتين (عَثِيَ) و(فسد)، ففي هذا النصّ القرآني وردت مفردة (لا تعثوا) مقرونة بمفردة (مفسدين)، وما ذلك إلا للتلازم بينهما، وتحقيق التماسك على مستوى النصّ القرآني.

ومنه أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِغَنَمٍ ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا بِآيَاتِنَا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٦)، فذكر لفظ (حملت) استلزم حضور لفظة (ظهورهما) في النصّ القرآني المبارك، فالحمل غالبًا ما يكون على الظهور؛ لذلك نجد تناسبًا أو تلازمًا بين اللفظتين، هذا التلازم أعطى تماسكًا واتساقًا في النصّ؛ ولأنّه أسهم بربط نصّي من خلال إيجاد علاقات بين الوحدات.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (الاحقاف: ١٨)، والجن خلاف الأنس^(١)؛ فد(جَنٌّ عليه الليل أي ستره وبه سمي الجنُّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار)^(٢)، وجاء في تاج العروس: ((سُمِّيَ الْإِنْسِيُّونَ لِأَنَّهُمْ يُؤَنَسُونَ، أَي يُرَوَّنَ وَسُمِّيَ الْجَنُّ جَنًّا لِأَنَّهُمْ مَجْنُونُونَ عَنْ رُؤْيَةِ النَّاسِ، أَي مُتَوَارُونَ))^(٣)، فذكر اللفظتين هنا متلازمين متجاورين قصر المسافة النصّية بينهما؛ مما نتج عنه اتحاد بنية النصّ.

(١) ينظر: تاج العروس، مادة (ج ن ن): ٣٤ / ٣٧١ .

(٢) لسان العرب، مادة (ج ن ن): ١ / ٦٧٥ .

(٣) تاج العروس، مادة (أ ن س): ١٥ / ٤٠٨ - ٤٠٩ .

ومن علاقة التلازم الذكري ما جاء في قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، نلاحظ أنَّ علاقة التضام ظاهرة بين الوجدتين المعجميتين (الدم) و(السفك)، لما بينهما من التلازم؛ إذ لا يمكن ورود كلمة (سفك) من دون أن يتصور الذهن مفردة (الدم)، وبهذا التلازم تخصصت دلالة الفعل، يقول ابن عاشور: ((والسفك الإراقة، وقد غلب في كلامهم تعديته إلى الدماء، وأمَّا إراقة غير الدم فهي سفح بالحاء))^(١)، وجعل أبو السعود السفك والسفح مختصين بالدم، وخصّص السفك بالدم المحرّم^(٢).

٢. علاقة التضاد: ويقال له: التناقض، وقيل فيه: ((هذا التناقض والتضاد هو الذي يصنع التشاكل والتباين في الاستخدام اللغوي، والتشاكل تكرر مقنن لوحدة الدال نفسها))^(٣).

ويتجلّى التضاد في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩)، فالتضاد في هذه الآية حاصل بين الإثم والنفع.

الآية الكريمة في سياق الحديث عن قضية مهمّة وخطيرة على المجتمع ألا وهي الحديث عن تعاطي الخمر والميسر، فالغاية منها إيراد الشيء وضده أي إيراد حكم تحريم الخمر، وذكر منافعه، فالمصاحبة المعجمية في الآية الكريمة قد تحققت عبر التضاد بين (الإثم) و(المنافع)، وقد ساعد التضاد على إيضاح أهميّة القضية التي بصدد الحديث عنها.

ومن الآيات التي ورد فيها التضاد ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لهنَّ فَرِيضَةٌ وَمِمَّا عَوْنُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا

(١) التحرير والتنوير: ٤٠٢ / ١ .

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨٢ / ١ .

(٣) لسانيات النّصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: ٦٣ .

عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿البقرة: ٢٣٦﴾، فالتضاد حاصل بين لفظتي (الموسع والمقتتر)، وقد جاء في التحرير والتنوير أن معنى قوله تعالى: "عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ" ((الموسع من أوسع إذا صار ذا سعة، والمقتتر من أقتّر إذا صار ذا قتر وهو ضيق العيش))^(١)، فتحقق بذلك اتساقاً نصياً، وهذا بدوره حَقَّقَ الترابط الفكري عند المُتَلَقِّي.

وما جاء في سياق التضاد التركيبيّ الفعليّ في نطاق الجملة الشرطية قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ (المطففين: ١-٣)، فوقع التضاد بين الفعلين (يستوفون) و (يخسرون) ضمن سياق الجملة الشرطية، والمراد بـ(يستوفون) أي إذا أخذوا من الناس أخذوا حقهم بالكامل عند الشراء، إذا أعطوهم أخسروا، أي: ينقصون من حقوقهم عند البيع^(٢)، ف ((المطففين كانوا لا يأخذون ما يُكَالُ وَيُوزَنُ إِلَّا بِالْمَكَايِيلِ دُونَ الْمَوَازِينِ لِمَكْنَهُم بِالْاِكْتِيَالِ مِنَ الْاِسْتِيفَاءِ وَالسَّرْقَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يُدْعِدُونَ وَيَحْتَالُونَ فِي الْمَلءِ، وَإِذَا أَعْطَوْا كَالُوا أَوْ وَزَنُوهُمْ لِمَكْنَهُم مِّنَ الْبَخْسِ فِي النَّوعَيْنِ جَمِيعًا))^(٣)، فمعنى يستوفون دالّة على البلوغ في التمام والكيل، وفي المقابل ذُكرت لفظة (يخسرون) الدالّة على انتقاص الوزن، فبين اللفظتين تلازم في الإشارة إلى العدل وضرورة تحقيقه^(٤)، والغاية من تقديم المفعول به في النَّصِّ السابق لإفادة الخصوصية، وهي الاستيفاء لأنفسهم من دون الناس^(٥).

وهذا التقابل في الألفاظ يدل على روعة التعبير القرآنيّ والانسايبيّة المتحقّقة فيه، فالاتساق الحاصل بين الكلمات المتجاوزة والمصاحبة لها يسهم في الكشف عن اتساق النَّصِّ وتماسكه، بمعنى أنّ هذه الثنائية قد حَقَّقَت تكاملاً معجمياً أولاً، ثمّ تكاملاً دلاليّاً أعطى المعنى المراد.

(١) التحرير والتنوير: ٢ / ٤٦٢ ، وينظر: الكشف: ١ / ٢٨٥ .

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١٠ / ٤٢٦ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠ / ١٥ .

(٣) البحر المحيط: ١٠ / ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (وفى): ١ / ٦٨٥ ، ومادة (خسر): ١ / ١٩٥ - ١٩٦ .

(٥) ينظر: الكشف: ٦ / ٣٣٢ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠ / ٢٢٤ .

ولهذا يمكن القول: إنَّ هذه العلاقة تسهم في حضور المُتلقِّي ذهنيًّا بعد ذكر اللفظ الأول؛ لاستقبال اللفظ المضاد، فضلًا عن إسهامها في اتساق النَّصِّ وتماسكه.

ومن قبيل التضاد أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسِينَ لَكُمْ الْخَيْطُ

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧)،

في هذا النَّصِّ المبارك حصل التضام بين الكلمات (كلوا- اشربوا)، (الأبيض- الأسود)، (الفجر- الليل)، فنجد الاستعارة هنا أصلًا قائمة على التشبيه، جاء في تفسير الدر المصون ((وهذا من أحسن التشبيهات حيث شبه بياض النهار بخيطٍ أبيض، وسواد الليل بخيطٍ أسود))^(١)، فحققت هذه العلاقة بُعدًا اتساقياً حمل النَّصِّ على أداء المعنى أفضل ممَّا لو اعتمد وسيلة دلالية أخرى.

ومن علاقات التضاد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ

(١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)﴾ (البلد: ١٧-١٩)،

علاقة التضاد في الآيات المباركة تتمثل بورود زوج من الكلمات وهي (أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة)، إذ وردت علاقة تضاد بين المؤمنين الذين يعطون صحيفة أعمالهم بيمينهم مسرورين، وبين الكافرين الذين يعطون كتابهم بشمالهم حزينين قد همهم ما حلَّ بهم من عذاب، فحضور (أصحاب الميمنة) استدعى حضور النقيض (أصحاب المشأمة)؛ ومن هنا ((يكون استحضار معنى من المعاني مؤديًا بالضرورة إلى استحضار مقابلة))^(٢)، ويرى حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) أن ((تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضًا، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب ... وأنواع المقابلات تتشعب ... وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التضاد والتخالف))^(٣).

(١) تفسير الدر المصون: ٢/ ٢٩٧ .

(٢) بناء الأسلوب في شعر الحذائة التكوين البيدي: ١١١ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٥٢ .

٣. الارتباط بموضوع واحد (حقل دلالي واحد): والمراد به ارتباط مجموعة من الكلمات دلاليًا، ووضعها بمادة تحت لفظ عام يجمعها^(١)، ويتضح الترابط النصي بشكل جلي في هذا النمط من الترابط، فعندما تتدرج قضايا كثيرة في سياق نصي واحد يجمعها حقل دلالي واحد سيجعل النص أكثر ترابطًا واتساقًا، وأوضح دلالة على المراد من النص، ومن أمثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)، نلاحظ أن الألفاظ الواردة في النص القرآني كلها تتدرج تحت ما يُعرف بحقل دلالي واحد، ف (بعولتهن، آبائهن، آباء بعولتهن، أبنائهن، ...) جميعها متعلقة بما أحلّ للنساء إظهار زينتهن أمامهم، فقد نهى الله سبحانه وتعالى النساء من إظهار الزينة باستثناء من ذكروا في النص أعلاه، والغاية من الاستثناء ((لشدة الحرج في إخفاء الزينة غير الظاهرة في أوقات كثيرة، فإن الملابس بين المرأة وبين أقرانها وأصحابها المستثنين ملابس متكررة فلو وجب عليها ستر زينتها في أوقاتها كان ذلك حرجًا عليها))^(٢).

ففي هذه الآية الكريمة اتساق نصي حاصل من ارتباط تلك الآيات بحقل دلالي واحد، ألا وهو موضوع (محلي النساء)، وهكذا فإن التضام قد تحقق عن طريق ارتباط المعاني التي تحملها الآيات بموضوع واحد- يتقبلها حقل دلالي واحد- له من الأهمية ما لا يمكن إغفاله.

ومنه أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَكَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُجِحَ عَلَى النَّسَبِ وَأَنْ تُسْتَقْسِمُوا بِالْأَنْزَلِ لَكُمْ فِيهِ نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوهُمُ وَآخِشُوا يَوْمَ الْيَوْمِ أَكَمَلْتُ

(١) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٧٩ .

(٢) التحرير والتلوين: ٢٠٨ / ١٨ .

لَكُمْ دِينُكُمْ وَأْتُمْتُمْ عَلَيْكُمْ تَعْمِي وَمَرْضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المائدة: ٣)، نلاحظ في الآية المباركة مجموعة جملة من الألفاظ التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد وهي مجموعة جملة المأكول الحرام على المسلمين^(١) وهي: (الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، والذكاة، وما ذبح على النصب، والأزلام)، وهذه المجموعة من الألفاظ التي حرّمها الله تعالى على عباده جاءت متمثلة برسالة إلى المخاطبين تبين لهم المحرمات؛ فالمقام هنا مقام تعليم وإرشاد^(٢)، نلاحظ أنّ هذه الألفاظ قد ساهمت في بناء النصّ واتساقه بارتباطها بموضوع واحد تجلت في مفهومها بيان الحلال من الحرام للمسلمين.

٤. علاقة التنافر أو التخالف: وهي علاقة تضاد بين المفردات، ويسمى هذا النوع من التضاد بالتضاد الحاد، لأنّ نفي أحد المتضادين يكون بمعنى الاعتراف بالمقابل، وكلّما كان التضاد حاداً كلّما كان أكثر قدرة على تحقيق التماسك النصّي^(٣)، وبذلك يُعدّ التضاد وسيلة من وسائل استحضار المعنى المراد تكراره، ممّا يؤدي إلى تماسك النصّ بوساطة الربط المنطقي بين اللفظ وضده في ذهن المُتلقي، ومن الألفاظ التي تندرج ضمن الاتساق المعجمي القائم على التنافر لفظتا (الحياة والموت)، فقد وردت هاتان اللفظتان في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَكَمْ جَعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ (مريم: ٣٠ - ٣٣).

والنصّ القرآني في سياق تنزيه مريم (عليها السلام) من الخطيئة والفاحشة، وفيها معجزة كبرى وهي حديث الطفل في المهد، إذ ((نطق عيسى (عليه السلام) وهو في المهد

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١١ / ٢٨٣ - ٢٨٦ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨ / ١٥٥ .

(٣) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٤ ، التماسك النصّي في المثل القرآني: ٢٧ - ٢٨ .

بقدره الواحد الأحد، نطق أول ما نطق به بأنه عبد الله، وفي هذا تنزيه لله تعالى عن صاحبة الولد، وردُّ على النَّصَارَى الذين زعموا أنَّه إله وابن إله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا))^(١).

فالمصاحبة المعجمية الواردة في النَّصِّ القرآني قد تحققت عن طريق التنافر الحاصل بين لفظة (الحياة) و(الموت)، وهذا التنافر بين اللفظتين أسهم في بناء صورة نصية تتصف بالوضوح والتأثير في ذهن المُتلقي، مع الربط بين الوحدات اللغوية، فقوله تعالى: (السلام علي يوم ولدت) ((تنويه بكرامته عند الله، وأجراه على لسانه ليعلموا أنه بمحل العناية من ربه ... وجيء بالسلام هنا معرفًا باللام الدالة على الجنس مبالغة في تعلق السلام به حتى كان جنس السلام بأجمعه عليه))^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِهْرَاءِ إِنَّكَ مُنْقَلَبٌ حَبَّةَ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦).

الآية الكريمة في سياق تقديم النَّصْح من لدن لقمان إلى ابنه، وتسليط الضوء على عظيم قدرة الله وعلمه بكل شيء، نلاحظ ورود لفظتي (السموات والأرض) وهي من ((الألفاظ التي لا تكاد تفترق في الاستعمال القرآني))^(٣)، فعلى الرغم من أنَّ اللفظتين تقعان في باب التنافر، إذ لا يمكن التقاء السماء والأرض إلا بهلاك البشرية وانتهاء الحياة الدنيا، ولكنهما يكادان لا ينفصلان عن بعضهما حال ورودهما في القرآن الكريم، إذ كثيرًا ما نلاحظ أنَّ لفظة السموات عادةً ما تأتي مصاحبة للفظه الأرض، فيدخلان في باب تحقيق الشمولية والكمال لله تعالى، وإثبات أنَّ خالق السموات والأرض هو الله -عزَّ وجل- ويعلم ما يجري على الأرض وما يخفى فيها.

(١) التفسير الكبير: ٢١ / ٥٣١ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن، الشنقيطي: ٣ / ٤١٦ ، التفسير الموضوعي

لسور القرآن الكريم: مج ٤ / ٤٣٨ ، .

(٢) التحرير والتنوير: ١٦ / ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٢٤ .

٥. علاقة الجزء بالجزء: ((إنَّ علاقة الشيء بأجزائه متضامنة، وكثرتها في النَّصِّ يساعد في إعطاء نصٍّ منسجم يستأنس به السامع، ويستتير بمحتواه))^(١).

من الآيات الواردة عن علاقة الجزء بالجزء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: ٥٨).

ففي الآية الكريمة تشريع ((لأدب الاستئذان داخل البيوت، فقد جاء الأمر صريحًا بوجوب الاستئذان على الأرقاء، من العبيد والإماء، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار، وذلك في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة، وهذه الأوقات هي: من قبل صلاة الفجر عند النوم والخلود إلى الراحة، ووقت الظهيرة حيث يتخفف المسلم من ثيابه أثناء قيلولته، ومن بعد صلاة العشاء عندما تُخلع الثياب وتُرتدى ثياب النوم))^(٢).

فالنَّصُّ القرآنيّ متضمّن مصاحبة معجميّة ارتكزت على علاقة الجزء بالجزء في ألفاظ (الفجر والظهر والعشاء) هذه الألفاظ تدلّ على الوقت، فهي جزء منه، وقد تلاحمت واتّسقت هذه الألفاظ بعضها مع بعض لتقديم صورة تفصيليّة للأوقات التي يجب الاستئذان بها، والمتأمل في الآية المباركة يجد التركيز على ذكر هذه الأجزاء من دون غيرها، وهذا التعلق المعنويّ بين الألفاظ ساعد في إثارة حركة ذهنيّة المُتلقي للغوص في الأعماق الدقيقة للنَّصِّ، والذي يبدو أنّ علاقة الجزء بالجزء أحدثت تماسكًا وتلاحمًا في النَّصِّ.

(١) شعر الشريف الرضيّ في ضوء علم اللغة النَّصّيّ: ٢٤٨ .

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مج ٥ / ٢٤٧ - ٢٤٨ . وينظر: الوجيز للواحي: ٧٦٩ ، والتحرير

والتتوير: ١٨ / ٢٩٣ ، والمحرر الوجيز: ١٩٤ / ٤ .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْنُونًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

فقد استهلَّ الله سبحانه وتعالى بالسمع ومن ثمَّ البصر بهذا الترتيب؛ ((لأنَّ السمع يسبق البصر، فالإنسان بمجرد أن يُولد تعمل عنده حاسة السمع، أمَّا البصر فإنَّه يتخلَّف عن السمع لعدَّة أيَّام من الولادة، إذن: فهو أسبق في أداء مهمته، هذه واحدة. الأخرى: أنَّ السمع هو الحاسة الوحيدة التي تؤدِّي مهمتها حتَّى حال النوم، وفي هذا حكمة بالغة للخالق سبحانه، فبالسمع يتم الاستدعاء من النوم))^(١).

فالسمع والبصر جزء من الحواس، وهذه الحواس جزء من أعضاء جسم الإنسان، حيث يتلاحم النَّصِّ ليشكل لنا صورة عامَّة عنه، فذكرُ السمع، والبصر، والفؤاد مجتمعة معًا أكسبت النَّصِّ هذا الترابط والتلاحم، فعند قراءة الآية المباركة تجد أنَّ الحديث كلَّه يدور حول الإنسان من دون ذكره، بل إنَّ علاقة الجزء بالجزء حقَّقت هذا الاجتماع، والآية المباركة تبين مشهدًا من مشاهد يوم القيامة؛ لأنَّ الآية الكريمة في سياق النهي عن تتبع العورات وسماع ما لا يحقَّ سماعه وقوله والنظر إليه؛ لأنَّ كلَّ ذلك سيحاسب عليه يوم القيامة، فقد جاء في تفسير الميزان أنَّ الآية ((تنتهي عن اتباع ما لا علم به، وهي لإطلاقها تشمل الاتباع اعتقادًا وعملاً))^(٢)، بمعنى أنَّ الآية الكريمة اشتملت على مصاحبة معجمية قائمة على علاقة الجزء بالجزء، ممَّا منحت النَّصِّ قوَّة الترابط والانسجام بين أجزائه.

ومن علاقة الجزء بالجزء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَكْحِ الْمُحْصَنَاتِ

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَائِلِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مَسْخِذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ

(١) تفسير الشعراوي: ١٤ / ٨٥٤١ .

(٢) الميزان: ٩٠ / ١٥ .

فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿النساء: ٢٥﴾.

إذ تمثلت علاقة الجزء بالجزء في لفظتي (بعضكم، من بعض) حيث ((أكد به المعنى المراد من قوله: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ) فإنه بعد أن قرب إليهم الإيماء من جانب الوحدة الدينية قربهن إليهم من جانب الوحدة النوعية، وهو أن الأحرار والعبيد كلهم من بني آدم وأن تشعبتم من بعده (من) اتصالية))^(١)، ومن هنا تتبين علاقة الجزء بالجزء (بعضكم من بعض) أي: أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان^(٢)، إذ أسهمت هذه العلاقة في اتساق النص وتماسكه.

٦. علاقة الجزء بالكل: ((وتشتمل على معنى جزئي محدد يندرج تحت معنى عام))^(٣)، نحو العشاء يندرج تحت المساء.

يتحقق الاتساق المعجمي بوساطة علاقات عدّة، وعلاقة الجزء بالكل واحدة منها، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَكَأَنْتُمْ كُفْرًا تَكْفُرُونَ وَالْمِيزَانَ الْكَفَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَمْرًا كُفْرًا بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿هود: ٨٤﴾.

الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة ((شعيب عليه السلام وقومه وهم أهل مدين، وكانوا يعبدون الأصنام، وكان قد شاع التطفيف في الكيل والوزن عندهم واشتد الفساد فيهم فأرسل الله سبحانه شعيبا عليه السلام إليهم فدعاهم إلى التوحيد وتوفية الميزان والمكيال بالقسط وترك الفساد في الأرض...))^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥ / ٥ .

(٢) الكشاف: ٣٩٨ / ١ .

(٣) المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص: ٧٥ .

(٤) الميزان: ٣٤٩ / ١٢ .

نجد في النَّصِّ القرآنيِّ مصاحبة معجمية ساعدت على اتساق النَّصِّ عن طريق علاقة الجزء بالكلِّ المتمثِّل في قوله تعالى: (والى مدين أخاهم شعيباً) فشعيب جزء من ساكني مدين، فهم ((قبيلةٌ منَّ العربِ، كانوا يسكنونَ بين الحجازِ والشامِ، قريباً من معانٍ بلاداً تعرف بهم يُقالُ لها: مدينُ فأرسلَ اللهُ إليهم شعيباً، وكان من أشرفهم نسباً))^(١)، فتكرار الشيء بأجزائه أدَّى إلى قوة الترابط والانسجام بين أجزاء النَّصِّ.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بِيَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٩٢).

نصت الآية الكريمة على كفارة قتل المؤمن خطأً، فجاءت على أمرين: الأول تحرير رقبة مؤمنة، فالتحرير ((تفعليلٌ من الحرية، أي جعل الرقبة حرة))^(٢)؛ وذلك لأنَّ في القتل إزهاق لروح بريئة قد سُلبت منها حرَّيتها في الحياة، ولذلك كانت الكفارة تحرير رقبة، وهو تحريرها من العبودية لمنحها حرية الحياة، فالنفس المستعبدة شُبِّهت بالميتة فلذلك جُعِلَ تحريرها مقابل قتل النفس^(٣).

الأمر الثاني: فهو الدية المتمثِّل بدفع مبلغٍ من المال أو حيوان أو نحوهما إلى أهل المقتول خطأً، ولا يُعهم من هذا القول التخيير، أي أمَّا تحرير الرقبة أو الدية، بل الجمع بين الأمرين -تحرير رقبة ودفع الدية-، أمَّا إذا كان المقتول أهله كُفَّارًا وجب على القاتل تحرير رقبة فقط، و((تُسقط الدية لأنَّ سبب سقوطها أن مستحقها كفاراً))^(٤).

الاتساق النَّصِّي في الآية الكريمة قد تمَّ بوساطة المصاحبة المعجمية القائمة على علاقة الجزء بالكلِّ، فالجزء ما ورد في قوله تعالى: (تحرير رقبة) أي أنَّ ((الرقبة أُطلقت

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٩٤ .

(٢) التحرير والتتوير: ٥ / ١٥٨ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٥٩ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٦١ .

على الذات من إطلاق البعض على الكلّ، كما يقولون الجزية على الرؤوس على كلّ رأس أربعة دنانير^(١)، فهي جزء واحد من أجزاء الجسم، وتدرج تحت عنوان التعبير بالجزء أو البعض عن الكلّ^(٢)، وهذا ساعد على الربط بين الوحدات اللغوية.

ومن قبيل الاتساق المعجمي المتحقّق من علاقة الجزء بالكلّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ امْرُجِعُوا فَامْرُجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ^(٣) (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿ (النور: ٣٠).

بدأ النّص القرآني بقول: (قل للمؤمنين) فهو خطاب من الله تعالى إلى رسوله الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لبيان أحكام كليّة شاملة للمؤمنين جميعًا رجالًا ونساءً، لبيان ما أمرهم به ونهاهم عنه^(٣)، ففي غضّ البصر ((أمر شرعيّ عظيم في مباحة النفس عن التطلّع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام أو ما عسى أن يكلفها صبرًا شديدًا عليها))^(٤)، وغضّ البصر غير مقصور على الرجال فقط، ثمّ وجّه الخطاب في الآية التالية (قل للمؤمنات...) إلى المؤمنات لأنّ الحكمة في الأمرين واحدة^(٥).

(١) التحرير والتنوير: ١٥٨ / ٥ .

(٢) ينظر: علاقات المجاز المرسل وأمثلتها في القرآن الكريم: ٣٩٣ .

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٦٩ / ٦ .

(٤) التحرير والتنوير: ٢٠٤ / ١٨ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٥ / ١٨ .

تندرج هذه الآية تحت الاتساق المعجمي القائم على علاقة الجزء بالكل، ذلك أن إطلاق غضّ البصر على كل ما اعتاد الناس كراهية التحقق فيه، ومنها النظر إلى خبايا المنازل وأسرارها^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِهْيَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦).

ففي الآية المباركة نلاحظ تحقق الاتساق النصي عن طريق المصاحبة المعجمية القائمة على علاقة الجزء بالكل بين لفظتي (الصخرة والأرض)، فالصخرة ((جزء من الأرض لقصد تعميم الأمكنة الأرضية فإن الظرفية تصدق بهما))^(٢). الحسنه أو السيئة فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحذب السماوات أو أسفله كمقعر الأرض^(٣)، ويقرر علماء النص ((أن أسباب قوة الربط العلاقة الضمنية، فمن خلاله تتحقق العلاقة بين المفردات كعلاقة الكل والجزء))^(٤)، فالعلاقة الدلالية شكّلت شبكة مترابطة من الألفاظ حققت للنص استمراريته بترابطه وقوة نسيجه.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٥١ ، التحرير والتنوير: ١٨ / ٢٠٣ .

(٢) التحرير والتنوير: ٢١ / ١٦٣ .

(٣) أنوار التنزيل: ٤ / ٢١٥ .

(٤) أثر التكرار في التماسك النصي: ٥٢ ، وينظر: مبادئ اللسانيات: ٣٧٠ .

الفصل الثاني

الانسجام النصي في آيات الاجتماعية

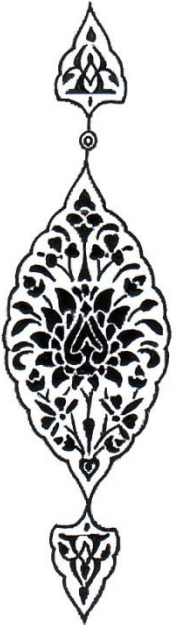
المبحث الأول: العلاقات الدلالية (النصية)

المبحث الثاني: مظاهر الانسجام:

أولاً: البنية الكلية (موضوع النص)

ثانياً: ترتيب محتوى النص

ثالثاً: التغريض



أولاً: الانسجام النصي:

الانسجام لغةً: جاء في معجم العين مادة (س ج م) ((سَجَمَتِ الْعَيْنُ تَسْجُمُ سُجُومًا، وهو قطران الدَّمعِ قَلٌّ أو كَثْرٌ، وكذلك المطرُ ودَمعُ ساجِمٍ ومَسْجُومٌ، وسَجَمَتْهُ الْعَيْنُ سَجَمًا))^(١)، وأصله من السيلان، ((وَهُوَ صَبَّ الشَّيْءِ مِنَ الْمَاءِ وَالذَّمَعِ ... وَيُقَالُ أَرْضٌ مَسْجُومَةٌ: مَمْطُورَةٌ))^(٢)، وكذلك ((انْسَجَمَ الْمَاءُ وَالذَّمَعُ فَهُوَ مُنْسَجَمٌ انْصَبَّ وانْسَجَمَ الْكَلَامُ انْتَضَمَ، وهو مَجَازٌ، وأَسْجَمَتِ السَّحَابَةُ دَامَ مَطَرُهَا))^(٣).

وفي هدي بحثنا عن هذه المادّة اللغويّة في كتب اللغة ولاسيما معجمات اللغة العربيّة وجدنا أنّها تعني التتابع والانتظام، والصبّ والسيلان، بمعنى ((أنّ يأتي الكلام مُتحدِّراً كتحدرّ الماءِ المُنْسَجَمِ ...))^(٤).

الانسجام اصطلاحاً:

أضحى الانسجام معياراً واضح المعالم على الرغم من أنّه لم يتحدد بتعريف مثل شريكه الاتّساق، ولعلّ هذا المنزع يمثّل روحه التي يحيا بها عبر انفتاحه على أفق سيمانطقيّة للنصّ، القائمة على تأويل الجملة المفردة بحسب تأويل الجملة التي قبلها أو بعدها^(٥).

إنّ بين الاتّساق والانسجام تلاحماً وتواشجاً، ففي الوقت الذي يقوم فيه الاتّساق على ربط ظواهر النصّ، فإنّ الانسجام يقوم على ربط بناه التحتيّة، حيث يقوم بتوظيف

(١) العين، مادة (س ج م): ٥٩ / ٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (س ج م): ٣ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) تاج العروس، مادة (س ج م): ٣٢ / ٣٤٩ .

(٤) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ١ / ٤٢٩ .

(٥) ينظر: النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداولي: ١٣٧ .

العلاقات المعنوية لإسناد الارتباط الدلالي المنطقي للنص، بمعنى أن محور اهتمام الاتساق يكون بالجانب اللغوي، أما الانسجام فيهتم بالجانب الدلالي.

وهناك من يرى أن الانسجام لا يخلو من الفوضى المصطلحية، وترجع إشكالية اختلاف المصطلح إلى الإشكاليات الفكرية، والسلوكية في قدرات المترجمين والباحثين في الدرس اللساني الحديث، واعتمادهم على الاجتهادات الفردية، وهذا ما عدّه الدكتور عباس إسماعيل عيباً في الدراسات النصية، ويرى أن هذا التنوع والتشعب والفوضى في تسمية المصطلحات أمراً معيماً وغير مقبول في الدراسات النصية^(١).

فقد نال مصطلح (Coherence) عند تعريبه حظاً أوفر من الاتساق فقد تعددت ترجماته إلى: الانسجام، والحبك، والتماسك، والتماسك الدلالي، التماسك المعنوي، والالتحام، وغيرها العديد من المصطلحات، وكلها تدلُّ على الاستمرارية الدلالية للنص^(٢)، الذي يشكل ثنائية متناسقة مع الاتساق، ويتبنى البحث مفهوم الانسجام للسبب نفسه الذي ذكرناه في اختيارنا لمفهوم الاتساق في الفصل الأول.

(١) ينظر: شعر الشريف الرضي في ضوء علم اللغة النصي: ١٩١ .

(٢) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٣٤، ولسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب: ٨٣، ونسيج النص: ١٥، والاتساق في العربية: ٢٧، والترابط النصي بين الشعر والنثر: ٦٥، ونحو النص أطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٧، ولسانيات النص النظرية والتطبيق: ٣١، ومدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٨٦، ونحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٩٠، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٢٧، ونحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤، والإحالة دراسة نظرية: ٩٥، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٩٣ / ١، وبلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦، والتلقي والتأويل مقارنة نسقية: ١٦٢، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٧، واتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٣، وعلم لغة النص بين النظرية والتطبيق: ١٨٤، والنص والخطاب والإجراء: ١٠٣، وآخرون .

ثانياً: مفهوم الانسجام في التراث العربي:

لا شك في أن الأصالة لا تعني الانغلاق، كما أن الحداثة لا تعني إهدار جهود القدماء، فكل نظرية لسانية جديدة لا يمكنها الانسلاخ عن تلك الجينات التراثية التي تؤثر فيها، ولا بد لها من إرث لغوي ترجع إليه وتستمد منه أصالتها، وفي اطلاعنا على الموروث اللغوي القديم نتواصل بالنظريات اللسانية الحديثة؛ بما يعكس قدرة العقل اللساني العربي على التواصل مع المنجز اللساني الحديث، وهنا تبرز أهمية التراث النقدي والبلاغي، بوصفه مثلاً يحتذى به في الدراسات النصية الحديثة، وهو دليل على تخطيه عتبات الجملة إلى نحو النص^(١)، وقد أشرنا في الفصل الأول إلى هذا الجانب في مفهوم الاتساق في التراث^(٢)، ومن ذلك أيضاً ما ذكره السيوطي (ت ٩١١هـ): ((قال أهل البديع: وإذا قويّ الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد، لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً، فمنه من بحر الطويل "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" (الكهف: ٢٩)، ومن المديد "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا" (هود: ٣٧)))^(٣)، ولطيفة في هذا السبيل أردنا بها الوقوف عند إسهامات العلماء العرب القدماء، ودورهم في اغناء الدرس النصي وإثراءه.

(١) ينظر: الانسجام في التراث النقدي والبلاغي: ١ .

(٢) ينظر: الصفحة ٢٢-٢٥ من البحث، وينظر: من البلاغيين: ١. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، ٢. إجاز القرآن: ١٩٠، ومن اللغويين: دلائل الإعجاز، وفيه عمد الجرجاني إلى ربط النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي والمكون الدلالي، والانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجاً: ١٠٩-١١٢، وفيه أقترح الجرجاني أيضاً للسياغة أربع مراحل هي: النظم، والبناء، والترتيب، والتعليق، والنص والخطاب والإجراء: ٥، ومن النقاد: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٤٤ .

(٣) معترك الأقران: ١ / ٢٩٢ .

ثالثاً: الانسجام في الدرس النصي الحديث:

أمّا في الدرس النصي الحديث فقد كان الانسجام هو المعيار الثاني من تلك المعايير النصية التي وضعها (دي بوجراند) وعرفه بأنه: ((يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

١. العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.
٢. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
٣. السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتداعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم^(١).

ويرى (فان دايك) ((أنّ النصّ لكي يشكل وحدة لا بدّ أن يكون منسجماً^(٢)))، فهو ينظر إلى الانسجام من رؤية العلاقات الدلالية المعتمدة في تحقيق النصية وترابط الأجزاء بوشائج وجسور تجعل من النصّ بنية واحدة، وقد تكون تلك الوشائج والجسور ملفوظة أو ملحوظة، بما من شأنه أن يدعم البنية الدلالية التي تمثل محور اهتمامنا، بما تتضمنه منه انسجام المعاني وتناسقها في وحدة متكاملة مترابطة، ويرتكز محور الانسجام النصي على العلاقات الداخلية والعناصر المقامية المتعاقبة التي تسهم بشكلٍ فعال في فهم النصّ وتأويله، هذا وعلينا عدم إغفال الجانب السياقي ودوره في فهم النصّ وتفاعله مع المتلقي.

وإنّ الاتصال الوثيق بين الاتساق والانسجام، وارتباط أحدهما بالآخر في النصّ أو الخطاب، جعل أبرز المؤلفات اللسانية والنصية الدقيقة تركز التواشج المتين بينهما؛ إذ إنّ عناصر الاتساق، والانسجام تتظافر معاً في تحقيق ((الاستمرارية الدلالية

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣ .

(٢) النصّ بناء ووظائفه، نظرية الأدب: ١١ .

التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليّات الإدراكيّة المصاحبة للنّص، إنتاجًا، وإبداعًا، وتلقّيًا، واستيعابًا، وبها يتمّ احتباك المفاهيم من خلال قيام العلاقات أو إضافتها عليها إن لم تكن واضحة مستعلنة على نحو يستدعي فيه بعضها بعضًا، ويتعلق بواسطته بعضها ببعض))^(١)، إذ أنتجت تلك العلاقات والمفاهيم ما سُمّي الانسجام النصّي الذي يعدّ من الاتجاهات الحديثة في دراسة النصوص اللغويّة.

ويرى الدكتور محمّد خطابي أنّ الانسجام أعمّ وأعمق من الاتّساق؛ لأنّه يتطلّب من المتلقّي صرف الاهتمام نحو العلاقات الخفيّة التي يتعلّق بها النصّ^(٢)، فهو ((الطريقة التي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النصّ))^(٣) ويمكن استعادتها؛ كونه يتعلّق بفهم المتلقّي وقدرته على تفسير ما كان مبهمًا أو خفيًا؛ لأنّها تحتاج من القارئ جهدًا في التفسير والتأويل، وما يوظفه من معلومات ومعارف في مخزونه عن طريق التجارب السابقة للكشف عنها وتحقيق عملية التواصل الاجتماعيّ^(٤)، وبناءً على هذا الفهم ذهب الدكتور محمّد الشاوش إلى أنّ الانسجام ((ليس رهين نسقه الداخليّ الذي ينتظم مكوناته فحسب إنّما هو كذلك رهين جملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبّله))^(٥)، بمعنى آخر ((يتماسك النصّ عندما يمكن للقارئ أن يتحرّك بسهولة من جملة إلى أخرى، ويقرأ النصّ كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة، فالتماسك هو الكيفيّة التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النصّ، ومعها يصبح النصّ وحدة اتّصاليّة متجانسة))^(٦)، لأنّه ذو ((أثر كبير في بناء

(١) العلاماتية وعلم النصّ: ١٣٣ .

(٢) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥ - ٦ .

(٣) النصّ الغائب: ٤٩ .

(٤) ينظر: الانسجام النصّي وأدواته: ٦٣ .

(٥) أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربيّة: ١ / ١١٢ .

(٦) علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١٨٤ .

النّصّ؛ إذ يضيف عليه أبعاد جديدة قد تكون غائبة عنه^(١)، وهذا يلزم وجود الثقافة المعرفية لدى المُتلقي حين يواجه نصًّا أو خطابًا، يضاف إلى ذلك توفر الشروط والمعايير النصّية التي تحكم النّصّ والسياق الذي ورد فيه.

وفي هدي ما تقدم يتّضح لنا أنّ الانسجام ليس شيئًا مذكورًا في النّصّ، وإنّما طبيعة دلالية وبنية تجريدية تتجلى في العلاقات والتطوّرات والمفاهيم التي تعكسها العناصر اللغوية، وتعتمد على حدس المُتلقي وقدرته المعرفية وخلفيته الثقافية بالعالم الذي تحيل إليه هذه العناصر اللغوية^(٢).

وسنقتصر على دراسة أهمّ وسائل الانسجام وهي:

١. العلاقات الدلالية (النصّية) ٢. البنية الكلية وموضوع النّصّ

٣. ترتيب محتوى النّصّ ٤. التغيري

مع ملاحظة: تعدد وسائل انسجام النّصّ؛ تبعًا لاختلاف روى علماء لسانيات النّصّ واتّجاهاتهم.

(١) النّصّ الإشهاري: ٤٦ .

(٢) ينظر: نظرية علم النّصّ، رؤية منهجية في بناء النّصّ النثري: ١٢٧ .

المبحث الأول

العلاقات الدلالية (النصية) في الآيات الاجتماعية

يتكوّن النصّ عمومًا من وحدات لسانية متعدّدة يلمّ شملها بوساطة علاقات تجمع أو تربط بين المتواليات النصّية، من دون بدوّ وسائل شكلية ظاهرة يطلق عليها بـ((العلاقات الدلالية))^(١)، وتمثّل هذه العلاقات ملمحًا نصّيًا يستدعي الاهتمام وتحريك ذهن المُتلقي، الذي اعتاد سماع النصّ مكلّفًا بتشاكلات يحيل بعضها إلى بعض، من شأنها أن تشكّل أواصر رابطة لأبنية النصّ المتتابعة أو المنفصلة، فتعمل على تكوين شبكة دلالية تجعل من ((أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المُحكّم المُتلائم الأجزاء))^(٢)، وينظر إليها عادة بوصفها ((حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كلّ حلقة اتّصال نوعًا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأنّ تحمل عليه وصفًا أو حكمًا، أو تحدد له هيئة أو شكلًا، وقد تتجلّى في روابط لغوية واضحة في ظاهر النصّ، كما تكون أحيانًا علاقات ضمنية يضيفها المُتلقي على النصّ، ويستطيع بها أن يوجد للنصّ مغزى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النصّ موضوعًا لاختلاف التأويل))^(٣).

وهنا يمكننا القول إنّ العلاقات الدلالية تقسم على^(٤):

١. علاقات دلالية ظاهرة تتعلق بظواهر لغوية في بنية النصّ السطحية، لا تحتاج جهدًا استثنائيًا للاستدلال عليها من قبل المُتلقي.
٢. علاقات دلالية مضمرة، توصف بأنّها معلومات غير مباشرة للمتلقي، وهي معلومات على شكل صورة ضمنية مسبقة في كوامن النصّ الدلالية، يسترشد إليها

(١) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٨٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣٦ / ١ .

(٣) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة: ٢٢٨ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النصّ: ٧٤ - ٨٣ .

المُتلقي في هدي التفسير، والتأويل الذي يعدّ عنصرًا فعالًا في كشف دلالية النصّ، وإظهار إحياءاته.

وتشكّل العلاقات الدلالية ترابطًا في المضمون والمفهوم بين أبنية النصّ، ليتولّد عن ذلك بنية دلالية كبرى مترابطة العناصر، ومتآزرة، ومتلاحمة الأجزاء، يطلق بنية مضمونية معرفية موحدة الأجزاء والتركيب^(١).

وإنّ العمل الأساسي للعلاقات الدلالية هو الربط بين المتتاليات النصّية لانسجام النصّ وضمان استمراريته؛ إذ إنّها تتّصف بالمنطقية والمقبولية لدى السامع أو المُتلقي^(٢).

وهذا يقودنا إلى القول إنّّه قد لا نجد مسوغًا لإثارة مقولة الانسجام في نصّ إن لم يتوفّر على علاقات متعدّدة ومختلفة، تنماز بطبيعة دلالية تعمل مجتمعة على استمرارية المعاني، وتنظيم الأفكار تنتج في النهاية بنية دلالية كبرى منسجمة العناصر.

تسهم العلاقات الدلالية في إنتاج بنية دلالية كبرى بوساطة الترابط المضموني والمفهومي بين أبنيتها النصّية، فتنماز تلك البنية الكبرى بانسجام عناصرها، وتآزرها، وتلاحم أجزائها، أي هي بنية مضمونية موحدة الأجزاء والتراكيب.

ويؤدّي الانسجام إلى نجاح عملية التواصل اللغويّ، وذكر الباحثون في مجال الدراسات النصّية أنواعًا عديدة من العلاقات الدلالية فمنهم من قسمها على: وصل، وإضافية، وسببية، وشرطية، وتعاقبية، ومعية، وختامية، وزمنية، وكيفية، ومقارنة،

(١) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النصّ: ١٧٣ .

(٢) ينظر: الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم: ٤٥٣ .

واستدراكية، وعلاقات أخرى أطلق عليها خصوصيات النص وهي: معللة، وموضحة، ومخصّصة، ومؤكّدة، ومصحّحة، وروابط-السؤال-والجواب^(١).

وذكرت الدكتورة عزة شبل تصنيفاً آخر للعلاقات الدلالية يقوم على أساس التمييز بين علاقات الاتّصال، وعلاقات الانفصال بين الجمل وهي^(٢):

- علاقات الاتّصال وتشمل:

١. الإضافة: مثل (الواو، أيضاً)
٢. التشابه: مثل (على نحو مشابه، بالمثل)
٣. الاستنتاج: مثل (لهذا، من ثم)
٤. مقدّمة منطقيّة: مثل (بسبب، لأنّ)
٥. التمثيل: مثل (على سبيل المثال، بالمثل)
٦. التقرير: مثل (بمعنى أنّ، باختصار)
٧. التتابع: مثل: (التالي، وبعد)

- علاقات الانفصال وتشمل:

١. البديل: مثل (أو، الآخر)
٢. التقابل: مثل (من ناحية أخرى، على العكس)
٣. التّضمين الممتنع: مثل (مازال، على الرغم من)
٤. المسلّم به: مثل (بالطبع، تماماً)
٥. الاستثناء: مثل (فيما عدا، إلّا)
٦. الإحلال: مثل (بدلاً من، مُفصلاً عن)
٧. التتابع الشاذّ: مثل (أثناء ذلك، فجأة)

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي: ٤٦ ، والبديع بين البلاغة واللسانيات النصّيّة: ١٤٢ - ١٤٤ ، والخطاب

السياسي في القرآن الكريم: ١٠٧ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١٨٩ .

وفيما يأتي أبرز هذه العلاقات الدلالية الواردة في الآيات الاجتماعية في القرآن

الكريم:

١. علاقة الإضافة المتكافئة: تُعدّ هذه العلاقة من العلاقات المعنوية المهمة في بناء

النصّ عبر تتابع جمل القول، وتشارك هذه العلاقة في بناء نموذج ذهني من الترابط

المنطقي بين القضايا المشكلة^(١)، فعن طريق هذه العلاقة يتم ((تصعيد المعنى

والوصول به إلى غايته))^(٢)، وقد تنبّه السيوطي لهذه العلاقة بقوله: ((هو أن يتناول

المتكلم معنى يستقصيه، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه ... حتى تستوعب جميع ما

تقع الخواطر عليه، فلا يبقى لأحد فيه مساغ))^(٣)، وقول السيوطي هذا يعني أن

المتكلم عندما يورد معنى يأتي بمتعلقاته كلّها؛ لإيضاح ذلك المعنى من دون الحاجة

إلى تأويلات المُتلقي، ويعبّر عن هذه العلاقة بأدوات العطف مثل: (الواو، لكن، أو) أو

ما يماثل هذه الكلمات^(٤)، ومن أمثلة هذا النوع من العلاقات النصّ القرآني الآتي:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ

اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩١)، فالمراد بالعهد حفظ الشيء ومراعاته، ولهذا سمّي

الموثق الذي يلزم مراعاته عهدًا، وفي الآية الكريمة طلب بصيغة الأمر، وهو الالتزام

بوفاء العهد لله تعالى، وفي المقابل نهى عن نقض الإيمان ونكثه، وهذا ما نصّ عليه

قوله تعالى: (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) بمعنى أن الآية الأولى قد تضمّنت

الأمر والثانية جاءت بصيغة النهي، وهاتان الآيتان تجمعهما علاقة واحدة يمكن

تسميتها بعلاقة الإضافة المتكافئة؛ لأنّ الأمر بإيفاء العهد يستلزم عدم نكثه، ((ففي

نكث اليمين إهانة وإزراء بساحة العزة والكرامة مضافاً إلى ما في نقض اليمين والعهد

(١) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ٢٠١ .

(٢) نظرية علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ١٣٨ .

(٣) معترك الأقران: ١ / ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٤) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١٨٨ .

معاً من الانقطاع والانفصال عنه سبحانه وتعالى بعد توكيد الاتصال^(١)، ويمكننا القول: إنَّ انسجام النَّصِّ قد تحقَّق بوساطة علاقة الإضافة المتكافئة مما جعل النَّصَّ أكثر انسجاماً ودلالة على الأمر المراد منه.

ومنه أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَكَأَنَّ تَبَدُّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَكَأَنَّ تَأْكَلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢) التي جاءت متضمنة لعلاقة الإضافة المتكافئة، ففي قوله تعالى: (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) عطف على ما سبقها ويمكن تسمية ذلك العطف أو تلك العلاقة بالإضافة المتكافئة؛ لأنَّ ما قبله قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ عطف عليه قوله: (ولا تتبدلوا...؛) لأنَّه ((من فروع تقوى الله في حقوق الأرحام؛ ولأنَّ المتصرفين في أموال اليتامى في غالب الأحوال هم أهل قرابتهم، أو من فروع تقوى الله الذي يتساءلون به وبالأرحام فيجعلون للأرحام من الحظ ما جعلهم يُقسَمون بها كما يُقسَمون بالله))^(٢).

٢. علاقة الإجمال والتفصيل: وهي ((إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النَّصُّ لضمان اتِّصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة))^(٣)، ونعني بها هي تلك العلاقات المفهومية، والأدوات الدلالية التي تشارك في ترابط النَّصِّ عن طريق ذكر المعنى مجملاً، وذكر ما يفصل ذلك الإجمال، أو يفسره، أو على العكس، وأشار محمَّد خطابي إلى أنَّ علاقة الإجمال والتفصيل في النَّصِّ القرآني لا تسلك دائماً الاتجاه نفسه من المجمل إلى المفصل، وإنَّما قد تسلك سبيلاً مخالفاً من المفصل إلى المجمل، فالترتيب الأوَّل معياري والثاني تداولي^(٤)، إذ تسمح تلك العلاقة

(١) الميزان: ٣٣٥ / ١٤ .

(٢) التحرير والتنوير: ٢١٨ / ٤ .

(٣) لسانيات النَّصِّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٧٢ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٩ .

بالامتداد النصّي عبر تتأصل الموضوعات المختلفة المرتبطة بمركز واحد هو الطرف
المجمل.

وتعدّ علاقة الإجمال والتفصيل من الأنماط المتعاضدة الصلة بالانسجام النصّي
الدلالي، ومن النصوص القرآنيّة المجسّدة لتلك العلاقة ما ورد في قوله تعالى: ﴿الْمُرْتَدُّ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ
سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧).

إذ يُعدّ قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مجملًا، فهو
البنية النصّيّة التي تُعدّ بمثابة بؤرة النصّ المركزيّة، فعماد الآية الكريمة هو (عِلْمُ اللَّهِ
بِكُلِّ شَيْءٍ) الذي لأجله انعقد الحوار، وإطلاق ((لفظ الرؤية على هذا العلم؛ لأنّ الدليل
على كونه عالمًا، هو أنّ أفعاله مُحكمة مُتقنة مُنتسقة مُنظمة، وكلّ من كانت أفعاله
كذلك فهو عالمٌ))^(١)، وقد تبع هذا الإجمال تفصيل جاء تابعًا له ومنسجمًا معه،
فالعلاقة بين الآيات علاقة إجماليّة تفصيليّة.

فالله تعالى عالمٌ بأحوال المنافقين ومطلّع على ما يخفون في صدورهم، ويتاجون
به فيما بينهم، وهذا التفصيل بعد الإجمال الغاية منه إنذار المنافقين وإعلامهم بوعيد
الله تعالى لهم عسى أن يعدلوا عما يُخططون له.

ومن أمثلة علاقة الاجمال والتفصيل ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا
بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا
يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١)، فقد ساهمت هذه العلاقة هنا في توثيق الصلة بين فقرات الآية

(١) التفسير الكبير: ٢٩ / ٤٨٩ .

الكريمة، وترسيخ معانيها؛ ذلك أنّ جملة (أُلِّتْ لَكُمْ بِهِمَةِ الْأَنْعَامِ) تفصيل بعد إجمال، فالإجمال فيها جاء في صيغة المفرد، أي بلفظة واحدة، ذلك أنّ لفظ ((العقود شاملة لجميع الأحكام التي شرعها الله تعالى، وأمر المكلفين بالإيفاء بها))^(١)، ثم جاء التفصيل في جملة من الآيات، لإزالة الغموض لما أبهم قبله، وهو مرجعية خلفية يتحقق بها الترابط المفهومي المعنوي، ويقوّي الجدل والحوار المترابط في النصّ القرآني، ثم يؤدي بالنتيجة الى إيصال المعنى وإيضاحه للمتلقّي، وهو يمثل ردّ العجز على الصدر ويتوقّف فهم الإجمال على تفصيله، وهذا التفصيل بمثابة تكرار معنوي لما أُجمل سابقاً، فبذلك حققت هذه العلاقة الدلالية انسجاماً على مستوى البنية النصّية الكبرى.

٣. علاقة التقابل (التضاد): وهي من العلاقات الدلالية التي يستند إليها انسجام النصّ، فهي ((ناتجة عن تتابع قضيتين، كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى، والتضاد إجراء يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما، وذلك بإظهار الشيء ونقيضه، كما أنّه يعمل على تميز المعنى وبلورته وبالتالي تناسبه))^(٢).

وتسهم علاقة التقابل في خلق دلالات في النصّ، وفي توالد العلاقات بعضها من بعض؛ وذلك لأنّها تنطوي على معنى مغاير لما قبله، فيكون الحكم مقابلاً لدلالة ما قبله، أي أنّها ((إيراد الكلام، ثمّ مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة، ...))^(٣).

(١) إعراب القرآن وبيانه: ٢ / ٤٠٢ .

(٢) نظرية علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ١٤٢ ، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ١٤٧ ، علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ٢١٣ .

(٣) كتاب الصناعتين: ٣٣٧ .

من الأمثلة القرآنية الموضحة لعلاقة التقابل ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّامَةِ وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المائدة: ٩٦)، وجه التقابل يكمن بين قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ)، و(حُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ)، فالطعام الحلال المباح لهم هو صيد البحر وطعامه الذي يُلقيه ((فيجوز للمحرم تناول ما صيد من البحر سواء كان حياً أو ميتاً، قذفه البحر أو طفا على وجه الماء أو انحسر عنه الماء))^(١)، وهذا الحلال أعقبه تبيان المحرم عليهم أكله من صيد البر من الوحوش والطيور ما داموا حرماً، والمراد بصيد البر ((ما يكون تولده ومثواه في البر، مما هو متوحش بأصل خلقته، فحرام ذاته واصطياده منكم ما دمتم محرمين، لا ما صاده غيركم، فلا مانع من أكل ما صاده غيركم أو صدتموه وأنتم حلال في غير الإحرام))^(٢)، هنا تحقّق الانسجام عبر علاقة التقابل بين جملة ما هو محلل لهم وما هو محرّم عليهم في حالة الإحرام.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَكْفَرُوا بِالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِكَلِمَاتٍ مُمَيَّنَاتٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَكَوْا تُعْجِبُونَ﴾ (البقرة: ٢٢١)، الملاحظ على الآية الكريمة أنّها تحمل أكثر من علاقة تقابل تراوحت بين تقابل لفظة بلفظة، وجملة بجملة، فمن أمثلة التقابل باللفظ المفرد قوله تعالى: (المشركات والمشركين، مؤمنة ومشركة، مؤمن ومشرك)، أمّا التقابل بالجملة ما ورد في قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات... ولا تنكحوا المشركين، وأولئك يدعون إلى النار والله يدعون إلى الجنة) فالتقابل هنا حقّق انسجاماً على مستوى النصّ

(١) التفسير المنير: ٥٧ / ٧ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٧ / ٧ .

ككل، والغاية منه إيضاح أنّ ((ما فاقت به المشركه يتعلّق بالدنيا، والإيمان يتعلّق بالآخرة، والآخرة خير من الدنيا، فبالتوافق في الدين تكمل المحبة ومنافع الدنيا من الصحة والطاعة وحفظ الأموال والأولاد، وبالتباين في الدين لا تحصل المحبة، ولا شيء من منافع الدنيا))^(١).

٤. علاقة السببية: وهي من العلاقات التي تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر^(٢)، وهي من أقوى أنماط التعالق المعنوي بين الآيات، وأوردها السيوطي ضمن أنواع العلاقات المتّسمة بالتلازم الذهني نحو: السبب والمسبب؛ إذ تكون علاقة السبب بالنتيجة والعلة بمعلولها هي الرابط بين المفهومين السابق واللاحق؛ فيكون تقدم الداعي هو للأحقّ بحسب ما يقتضيه العقل^(٣).

ومن أمثلتها في الآيات الاجتماعية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَنْزَامُ مَرْجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، لعلاقة السبب دور كبير في تحقيق الانسجام في النصّ، والملاحظ على الآية الكريمة أنّه ورد فيها نهى عن عدد من المحرمات، ولم يكتفِ بذلك التحريم، بل أعقبه بذكر الأسباب التي دعت إلى النهي عنه، فعندما أمر الله ((تعالى بأكل ما رزقهم حلالاً طيباً ونهاهم عن تحريم ما أحلّه لهم ممّا لا إثم فيه وكان المستطاب المستلذ عندهم الخمر والميسر، وكانوا يقولون الخمر تطردُّ الهوم وتثشط النفس وتشجع الجبان وتبعث على المكارم، والميسر يحصل به تنمية المال ولذة الغلبة بيّن تعالى تحريم الخمر والميسر؛ لأنّ هذه اللذة يُقارنُها مفسد عظيمة ففي الخمر إذهاب العقل وإتلاف المال))^(٤).

(١) البحر المحيط: ٤١٨ / ٢ .

(٢) ينظر: الدلالة والنحو: ٢٢٨ ، والبدیع بین البلاغة واللسانيات النصّية: ١٤٢ ، وتحليل النصّ: ١٩٢ .

(٣) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣٧١ .

(٤) البحر المحيط: ٣٥٦ / ٤ .

ومنه أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ امْرَأَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)﴾ (الطلاق: ٢-٥)، تتضح علاقة السببية في النص المبارك أعلاه والمتعلقة بتقوى الله تعالى والنتائج المترتبة على ذلك، إذا لا وجود للنتيجة من دون أسباب.

فجملة من (يتق الله) سببية، ثم أعقت بنتائج متعددة، وأولها جملة (يجعل له مخرجا) من شبهات الدنيا وغمرات الموت وشدائده^(١)، أمّا النتيجة الثانية فهي قوله تعالى: (ويرزقه من حيث لا يحتسب)، أي من ((مكان لا يحتسب منه الرزق أي لا يظن أنه يُرزق منه))^(٢)، أمّا النتيجة الثالثة: (ويجعل له من أمره يسرا) فيكتب له التيسير في أموره ويذل له الصعاب، أمّا النتيجة الرابعة فهي: (يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا) بمعنى ((من يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان، وترك الإضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم))^(٣)، فكان لجملة النتائج التي وردت في النص القرآني الكريم، وجاءت في مجملها منسجمة ومحققة لوحدة النص وتلاحمه مع بعضه سببًا لتقوى الله تعالى.

(١) الكشف: ٥٥٥ / ٤ .

(٢) التحرير والتوير: ٣١٢ / ٢٨ .

(٣) الكشف: ٥٥٧ / ٤ .

٥. **علاقة الشرط والجواب:** وهي علاقة دلالية تربط ((بين حدثين مختلفين ربطاً عضوياً، بحيث يكون أحدهما مقدّمة والآخر نتيجة))^(١)، ويسهم هذا الربط بين عناصر الجملة الواحدة، أو سلسلة من الجمل مما يحقق ذلك تماسكاً نصياً من ناحية، وتحقيق مقاصد صاحبه من ناحية أخرى^(٢)، فتشترك علاقة الشرط والجواب مع ما موجود في النص من علاقات، سواء أكانت لفظية أم منطقيّة في بناء نصّ متماسكٍ رصين، ويمتلك القدرة على التأثير، ويكون قابلاً للتأويل والمشاركة.

ولعلاقة الشرط أهميّة كبيرة في تحقيق الانسجام النصّي؛ لأنّ جملة الشرط وجوابها متعلّقان ببعضهما دلالياً، ومن الأمثلة القرآنيّة المتضمّنة تلك العلاقة قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨)، فقد جاء في إعراب جاهدك ((فعل ماضٍ في محلّ جزم فعل الشرط))^(٣)، والفاء في (فلا تطعهما) رابطة لجواب الشرط، واللام ناهية جازمة، وجملة فلا تطعهما في محلّ جزم جواب الشرط لاقترانها بالفاء.

فعلاقة الشرط هنا قد ربطت دلالياً بين جملة (وإن جاهدك...) و(فلا تطعهما...) إذ اشترط الله سبحانه وتعالى على الإنسان عدم إطاعة الوالدين إن أمراه بالإشراك بالله، فجاء جواب الشرط مقترناً بالفاء لإيضاح المعنى؛ لأنّ أحدهما متوقف حدوثه على الأخرى، أي أنّ جملة جواب الشرط متوقفة على حدوث جملة فعل الشرط. ومن الأمثلة القرآنيّة أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْرَهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المجادلة: ١٢).

(١) التراكيب الاسنادية، الجمل (الظرفية، الوصفية، الشرطية): ١٤٨ .

(٢) ينظر: لسانيات النصّ، النظرية والتطبيق: ١٥٢ .

(٣) الجدول في إعراب القرآن: مج ١٠، ج ٢٠ / ٣١٢ .

نلاحظ على الآية الكريمة مجيء جملتين مشتملتين على فعل الشرط وجوابه، الجملة الأولى (إذا ناجيتم...فقدموا)، والثانية (فإن لم تجدوا فإن الله...) فقد ورد في إعراب جملة (إذا ناجيتم الرسول) إذا: ((ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ناجيتم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وناجيتم فعل وفاعل والرسول مفعول به، والفاء رابطة وقدموا فعل أمر والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم))، أما إعراب جملة (فإن لم تجدوا...) ف ((الفاء عاطفة وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتجدوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون وهو فعل الشرط والفاء رابطة لجواب محذوف))^(١)، فحقق كل أسلوب الشرط والجزاء ربط المعنى النصي دلاليًا، وساعد المتلقي على فهم المراد من النص القرآني.

٦. علاقة السؤال والجواب: وهي من العلاقات الدلالية التي تؤدي وظيفة جوهرية في تشكيل نسيج الحوار داخل النص تتمثل في ربط دلالة السؤال بالجواب، مما يسهم في بناء التفاعل بين النص ومنتجه ومتلقيه، ويعبر عنها بوساطة أدوات الاستفهام (أي، ما، هل، ماذا، من، أين، ...) ^(٢)، ويرى الدكتور محمد خطابي أن هذه العلاقة تسهم في ربط الكلام ببعضه ببعض، وجعل المعنى متصلًا من دون وجود رابط شكلي ^(٣).

ومن أمثله علاقة السؤال والجواب في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ مَرْقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) تَبِيخًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَسْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (البلد: ١١-١٨)، فبعد إيراد السؤال عن معنى العقبة أو ماهيتها أعقبه

(١) إعراب القرآن وبيانه: ٢٣ / ١٠ .

(٢) ينظر: لسانيات النص، النظرية والتطبيق: ١٥٠، وعلم لغة النص، النظرية والتطبيق: ٢٠٧ .

(٣) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٠٩ .

بعدد من الآيات جاءت جوابًا عن السؤال بقوله تعالى: (وما أدراك ما العقبة، فك رقبة) والمراد بالعقبة: ((العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مالٍ تشبیهً بعقبة الجبل، وهو ما صعب منه، وكان صعودًا فإنه يلحقه مشقة في سلوكها، واقتحمها: دخلها بسرعة وضغطٍ وشدّة، والقحمة: الشدّة والسنة الشديدة))^(١)، فقوله تعالى: (وما أدراك ما العقبة) سأل عنها المخاطب لأهميتها ولعظم أمرها يحتاج السائل إلى إجابة عنها.

أيضًا في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكْدٌ وَكَوَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكْدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً مَرْجَالًا وَسَاءَ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦)، انسجام نصّي تحقق بوساطة علاقة السؤال والجواب، فالنصّ القرآني جاء متضمنًا سؤالًا عن نصيب الكلاله من الإرث، فجاء الجواب في قوله تعالى: (قل الله يفتيكم...) ومعنى يستفتونك: ((يسألونك ويطلبون الإفتاء، وهو إظهار المشكل على السائل وبيان الحكم فيه))^(٢)، وقد جاء الجواب من الله تعالى مخاطبًا رسوله الكريم: (قل الله يفتيكم...) أي ((يظهر الحكم الواجب اتباعه ويأمر به))^(٣)، هذا يعني أنّ السؤال هنا والإجابة عنه قد حققت الانسجام النصّي والأنتلاف على مستوى النصّ معنى ودلالة.

٧. علاقة العموم والخصوص: وهي من العلاقات المنطقية التي ذكرها (دي بوجراند) مثالًا لهذا المعيار، كونها حالة من حالات الترابط المفهومي^(٤)، فقد اهتم بها اللغويون والمفسرون، ولا يخفى ما لهذه الظاهرة من أثر بارز في وضع الإطار النصّي الحقيقي

(١) البحر المحيط: ٤٨٢ / ١٠ .

(٢) المفصل في تفسير القرآن الكريم: ٣٦١ / ٦ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٦١ / ٦ .

(٤) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣ .

للعلاقات الدلالية التي تخدم الموقف عامة - إذ يتم ذكر نقطة محددة ثم تُتبع بتفصيلات خاصة بها، فتكون هذه النقطة الفكرية إجمالاً- يُتبع بالتفصيلات الخاصة به (١).

والتخصيص الذي نحن بصدد الحديث عنه غير مرتبط بمستوى واحد، بل بمستويات عدة: فإما أن يكون تخصيصاً للموضوع العام الذي يدور حوله النص، وهذه الظواهر استعمرت مساحة ليست بقليلة في النص القرآني، أو تخصيصاً للإحالات الضميرية، أو للأزمنة التي يتحرك فيها النص (٢)، وهذا الأمر نفسه ينطبق على التعميم، إذ يأتي على مستويات كذلك: أحياناً تكون الوحدة النصية كلها عامة، وتخصيصها يأتي في الوحدة التي تليها، وأحياناً أخرى يكون العموم في لفظ واحد ويكون تخصيصه في الوحدة التالية، وهذا التخصيص إما يقتصر على الوحدة السابقة كلها، أو يكون اقتصاره على مستوى محور واحد فقط، وفي الحالتين كلاهما تكون الوحدة التالية متماسكة مع سابقتها.

في ضوء ما ذكر أعلاه نلاحظ أن العلاقة المعنوية غير ملتزمة بترتيب محدد في الأصل- كما هو الحال في علاقة الإجمال والتفصيل-؛ وذلك لورودها في اتجاه معاكس لها بتقدم الخاص على العام (٣).

ومن أمثلة تلك العلاقة في الآيات الاجتماعية قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۖ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَكَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَكَدٌ وَوَرِثَةُ آبَائِهِ فَلِلَّأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلَّأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ آبَائِكُمْ وَآبَائِكُمْ لَا تَدْرُونَ

(١) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨٨ .

(٢) ينظر: نظرية السياق القرآني: ٢٢٦-٢٢٧ .

(٣) ينظر: البحر المحيط: ١١ / ٤ ، ٤٩٤ / ٦ ، ولسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٧٢-٢٧٣ .

أَيْهْمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ (النساء: ١١) ، في النَّصِّ القرآنيّ تعلقٌ معنويّ بين قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم) وقوله: (للذكر مثل حظ الأنثيين) تجسّده علاقة العام بالخاص، فأولادكم لفظ عامّ دالّ على الذكر والأنثى، ثم جاءت لفظتا (الذكر والأنثى) للخوض في تفصيلات ذلك العامّ والإرث المتعلّق بهما، فالخطاب انتقل من العام (الأولاد) التي هي ((صيغة عموم لأنّ أولاد جمع معرّف بالإضافة، والجمع المعرّف بالإضافة من صيغ العموم))^(١)، فالميراث يكون لعموم الأولاد سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا، صغارًا أم كبارًا^(٢).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَأْتَاكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

لعلاقة العموم بالخصوص أهميّة كبيرة في تحقيق الانسجام والترابط النَّصِّيّ، وفي هذا السياق يقول الرازي: ((اعلم أنّه تعالى لما تبيّن أنّه يحلّ أكل ما ذبح على اسم الله، ذكر بعده تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله، قال الشافعيّ: فأول الآية وإن كان عامًّا بحسب الصيغة إلّا أنّ آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة عَلِمْنَا أنّ المراد من ذلك العموم هو هذا الخصوص، وممّا يؤكّد هذا المعنى هو أنّه تعالى قال: ﴿وَكَأْتَاكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فقد صار هذا النهي مخصوصًا بما إذا كان هذا الأمر فسقًا))^(٣)، فالتخصيص هنا قد أسهم في إحداث ترابط في المعنى والمضمون على مستوى النَّصِّ.

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٩ / ٤ .

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٢٩ / ٤ .

(٣) التفسير الكبير: ١٣ / ١٣١ .

٨. علاقة الاستثناء: ويقصد بها ((إيراد لفظ يقتضي بعض ما يتوجبه عموم لفظ مُتقدم أو يقتضي رفع حكم اللفظ))^(١)، ويُعبّر عنها بالأدوات (إلا، سوى، غير) وما يعادلها، فتكسب النصّ تعالفاً مضمونياً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدِّرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣-٣٤)، فالاستثناء في قوله تعالى: ((إلا الذين تابوا راجع إلى الحكمين خزي الدنيا وعذاب الآخرة))^(٢)، فبعد أن بين الله تعالى عقوبة المحاربين له- جلّ وعلا- ورسوله والمتمثلة بالقتل والصلب وقطع الأيدي والأرجل والنفي، استثنى منهم الذين يتوبون، فجاءت دلالة الآية هنا على سقوط العقوبة عن المحارب التائب. ونوع الاستثناء هنا منقطع، إذ جاء في إعراب الجملة أنّ إلا: استثنائية للاستدراك والتحقيق، والذين: في محلّ رفع مبتدأ خبره جملة اعملوا^(٣).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٤-٥)، إنّ الاستثناء في هذه الآية الكريمة متعلقٌ بجملي ثلاث: ((جملة الأمر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم يسقط عنه حدّ القذف، وجملة النهي عن قبول شهادتهم أبداً، وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم إذا تابوا بناءً على أنّ هذا الاستثناء راجع إلى جملة النهي، وجملة الحكم بالفسق أو هو راجع إلى الجملة الأخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم، والذي يقتضيه النظر أنّ الاستثناء إذا

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: ٤٧ / ١ .

(٢) التحرير والتنوير: ١٨٦ / ٦ .

(٣) ينظر: المفصل في تفسير القرآن الكريم: ٣٩١ / ٦ .

تعقب جملةً يصلح أن يتخصص كل واحدٍ منها بالاستثناء^(١)، وللمخشري رأي آخر مفاده أن الاستثناء في قوله تعالى (إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين فيكون بذلك حق المستثنى عنده أن يكون مجروراً بدلا من (هم) في (لهم)^(٢)، أما الفقهاء فقد اتفقوا على أن الاستثناء في هذه الآية عائد على الجملة الأخيرة ((بمعنى أن صفة الفسق لا تزول عن هؤلاء القاذفين للمحصلات إلا بعد توبتهم وصلاح حالهم))^(٣).

٩. علاقة التفسير: ويقصد بها أن النص يردّ غامضاً، ويتعدّر على المتلقي فهمه واستيعابه مما يستدعي إيراد جملة أو أكثر تزيل ذلك الغموض عنه وتوضح المراد^(٤)، فالمعنى أحياناً قد يُثير في نفس المتلقي تساؤلات، أو يحدث غموضاً ولا سبيل إلى كشف غموضه وإزالة إبهامه سوى التصريح وإبانة المعنى بجملة أو أكثر، وهذا لا يقتصر على اللفظ الظاهر، وإنما يعتمد بنسبة كبيرة على حسن تجاور الكلام.

والقرآن الكريم حافلٌ بمثل هذا النوع من العلاقات، إذ ترد أحياناً لفظة غامضة ومبهمة لا يفهم القارئ معناها، فيعقبها بجملة، أو آية كريمة ترفع عنها الإبهام والغموض الحاصل لدى المتلقي، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠) وَكَأ تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَكَأ يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾ (الشعراء: ١٥٠-١٥٢)، فلفظة (المسرفين) في النص القرآني جاءت مبهمة، إذ لا نعرف بماذا يتعلق إسرافهم، فجاءت الآية التي تليها موضحة معنى اللفظة، ومن هم الذين نهى الله تعالى إطاعتهم في الأمر، فقوله تعالى: (ولا تطيعوا) ((خطابٌ لجمهور قومِهِ، والمسرفُونَ هُم كُبراءُهُم وأعلامُهُم في الكفرِ والإضلالِ...))^(٥)، فالخطاب فيه تحذير من إطاعتهم في

(١) البحر المحيط: ١٥ / ٨ .

(٢) ينظر: الكشاف: ٣ / ٢١٤ .

(٣) تفسير الوسيط للطنطاوي: ٨٦ / ١٠ .

(٤) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٥) البحر المحيط: ٨ / ١٨٢ .

ما يأمرهم بإشاعة الفساد والشر عن قصد واختيار، فهم المسرفون المفرطون في عنادهم وكفرهم^(١).

ومن الآيات المتضمنة علاقة التوضيح ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَرَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) ﴿(المطففين: ١-٥)، فلفظة المطففين الواردة في النص القرآني بحاجة إلى إيضاح معناها، وإزالة الإبهام عنها؛ لذلك أعقبها الله تعالى بجملة من الآيات توضح المعنى المراد منها، فالمطففون من ((يراعون الحق لأنفسهم، ولا يراعونه لغيرهم وبعبارة أخرى لا يراعون لغيرهم من الحق مثل ما يراعونه لأنفسهم وفيه إفساد الاجتماع الإنساني المبني على تعادل الحقوق المتقابلة وفي إفساده كل الفساد))^(٢). يتضح مما ورد سابقاً أنّ علاقة التوضيح واحدة من أهمّ العلاقات النصّية البارزة ونقصد بها أنّ المعنى يأتي غامضاً مبهماً يحتاج إلى ما يوضحه ويزيل غموضه وإبهامه.

١٠. علاقة التتابع: وهي من العلاقات الدلالية التي تنتظم النص من الداخل، وتقوم على تنظيم الأحداث داخله بحيث تسير باتجاه واحد بصورة منطقية، فتضفي صفة النشاط والديمومة والاستمرار على فعل الكاتب، مما يسهل على المتلقي الوصول إلى القضية الكبرى^(٣)، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل

(١) ينظر: المفصل في تفسير القرآن: ١٣٦٢ .

(٢) الميزان: ٣٠ / ٢٥٥ .

(٣) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٤٦ - ١٤٧ .

عمران: ١٠٣)، فالعلاقة بين الأحداث علاقة تتابع وترتيب؛ لأن من نعم الله عليهم أنه ألف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء لبعضهم، ثم بعد غرس الإلفة بقلوبهم أصبحوا إخواناً يألف بعضهم بعضاً، فهي أفعال تتابعية أدت إلى تنظيم الأحداث، وتعداد نعم الله تعالى لتكون واضحة ومفهومة لدى المخاطب، إذ كانوا ((في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف بين قلوبهم، وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخواناً متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوة في الله))^(١).

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايْتُمْ بَدِينِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيْتِكُمْ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَيْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، والغاية من إيراد آية الشهادة والكتابة ((الحفاظ على وشائج الود والصلة والمحبة وصلاح ذات البين بين الناس، ومنع وقوع التنازع المؤدي إلى فساد علاقات الناس، وسد كل المنافذ أمام الشيطان الذي قد يسوّل للمدين جحود الحق، وتجاوز ما حدّ له الشرع، أو ترك الاقتصار على المقدار المستحق))^(٢)، فعلاقة التتابع

(١) الكشف: ١/ ٣٩٥ .

(٢) التفسير المنير: ٣/ ١٣٥ .

هنا أضفت على النصّ القرآنيّ سمة الانسجام والترابط الوثيق، عن طريق إيضاح توثيق الدّين وكتابته من أجل حفظ الحقوق وتوثيقها بالكتابة والشهادة والرهن، فجاءت هذه الأمور تبعاً، أي إنّ الكتابة أولاً ثمّ تبعتها الشهادة ومن ثم الرهان؛ لتسهيل اقتصاد المجتمع وحفظ الأموال وصيانة العلاقات من التفسّخ وانعدام أواصر المحبة نتيجة ضياع الحقوق ونسيانها من جانب أحد الطرفين، وأنجح طريقة لحفظ الحقوق هي الكتابة.

١١. **علاقة التذييل:** يقصد بعلاقة التذييل الإتيان بعد تمام الكلام بكلام آخر يشتمل على معناه؛ توكيداً لمنطوق الكلام، أو زيادة في إفهامه وتقرير حقيقته، فيكون بذلك دليلاً على المعنى المراد عند من تعرّس عليه فهمه، وتوكيداً عند من فهمه^(١)، أي كما حده الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله: ((التذييل تعقيب جملة بجملة مشتمة على معناها للتوكيد))^(٢).

وقد ذهب بعض الدارسين إلى تقسيم التذييل بالنظر إلى دلالاته على قسمين^(٣):
الأول: ما يؤكّد منطوقاً، ويكون التذييل فيه من ((أجل تأكيد منطوق الكلام بمعنى أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمنطوق الجملة الأولى ويشترط أن يكون هناك اشتراك بين الجملتين في نفس اللفظ))، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

والثاني: ما يؤكّد مفهوماً، ويكون التذييل فيه ((من أجل تأكيد مفهوم الكلام بمعنى أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى أي تأكيد لمعناها دون اشتراكهما في اللفظ))، نحو: ﴿وَلَسْتَ بِمُتَّبِعٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْبٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٦٨ / ٣ .

(٢) التعريفات: ٥٠ .

(٣) التذييل في القرآن الكريم دراسة بلاغية: ١٥ ، وينظر: جملة التذييل في القرآن الكريم: ٨ .

ومن أمثلة علاقة التذييل في الآيات الاجتماعية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ

يُعِظُهُ يَا بَنِيَّ إِنَّا تَشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

فالآية الكريمة هنا ذُيِّلت بأية أخرى تَضَمَّنَت معنى الجملة الأولى، فعلى الرغم من تمام المعنى في الآية الأولى إلا أنها جاءت توكيداً لها وإيضاحاً للمعنى، إذ إن معنى قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) تذييل مؤكد لمضمون قوله تعالى: (لا تشرك بالله) فلقمان الحكيم يحذّر ابنه من الشرك بالله حرصاً عليه، ثم ذُيِّلت الآية بإيضاح معنى الشرك، فهو ظلم عظيم، والظلم ((وضع الشيء في غير موضعه، وكون الشرك ظلماً؛ لأنه تسوية بين المنعم وحده وغير المنعم))^(١).

من الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ أَدْرَأَمْ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا

وَاشْرَبُوا وَكَأْتَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، لما أباح الله تعالى لهم الأكل والشرب مما يحبون، نهاهم عن الإسراف وهنا قد تم معنى الآية الكريمة، ثم جاء قوله تعالى: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) توكيداً لمعنى قوله تعالى: (لا تسرفوا) فالله تبارك وتعالى لا يحبّ المسرف، والمراد بالإسراف أكل ما لا يحلّ أكله ممّا حرّم الله تعالى أكله، أو الأكل فوق الحاجة^(٢)، فجاءت الآية الكريمة تذييلاً مؤكداً بياناً ((لزيادة تقرير الحكم، فبيّن أنّ الإسراف من الأعمال التي لا يحبّها، فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها، ونفي المحبّة مختلف المراتب، فيعلم أنّ نفي المحبة تشيّد بمقدار قوة الإسراف))^(٣).

وبهذا تكون العلاقات الدلالية قد أسهمت في ترابط النصّ انسجامه، فالنصّ عبارة

عن مجموعة من الجمل مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات التي تقوم بنسج خيوطه،

والوصل بين قضاياه، كما أنّ عمل العلاقات داخل النصّ تكاملي؛ إذ تتآزر هذه

العلاقات فيما بينها للنهوض بالنصّ إلى أكبر قدر من الانسجام والمقبولية.

(١) التفسير المنير: ١٤٣ / ٢١ .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٣٣٣ / ٢ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٢٣ / ٨ .

المبحث الثاني

مظاهر الانسجام في الآيات الاجتماعية

أولاً: البنية الكلية (موضوع النصّ):

تعدّ البنية الكلية (موضوع النصّ) من أهمّ الظواهر النصّية، بوصفها شكلاً من أشكال الانسجام التي تستوجب البحث عن الكيفية التي تمّ بها تماسك النصّ عبر متواليات من الجمل داخلياً أو خارجياً، فتحقّق غايات دلالية ومعنوية على مستوى النصّ.

وهي من العمليات الذهنية المعقدة، والأساس لفهم النصّ وانسجامه؛ لما تؤدّيه من وظيفة بوصفها أداة إجرائية وبنية دلالية تعمل على اختزال الإخبار الدلالي وتنظمه وتصنّفه بصورة كلية^(١)، لذا يعد من الضروري الاهتمام بالتحليل النصّي للبنية الكلية بوصفها ((تمثيلاً تجردياً للدلالة الشاملة للنصّ))^(٢)؛ إذ تمتاز بطبيعة شمولية وبطابع كلي وبأبعاد إطارية سواء أكانت هناك بنى صغرى أم لا، فتنقل من مستوى تحليل المقاطع الجمالية إلى مستوى أعمّ أشمل ترتيباً ونظماً^(٣)، وثمة ما يضاف إلى ذلك أنّ البنية الكبرى لا تختلف عن البنية الصغرى من الناحية الشكلية؛ إذ إنّها تتكوّن أساساً من قضايا، ومن ثمّ فإنّ مفهوم البنية الكلية مفهوم نسبيّ، فهو يميّز بنية ذات طبيعة عامّة، نسبياً بالنظر إلى أبنية خاصّة على مستوى أدنى آخر^(٤).

وفي ضوء ذلك يرى الدكتور سعد يقطين أنّ ((النصّ كبنية دلالية كبرى هو جماع بنيات داخلية (صرفية ونحوية) يتكوّن منها فيتم إنتاجه ضمن بنية نصّية كبرى تتعدّد فيها النصوص، وتتقاطع، وتتداخل، وتتعارض، وتكوّن علاقة النصّ بهذه البنية

(١) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٤٢ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٢٣٧ .

(٣) ينظر: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجاً: ٢٨ .

(٤) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات: ٧٥ .

النصّية هي علاقة صراعية، أو لنقل جدلية تقوم على أساس التفاعل الذي يأخذ طابع الهدم والبناء^(١).

هذا وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى أصرة الترابط بين البنية الكلية الشاملة للنصّ وموضوعه الكلي التي تتجلى على هديها كفاءة المتكلم والمُتلقي في انتقاء العناصر المهمة في النصّ^(٢)، ف ((القراء يختارون من النصّ عناصر مهمّة، تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم أو آرائهم، وعليه يمكن أن تتغيّر البنية الكبرى من شخص إلى آخر))^(٣)، ويعنى هذا ضرورة أن يمتلك القارئ إحساسًا وذوقًا خاصًا شبيهًا بما يملكه المنتج؛ كي يشعر بجماليات النصّ، ويستدعي الترابط الوثيق بين أجزائه.

وهو عينه ما صرح به (فان دايك) بقوله ((المتصور النظريّ الذي سنستعمله لوصف هذا المعنى الإجمالي، أي موضوع النصّ، هو البنية الكبرى (الدلالية)، ومثل كلّ بنية دلالية، فإن البنية الكبرى تتألف أيضًا من قضايا، وإن قضايا البنية الكبرى - أو ببساطة القضايا الكبرى - لتكشف عن الأحداث نفسها في مستوى أعلى، أكثر تجرّدًا وأكثر عموميّة أو أكثر إجمالاً))^(٤)، فيغدو الاتجاه التحليليّ بحسب (فان دايك) منتميًا إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ على النصّ^(٥)، مع مراعاة رصد الظروف والملابسات التي صدر في كنفها النصّ، وإنّ هذين المجالين ليسا أكثر من جزء من علم النصّوص التي هي أحداث اتصالية فعلية، وهذا يعني أن موضوع النصّ ليس شيئًا غير قضية كبرى على مستوى معين من التجريد ولا يجب أن يذكر في النصّ

(١) انفتاح النصّ الروائي (النصّ والسياق): ٣٣ .

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٣١٠ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٢٣٧ .

(٤) النصّ بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النصّ: ١٥٨ - ١٥٩ .

(٥) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة: ١٩٠ .

صراحة^(١)، ((ويعتبر (فان دايك) نفسه بأن هذا المفهوم فضفاض))^(٢)، فما هو إلا نمط إجرائي حدسي يتجلى في البنية الكلية للنص^(٣).

ولذلك قد تتساوى النظرة بين البنية الكلية وموضوع النص، فكلاهما يعدّ تمثيلاً دلاليًا لقضايا النصّ أو اختزالاً له بأكمله، إذ يعدّ افتراضًا يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه وتجعله مقبولاً كمفهوم، وهذا يعني أننا قد لا نلمس الفروق بين هذين المفهومين، ولا مبرر للتفريق بينهما ما دامت الخطوات الإجرائية المتبعة هي نفسها إذا ما أخذنا بالحسبان معطياتهما الدلالية.

وانطلاقاً من المبدأ الذي تستند إليه الدراسات النصّية من إسناد الانسجام إلى القارئ، نجد أنّ ارتباط البنية الكلية بوصفها مفهومًا ذات طبيعة دلالية تسند هي الأخرى إلى القارئ أكثر منه إلى المنتج؛ لأنها تعكس كفاءة المتلقي وجدارته في تحديد الدلالة التي تتفق مع قصد المنتج.

وبناءً على ما سبق يمكننا تحديد وظيفتين مهمّتين لموضوع النصّ تبعاً لاشتغالاته الدلالية^(٤):

الأول: إسهامه في تنظيم أفكار النصّ وترتيب متبنياته بوصفه مرتكزاً تدمج فيه الأفكار التي يتناولها أو ينقلها النصّ.

الآخر: إسهامه في إشراك المتلقي في إنتاج دلالات جديدة بوصفه دالاً نحو معرفة العوالم المتصلة بالموضوع عند المتلقي أو القارئ.

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنصّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: ٦٩ .

(٢) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٢ .

(٤) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١٩١-١٩٢ .

ويتمّ الوصول إلى البنية الكبرى عن طريق تطبيق القواعد الكبرى على سلسلة الوحدات البنيويّة، فوظيفة تلك القواعد تكمن في تحديدها للأمور الجوهرية والأكثر أهميّة في فهم النّصّ، أي أنّها تودّي وظيفتي الاختصار والإيجاز في بناء النّصّ وتشكيل مباشر للبنية الكلّية^(١)، وتشارك هذه القواعد الكبرى التي يتوصل بها إلى الأبنية الكبرى بحسب إشارة (فان دايك) إلى ما يأتي^(٢):

١. **الحذف**: المراد به حذف ما هو ثانويّ وغير أساسي، فبحذفه لا يخلّ المعنى الأعمّ أو الجوهريّ؛ إذ إنّ الغاية منه استنتاج ما نحتاج إليه فقط والذي يحقق الشمولية في المعنى المراد^(٣).

٢. **الاختيار**: هو أيضا حذف جزء من المعلومات أو الشروحات المفصلة لوجود علاقة صريحة وواضحة بين سلسلة القضايا المحذوفة والمعلومات التي تمّ اختيارها^(٤).
والملاحظ على القاعدتين -الحذف والاختيار- أنّهما قائمتان على معيار الإلغاء، واختيار ما هو أعمّ وجوهريّ ليكون بديلاً عن المعلومات المحذوفة^(٥).

٣. **التعميم**: إحلال قضية شاملة محلّ قضايا متعددة لتحقيق الشمولية أو التصور الكلّي المشترك، بحيث تكون هذه القضية دالة على القضايا المحذوفة جميعاً^(٦).

٤. **التركيب (الادماج)**: هذه القاعدة تعني استعمال معلومات غير مذكورة يتمّ استنباطها ومعرفتها بالاعتماد على التصور العقليّ؛ وذلك لبناء تصورات أعمّ لا تتعارض مع البنية الكبرى، لكي لا يفقد النّصّ ومضمونه الأصلي^(٧).

(١) ينظر: التحليل اللغويّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر: ٦٩ .

(٢) ينظر: لسانيات النّصّ: ٢٨٥ ، وبلاغة الخطاب وعلم النّصّ: ٢٣٨ ، واتّجاهات لغويّة معاصرة: ١٩٢ ،

والتحليل اللغويّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر: ٦٨ - ٦٩ .

(٣) ينظر: علم النّصّ، متدخل متداخل الاختصاصات : ٨١ .

(٤) ينظر: العلاقات النّصّية في لغة القرآن الكريم: ١٠٠ .

(٥) ينظر: مصطلحات البنية العليا والبنية الكبرى عند (فان دايك)، (بحث): ٣٧٧ .

(٦) ينظر: العلاقات النّصّية في لغة القرآن الكريم: ١٠٠ .

(٧) ينظر: علم النّصّ، متدخل متداخل الاختصاصات : ٨٦ .

وهنا لابدّ الإشارة إلى أنّ تلك القواعد ((لا تستطيع أن تعمل إلا بالاستناد إلى معرفتنا بالعالم ... وتُعدّ الضوابط المقترحة مجردة أو نظريّة إلى حدّ ما، فهي لا تقول شيئاً عن الطريقة التي يطبقها فيها المستعمل لحظة التأويل الواقعي للنصّ))^(١).

ونقصد بموضوع النصّ في القرآن الكريم ((بنية دلاليّة تصبّ فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب من إيجاز أو إطباب، ... إلخ))^(٢)، وعند النظر إلى الآيات القرآنيّة الاجتماعيّة داخل السور القرآنيّة بحسب اختلاف نزولها تكون متجاوزة حيناً ومتباعدة أحياناً أخرى؛ ويرجع سبب ذلك إلى وحدة الموضوع التي تعالجه السورة والمحصلة النهائيّة يجمعها إطار عام يخدم الموضوع الرئيس الذي يعالجه النصّ^(٣).

هذا وإنّ لكل نصّ موضوعاً ووحدةً تميّزه من غيره من النصوص، والقرآن الكريم بما فيه من تماسك وانسجام عدّ كلمة واحدة، أو بنية كبرى واحدة على الرغم من أنّ ((كلّ سورة من سور القرآن ذات شخصية متقرّدة، وذات ملامح متميّزة، وذات منهج خاصّ، وذات أسلوب معيّن، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة، إنّها كلّها تتجمّع على الموضوع والغاية، ثمّ تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة ...))^(٤).

وفي ضوء ما ذكر سلفاً نخلص إلى أنّ تحديد البنى الكبرى للآيات أمر منوط بالمفسّر أو المُتلقي (القارئ)، الذي يمتلك كفاءة الفهم والتفسير والتحليل، ويُعلّل أحد الباحثين ذلك الأمر بأنّه: ((ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ على النصّ، ... وأنّ النسبة تختلف باختلاف درجات كفاءة القارئ، ولكن يشترط هذا الاتجاه

(١) النصّ بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النصّ: ١٦١ .

(٢) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨٠ .

(٣) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ٩٧ / ١ .

(٤) في ظلال القرآن: ٨ / ١٢٤٣ .

قدرًا كبيرًا من التوافق بين مستعملي اللغة، فعلى الرغم من اختلاف القراء في اختيارهم عناصر مهمة في النصّ لتحديد الأبنية الكبرى للنصّ تبعًا لمعارفهم واهتماماتهم وآرائهم، مما يجعل البنية الكبرى تتغير من شخص إلى آخر، فإنّه على مستوى التفسير الإجمالي لأحد النصوص لا بدّ من وجود توافق كبير بين مستخدمي اللغة ((^(١).

ويتّضح مما سبق أنّ للمتلقي أثرًا بارزًا في إنتاج البنية الكلية وتحديد عناصرها، فهي تختلف من شخص إلى آخر باختلاف معارفهم واهتمامهم، وعلى وفق الجمل المنتجة للنصّ، وتتمثّل مهمتها في منح مستعملي اللغة استخلاص النتائج الضرورية أو المحتملة، وكذلك إمكانية توظيف المعرفة العامة أو السياقية التي يمكن بوساطتها إيجاد القضايا المفقودة التي بوجودها يتحقّق التماسك النصّي.

ويساعد تحديد موضوع النصّ في دمج الأفكار وتنظيمها، فضلًا عن كشفه لمعرفة المتلقي بسياق النصّ والعوامل المحيطة به^(٢)، وبحسب هذا المنطلق تتّضح أهميّة موضوع النصّ وأثرها في تحقيق التماسك الدلاليّ في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم، ولعلّ أصدق الأمثلة على البنى الكلية في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم، ما يلحظ في:

(١) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٣٠ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١٩٢ .

١. آيات المعاملات التجارية (المالية):

ومن قبيل هذا الجنس من الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايْتُمْ بَدِينِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيَدِكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يُأْبَأَنَّ كَاتِبُكُمْ كِتَابَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فليكتب وليملل الذي عليه الحقُّ وليتق الله ربَّه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحقُّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أحسن عند الله وأقوم لل شهادة وأدنى ألا تترابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن تكتبوها وأشهدوا إذا بايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن فعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ (البقرة: ٢٨٢).

نلاحظ أن الانسجام المنطقي بين آياتها واضح، فهذه الأحكام خاصة بالدين والتجارة والرهن، وقد أتت مكتملة للأحكام السابقة في بيان حال الصدقة والربا^(١)، في قوله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ... تُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧١-٢٨١).

الآية الكريمة في مقام تشريع الكتاب في المعاملات المؤجلة، حيث إن النص المبارك يتكون من أكثر من مقطع، وكل مقطع يشكل نصاً قائماً بذاته له معنى خاص، وهذا كله يدخل في إطار الانسجام المشاكلة والمقاربة وتعني: المعنى العام أو الخاص بين الآيات عقلياً كان، أو خيالياً، أو حسياً، والفائدة منه تقوية الارتباط وتلاؤم

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣ / ٣٣٤ .

أجزاء الكلام^(١)، وهو ما أطلق عليه (فان دايك) الأبنية الكبرى، أي إن البنيات الصغرى قد تحققت عن طريق ارتباط المعاني التي تحملها الآيات بموضوع شامل أو بنية كبرى.

إن تماسك الآيات من خلال فهم معناها من ألفاظها من خلال سياق نصوصها المتواجدة فيها، كل هذا يسهم في ترابط السورة دلاليًا واتساقها الشامل من أول السورة حتى نهايتها بما يحقق تماسكها؛ ((لأن معرفة الصلوات الموضوعية في السورة، يتوقف على فهم سياق السورة، وفهمها يتوقف على معرفة مفاصلها ومقاطعها ونصوصها، لتحديد موضوع السورة))^(٢).

٢. سورة النساء (آيات الميراث):

قوله تعالى: ﴿وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَيُخَشِ الْوَالِدِينَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَكَدٌ وَوَرِثَةُ آبَائِهِ فَلِلثَلَاثِ ثُلُثٌ فَإِنْ

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣٧١ .

(٢) نظرية السياق القرآني: ٨٥ .

كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمَّةِ السُّدُسِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ آبَاؤِكُمْ وَآبَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) وَلَكُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ أَنْزَلْنَا بِكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينِ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَكُلٌّ مِنْهَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) ﴿(النساء: ٦-١٣)﴾، ويدخل في هذا الباب أيضًا آيات

المواريث^(١)، وخاصة في سورة النساء التي تتحدث عن علاقات الأسرة وتكافلها الاجتماعي، فارتكزت على مجموعة قضايا أو أبنية كبرى، فصلَّ الله تعالى فيها جُلَّ الأحكام المتصلة بالميراث تفصيلًا دقيقًا وواضحًا، إذ يُعدُّ من قضايا المجتمع المهمة التي تضمن العدالة الإلهية وإعطاء كلِّ ذي حقِّ حقه الذي أقره الله تعالى له، وقد بينت هذه الآيات المبادئ الأساسية للميراث ومنها^(٢):

أولاً: يُبنى التوريث في الإسلام على أمرين: نسبي وهو القرابة، وسببي وهو الزوجية.

ثانياً: إذا ما اجتمع في المستحقين للأثر ذكور وأناث أخذ الذكر ضعف الأنثى.

والبنية الكبرى من منظور علم النَّصِّ هي تصوّر نسبي، ((فالقضية لن تكون أبداً قضية كبرى في ذاتها، ولكنها ستكون على الدوام قضية إزاء القضية (الصغرى) التي اشتقت منها بوساطة الضوابط الكبرى))^(٣).

(١) يراجع: سورة النساء: ١٧٦، وسورة البقرة: ٢٣٣، وسورة المائدة: ١٠٦-١٠٨.

(٢) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ٤٧.

(٣) النَّصُّ بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النَّصِّ: ١٦١.

ولهذا نجد المفسر قد يلجأ إلى قاعدة التعميم لبيان مجموعة قضايا تمكّنه من الوصول إلى البنية الكبرى للنصّ، فبدأ الله تعالى بذكر الأيتام والتأكيد على إعطائهم حقّهم؛ لخطورة النتائج المترتبة على أكل مال اليتيم، إذ يحلّ عليه غضب الله تعالى وسخطه، فجاء في إيضاح معنى قوله تعالى: ((إنّما يأكلون في بطونهم نارا)) مجاز مرسل، فالنار لا تؤكل بل يؤكل مُسبّبها وهو مال اليتيم، ثم إنّ استعمال حرف الجرّ (في) للدلالة على شدة استقراره في بطونهم^(١)، فبذلك أراد تجسيد بشاعة الإقدام على أكل مال اليتيم، وإشارة إلى عمق تغلغل الأكل في بطونهم، والحرف (في) أفاد قوة المعنى وتخصيص البطون بالذكر من دون غيرها؛ ((لأنّها محلّ للمأكولات، والتعريض في: في بطونهم عرّض بذكر البطون لخستهم وسقوط هممهم))^(٢)، وقد ذكر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في معرض حديثه عن دلالة الآية بقوله: ((وما أشدّ دلالة هذا الوعيد - إنّما يأكلون في بطونهم نارا - على سعة رحمته تعالى وكثرة عفوه وفضله؛ لأنّ اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى))^(٣)؛ وذلك كلّه من رحمة الله تعالى باليتامى، فكانت تلك الآية المدخل إلى تفصيل أحكام الميراث.

فالميراث ((يربّي الشخص على الأنانيّة والانغلاق على أسرته الضيقة التي تعمل على نقل ثروتها إليه، يجيء القرآن الكريم بالآية التي نعيش معها لينقض هذا الزعم وليبيّن أنّ الإسلام يربط بين التربية على وحدة النوع الإنساني والميراث، يترتب على هذا أنّ المسلم الذي يلتزم بنقل ثروته إلى أسرته الضيقة يكون مبرّءاً من الأنانيّة ضدّ الآخرين؛ لأنّه يؤمن بأنّ الناس جميعاً من أصل واحد))^(٤).

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٦٨ / ٢ .

(٢) البحر المحيط: ٥٣٢ / ٣ .

(٣) التفسير الكبير: ٥٠٦ / ٩ .

(٤) إعجاز القرآن الكريم في تشريع الميراث وتوظيفه في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية: ٧١ - ٧٢ .

نظرًا لخطورة الإرث وأهميته جعل الله تعالى الوصاية منه مع التأكيد بقوله: ((يوصيكم الله)) دلالة على رحمته وبرّه وعدله لعباده، كما أنه -عظم شأنه- أعدل من الوالدين على أولادهم^(١)، فإذا كانت الجاهلية تنظر إلى الأفراد من زاوية ضيقة متمثلة بقيمتهم العملية في الحرب والإنتاج، فإن الإسلام بمنهجه الرباني ينظر إلى الإنسان من زاوية إنسانية، إذ إنها القيمة الأساسية التي لا تفارقه في أي حال من الأحوال، ولم يغفل جانب التكاليف الواقعية في محيط الأسرة والجماعة^(٢)، ولهذا نلاحظ التفاوت في نصيب كل من الذكر والأنثى.

ففي قوله تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) ذكر الإرث بالقرابة، فناسب أن يذكر (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَنْزَوَا جُكُمُ) في الآية التي تليها الإرث بالمصاهرة، والتي هي أضعف من الإرث بالقرابة، ولكنه قدمها على الإرث بقرابة الأخوة تعريفًا بالاهتمام به، ولأنه بلا واسطة^(٣).

لقد ساعدت علاقتي التعميم والادماج على فرض الأحكام في شأن الإرث لكل من الرجال والنساء، بقوله تعالى (نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) لتتسع البنية الكلية في آيات لاحقة، كما في قوله تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي...)، وقوله تعالى (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَنْزَوَا جُكُمُ...)، وقوله تعالى (وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ)، وأخيرًا ختمت السورة المباركة بأحكام الكلاله التي تتحدث عن الإرث للأخوة والأخوات في قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكْدٌ وَكَهْ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكْدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٩٧ .

(٢) ينظر: في ضلال القرآن: ٤ / ٥٨٨ .

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٢ / ٢٢٢ .

مَرِجَاكَ وَسَاءَ فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (النساء: ١٧٦)، لقد ذُكر الطرف الأول (البنية الكلية) لتقرير مبدأ عام في

الإرث، وهو (البنية الصغرى) حق النساء في الميراث كالرجال ((للإيدان بأصالتهن في هذا الحكم، ودفع ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء))^(١)؛ لتحقيق قضية جامعة لقضايا كثيرة ثانوية، إذ تتضمن إيصال الأمر الإلهي إلى المسلمين، ومطابقتهم في تطبيق قضية الميراث، فأولها في الولد والوالد، وثانيها في الزوج والزوجة، والأخوة من الأم، والآية التي ختم بها كانت في الأخوة والأخوات من الأب والأم^(٢).

وذهب الرازي إلى ربط سياق هذه الآيات بما قبلها وبالعكس على سبيل المشاكلة بقوله ((إنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول، ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين))^(٣)، فاختمت سورة النساء بذكر الأموال وأحكام الميراث، كما افتتحت بذلك، لتحصل المشاكلة والاتساق بين المبدأ والختام^(٤).

ضرورة أن يقرأ القرآن ككل أو كوحدة كلية متماسكة من أوله إلى آخره؛ فموضوع القرآن الرئيس هو (التوحيد).

فجاء تعاملنا مع هذه الآيات على أنها تُعالج موضوعاً واحداً مرتبطاً بتفصيل أحكام الميراث، فالآيات الأربع الأولى التي تبدأ من قوله تعالى: ((للرجال نصيب مما ترك... وسيصلون سعيراً)) تمثل القواعد التي تحكم الأحكام الكلية المتعلقة بتوزيع الثروة، ثم في الآيات التي بعدها والتي تبدأ من قوله تعالى: ((يوصيكم الله... والله عليم حكيم)) جيء بالأحكام التفصيلية التي تحدّد نصيب كل من الورثة، فهذه الآيات

(١) فتح القدير: ١ / ٥٩٠ .

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١١ / ٢٧٥ .

(٣) المصدر نفسه: ١١ / ٢٧٥ .

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٢ / ٣٩٧ ، والمحرر الوجيز: ٢ / ١٤٢ ، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٣ / ٣١٥

وإن جاءت مشتملة على أحكام إلا أنها بمثابة بنيات صغرى تتسجم مع بعضها وتتآلف لتنتج معنى أعم وأشمل ذا صلة وثيقة بالبنيات الكبرى التي تعدّ تجريدًا كليًا لدلالة الآيات وموضوعاتها التي قامت عليها، بمعنى أنّ الأبنية الصغرى تتحرك دلاليًا تحت إطار البنية الكلية، التي ينبغي أن تنبثق نتيجة لها.

٣. سورة النور:

تتناول السور المدنية التشريع الخاصّ بالمجتمع الإسلامي، من قضايا المعاملات والأحوال الشخصية والأخلاق، وسورة النور واحدة من هذه السور؛ إذ تشكّل نصًا متكامل البنية، متحد الموضوع وهو التربية في الإسلام، فهي تهتمّ بالآداب الاجتماعية ومبادئ التشريع الإسلامي، تلك هي المبادئ التي تقوم على إبرار المنهج الإسلامي في تنشئة الفرد المسلم تنشئة إسلامية صحيحة، والإبتعاد به عن مسالك الشيطان التي تبدأ بالنظرة وتنتهي بالفاحشة^(١)، فاشتملت على آيات بينات من الهدى إلى التوحيد وحجج وتمثيل، ودلائل صنع الله على سعة قدرته وحكمته وعلمه.

بدأت سورة النور بقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ١)، بجملة اسمية محذوفة المبتدأ، تقديره (هذه)، واسم الإشارة المقدر يشير إلى حاضر في السمع وهو الكلام المتتالي، فكلّ ما ينزل من هذه السورة والحقّ بها من الآيات فهو من المشار إليه باسم الإشارة المقدر، وهذه الإشارة مستعملة في الكلام كثيرًا، ذلك أنّ أينعها ثمرًا ما كان منساقًا إليه ذهن السامع ومن دون تكلف^(٢)، كما جاءت ممتدة بالوصف، والعطف، فاشتملت على جمل كبرى.

وبذلك تكون الجملة الابتدائية في هذه السورة، هي الجملة المؤسّسة، وإجمالًا لما سيأتي بعدها من تفصيل في نصّ السورة المباركة للآيات البيّنات التي تليها، وإشارة

(١) ينظر: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجًا: ١٧٤ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨ / ١٤١ - ١٤٢ .

إلى الآيات الكونية التي تبني العقيدة لما فيها من توجيه للمجتمع الإسلامي وإرشاد له^(١).

و(فَرَضْنَاهَا) تؤكد على الأخذ بكل ما سيرد في مضمون السورة من أحكام، وآداب أخلاقية، وتنويه للمسلمين على تلقي وقبول ما فيها من أحكام تنظم شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، ووجوب العمل بأحكامها، لتأتي الفاصلة القرآنية التي خُتمت بها هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وهي على ارتباط تام بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ لأن الآيات بهذا المعنى موضع التذكر، أي: دلائل المواضع لحصول تذكركم، فحصل بهذا الرجاء وصف آخر للسورة، هو أنها مبعث تذكر وعظة^(٢).

وأشار الرازي في معرض تفسيره لهذه الآية إلى مدى علاقة مناسبة هذه الآية بموضوعاتها، بقوله: ((إنه سبحانه اكر في أول السورة أنواعًا من الأحكام والحدود، وفي آخرها دلائل التوحيد، فقوله (وَفَرَضْنَاهَا) إشارة إلى الأحكام التي بينها أولًا، ثم قوله (وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) إشارة إلى ما بين من دلائل التوحيد، والذي يؤكد هذا التأويل قوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)، فإن الأحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكيرها، أما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم لظهورها فأمروا بتذكيرها))^(٣)

وتتجلى (البنية الكلية) وحدة الموضوع في سورة النور في ضوء الحديث عن قضايا تشريعية تتعلق بتطهير المجتمع الإسلامي من الفاحشة، متمثلاً بالزنا والقذف وأحكامهما وعقوبتهما في الإسلام، وما يتعلق به من ملاءمة بين الزوجين ثم الحديث

(١) ينظر: نحو النص، دراسة تطبيقية على سورة النور: ١١١ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨ / ١٤٤ .

(٣) التفسير الكبير: ٢٣ / ١٣٠ .

عن حادثة الإفك؛ إذ إنّه حدّ من حدود الله التي جاء فيها العقاب نصّاً صريحاً في القرآن الكريم وفي هذه السورة على وجه الخصوص^(١)، بما يوجب تعظيم الرغبة في الستر وصيانة الأعراض وإخفاء الفواحش.

ثمّ ينتقل الخطاب إلى موضوع الحديث عن الاستئذان عند دخول البيوت وآدابه، إضافة إلى الأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة لغير المحارم كما يأمر الخالق جلّ وعلا بإنكاح الأيامي والنهي عن إكراه البنات ودفعهن للبغياء، وهذا الموضوع يرتبط بالموضوع الأوّل ارتباطاً وثيقاً، بل إنّه لا ينفصل عنه؛ لأنّه من الوسائل الوقائيّة التي تتباعد بالفرد المسلم عن الوقوع في حدّ الزنا، أو حدّ القذف.

كذلك الحديث عن مجموعة من الآداب التي يتحلّى بها المؤمنون، وتتبع من نور الله وهديّة في قلوبهم، لذلك ربطها بنور الله سبحانه وتعالى الذي ملأ السماء والأرض، لا بل ملأ الكون بأكمله، فأفضل مكان يعبد الله فيه هو بيوت الله في أرضه؛ لأنّها أظهر ما خلق الله، كما تتحدّث آيات هذا الموضوع عن موازنة بين المؤمنين الذي يطيعون الله والكفار الذي يعصون أمر الله وأمر رسوله، ثم يتجلى الخالق في الحديث عن تعظيم مخلوقاته له وعن نعمة التي لا تعد ولا تحصى وأولها نزول المطر، وتقليب الليل والنهار، وكيف خلق الله كلّ دابة من ماء، ثمّ جاءت أشكالهم وأجناسهم ووظائفهم مختلفة كما أرادها الخالق العظيم^(٢).

ثمّ يعود الحديث عن الاستئذان وآدابه، عند الضيافة وفي محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء، كما يتحدّث عن آداب الجماعة المسلمة، ويصوّر لها أسرة واحدة مربيتها الأوّل وهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) ينظر: نحو النّصّ، دراسة تطبيقية على سورة النور: ١٠٧ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٨ .

إنَّ البنية الكبرى لسورة النور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الآيات الكليّ بمختلف الأحكام الواردة فيها، وهي كلّها أحكام تشرّع للمجتمع الإسلاميّ، وتتابع هذه الأحكام - رغم تنوعها- وفق ترتيب دقيق يكشف عن فحوة تلك الآيات، وبنيتها الكبرى وانسجامها؛ إذ ((تتداخل فيها الآداب النفسيّة الفرديّة، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة، بوصفها نابعة كلّها من معين واحد هو العقيدة في الله، متّصلة كلّها بنور واحد وهو نور الله))^(١).

وقد ذكر سيد قطب هذا السر العجيب بتناسب الكلمات والفواصل والآيات في هذه السورة المباركة بقوله: ((مطلع فريد في القرآن كله، الجديد فيه كلمة "فرضناها" والمقصود بها فيما نعلم توكيد الأخذ بكل ما في السورة على درجة سواء ففريضة الآداب والأخلاق فيها كفريضة الحدود والعقوبات، هذه الآداب والأخلاق المركوزة في الفطرة والتي ينساها الناس تحت تأثير المغريات والانحرافات، فتذكروهم بها تلك الآيات البينات، وتردهم إلى منطق الفطرة الواضح المبين))^(٢).

وفي آية قذف المحصنات حصل التناسب في الفاصلة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) عقب قوله تعالى (وَمَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا)، فهو ((وصف ذم لهم زائد على رد الشهادة))^(٣)، وهذا يدل على أنّ القذف من جملة الكبائر، والفسق لا يقع إلا على أصحاب الكبائر، وعدم قبول شهادتهم كونهم فاسقين، (إِنَّ الَّذِينَ تَابُوا)، فيثبت علة رد الشهادة إلاّ كونه فاسقاً، على زوال الفسق فقد زالت العلة، فوجب أنّ يزول الحكم لزوال العلة، وربط صاحب الجامع لأحكام القرآن الفاصلة القرآنية، وهي قوله تعالى (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وموضوع الآية بعلاقة التعليل لا جملة مستقلة بنفسها، أي: لا تقبلوا شهادتهم لفسقهم،

(١) في ظلال القرآن: ١٨ / ٢٤٨٦ .

(٢) المصدر نفسه: ١٨ / ٢٤٨٧ .

(٣) محاسن التأويل: ١٢ / ٤٤٥٤ .

فإذا زال الفسق لا تقبل شهادتهم^(١)، كما أن هناك علاقة وثيقة بين التوبة وفاصلة الآية في قوله تعالى (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٢)، فلكونه غفورًا رحيمًا يقبل التوبة من عباده^(٣).

ومع الأخذ بالحسبان أن تحديد البنية الكبرى لأي سورة تختلف باختلاف التفسير والتأويل وباختلاف المفسرين، والمواقف، والسياقات؛ إلا أن اختلاف لا يتجاوز حدود الصياغة في الكثير من الأحيان^(٤)؛ لأنَّ القراء يختارون عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم أو آرائهم، وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر^(٥).

٤. سورة الطلاق:

وسورة الطلاق جاءت لتُعالج مجموعة من القضايا الاجتماعية المهمة، وقد ذكر ابن عاشور أن أهدافها ومقاصدها تدور على محاور منها^(٥):

- تحديد أحكام الطلاق ما يعقبه من العدة والإرضاع والإنفاق والإسكان.
- الإيماء إلى حكمة شرع العدة.
- النهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن.
- الاستشهاد على التطليق وعلى المراجعة.
- إرضاع المطلقة ابنها بأجرٍ على الله.
- الأمر بالائتمار والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما، وغيرهما فيما تخلل ذلك الأمر من الوعد والموعظة واتباع حدود الله.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ١٨٦ .

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) ينظر: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجًا: ١٩٣ .

(٤) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٥٦ .

(٥) التحرير والتتوير: ٢٨ / ٢٩٣ .

فالسورة المباركة سورة مدينة بالاتفاق^(١)، وموضوعها الأساسي هو موضوع النص الاجتماعي المدني، وهي من آيات المعاملات التي نص عليها الخطاب المدني في تنظيم الأسرة والمجتمع والحياة الاجتماعية،

ونلاحظ أنّ المُتلقّي، أو المفسّر استند إلى عنصر القراءة فضلاً عن اعتماده على البيانات الدلالية التي يتضمّنها النصّ، وتعبير آخر أنّه لم يتمّ بترجمة البيانات الواردة في النصّ دلاليّاً فقط، بل وضع لها نوعاً من الإطار الذي يراها من خلاله^(٢)، بمعنى أنّه عمد إلى قاعدة الاختيار، أي يختار من السورة المباركة ما يتّصل اتّصلاً وثيقاً بالقضية الجوهرية في نصّ ما وحذف ما سواه.

لكن سيّد قطب لم يلجأ إلى قاعدة الاختيار، بل عالج قضية سورة الطلاق انطلاقاً من قاعدة التعميم، أي حلول تصوّر علوي مشترك محلّ التصورات الجزئية للكشف عن بنية النصّ الكبرى، وهذا التصوّر هو موضوع الطلاق الذي تعالجه السورة المباركة حيث ((يبين الله فيها أحكامه، ويفصل فيها الحالات التي لم تفصل في السورة الأخرى (سورة البقرة) التي تضمّنت بعض أحكام الطلاق؛ ويقرّر فيها أحكام الحالات المختلفة عن الطلاق من شؤون الأسرة))^(٣).

وبقراءة متفحّصة نجد أنّ موضوع المطلقة وحقها بعد انقضاء العدة، وحكم المسكن ونفقة الحمل؛ مثل بنية كبرى قامت عليها سورة الطلاق، وقد تمثّل ذلك في مجموعة من الآيات من سورة الطلاق، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْمِي لَهُمُ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨ / ٢٩٢ .

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٢٤١ .

(٣) في ظلال القرآن: ٢٨ / ٣٥٩٣ .

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَفِّقُكُمْ لِقَوْلِ اللَّهِ بِإِذْنِهِ إِذْ يَبْلُغُ الْأَمْرُ أَجْلَهُ وَمَنْ يَقْبَلْ إِلَيْكُمْ فَاغْلِبُوا بِهِ مَن يَرِيضْكُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فاعلموا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢) وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَسْتَنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ امْرُؤٌ مِنْكُمْ فَعَدَّتْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فاستَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّئًا اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿ (الطلاق: ١-٧)،

الملاحظ على هذه الآيات أنها تتحرك ضمن موضوع عام وبنية كبرى قامت عليها السورة المباركة، فموضوعها العام ينطوي على جملة أحكام، ومن أهمها الأحكام المتعلقة بالطلاق والنتائج المترتبة عليه، وهي على اختلاف أبنيتها الصغرى إلا أنها تغذي البنية الكبرى لنص السورة، ولما كانت هذه الأحكام تؤكد على أهمية العلاقات الإنسانية والعائلية وقداستها، وجدنا القرآن الكريم حريص على بيانها وإيضاحها، ويؤكد مرارًا وتكرارًا على إيضاح مجمل الأحكام المتعلقة به ليكون الطرفان على بيّنة من أمرهما، ولا يظلم بعضهما بعضًا، ولكي يسود العدل والمودة بين الجميع، وتجنب البغضاء والكراهية.

وجّه الله تبارك وتعالى خطابه لرسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تكريماً

له وتعظيماً^(١)، وهو ((أسلوب من أساليب التشريع المهمّ به فلا يقتضي ذلك تخصيص

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٠ / ١٩٦ .

ما يُذكر بعده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... فإن كان التشريع الوارد يشمل ويشمل الأمة جاء الخطاب مشتملاً على ما يُفيد ذلك مثل صيغة الجمع في قوله هنا إذا طلقت النساء وإن كان التشريع خاصاً بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءت بما يقتضي ذلك نحو يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك^(١)، وهذا يعني أنّ الخطاب وإن كان موجّهاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشخصه، إلا أنه أمر عامّ للمؤمنين وحكم عامّ للمسلمين؛ لعظم الأمر الذي تضمّنته السورة المباركة، وخطورته على المجتمع^(٢)، فالقدر الجامع بين هذه الأحكام مثل أشكالاً مختلفة نسبياً ليكون في المحصلة النهائية الصورة الكلية لبنية النصّ، لما فيه من هدم أوامر المودة والترابط، وإحلال التماسك الأسريّ جزاء انفصال الزوجين بعد عشرة طويلة وهجر بعد وصال، فضلاً عن الخسائر الماديّة والمعنويّة الناتجة عن اتّخاذ مثل هذا القرار المصيريّ الصعب.

الملاحظ على السورة الكريمة أن فيها تفصيلاً دقيقاً لأحكام الطلاق وتأكيداً على ضرورة الالتزام بذلك، وفيها من الترغيب والترهيب ما هو واضح القصد ومفهوم الدلالة، لذا كانت هذه الأحكام بمثابة قاعدة صغرى لبناء بنية كبرى؛ لأنها ((كانت تواجه حالات واقعة في الجماعة المسلمة متخلّفة من رواسب الجاهليّة، وما كانت تلاقيه المرأة من العنت والخسف، ممّا اقتضى هذا التشديد، وهذا الحشد من المؤثرات النفسيّة، ومن التفصيلات الدقيقة، التي لا تدع مجالاً للتلاعب والالتواء مع ما كان مستقرّاً في النفوس من تصورات متخلّفة عن علاقات الجنسين، ومن تفكّك وفوضى في الحياة العائليّة))^(٣)، ففي هذه السورة انسجام نصّيّ حاصل من ارتباط تلك الآيات ببنية كبرى، ألا وهو موضوع الطلاق، فهذا الموضوع هو الهدف الرئيس أو البنية الكبرى التي

(١) التحرير والتنوير: ٢٨ / ٢٩٤ .

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى: ١٠ / ٥٩٦٧ .

(٣) الأساس في التفسير: ١٠ / ٥٩٦٨ - ٥٩٦٩ .

جاءت متضمّنة لأحكام الطلاق وما يترتّب عليه من عواقب، فقد تمّ دمج تلك الآيات التي تمثّل الأبنية الصغرى وتراكمها دلاليًا مع بعض ضمن ما يسمّى بالبنية العامّة أو الشاملة لتحقيق الانسجام والتناسق، وهذا الدمج هو في حقيقته نوع من التكرار للموضوع الرئيس أو البنية الكبرى.

ثانياً: ترتيب محتوى النصّ:

يُعدّ ترتيب محتوى النصّ وسيلة من وسائل الترابط النصّي، ومظهرًا من مظاهر انسجامه، فهو يعمل على انتظام الأحداث التي تحيل إليها سلاسل الجمل المتتالية، إضافة إلى ما يحدثه من أثر في ترابط أجزاء النصّ وانسجامه؛ لأنّ ((ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عاديّ تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم))^(١).

وهناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النصّ، وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفيّة كالإدراك والاهتمام وتتمثّل فيما يأتي: (العامّ - الخاصّ، الكلّ - الجزء، المجموعة الفرعيّة - العنصر، المتضمّن - المتضمّن، الكبير - الصغير، الخارج - الداخل، المالك - المملوك)^(٢)، وترتبط هذه العلاقات بالأحداث والمعلومات الواردة، التي تحيل إليها الجمل المتعاقبة ((بعلاقات شرطية بشكل رئيس وتترافق هذه العلاقات بين الأحداث غالبًا بعلاقات بين الأشياء والمميزات، والأشخاص، أو الأفعال المنتمية إلى هذه الأحداث))^(٣)، فتنتج بوساطتها علاقات دلالية ومنطقية وموضوعية، تسهم في الوصول إلى ترتيب محتوى النصّ أو الخطاب، وكيفية الربط بين متواليات الجمل، وتنظم الأحداث بطريقة تنبه المتلقّي وتحفز ذهنه في آفاق النصّ من دون تشتت أفكاره بحسب الغرض الذي يقصده المنشئ.

وهذا ما تنبه به حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) إذ قال: ((يجب أن يقدّم في الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام. ويكون مع ذلك

(١) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٣٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩ ، والاتّساق والانسجام في سورة الكهف: ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) العلاماتية وعلم النصّ: ١٥٧ .

متأتيًا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ. ويتلوه الأهم فالأهم (...))^(١)، فيتحقق بوساطته إنتاج العديد من المقاصد والأهداف التي ترفد البنية الدلالية للنصّ.

ويتولّد عن التركيب الدلالي للنصّ طبيعة البنيات النظميّة والنحويّة التي تتحكّم أيضًا في تحديد المتتاليات وتوزيعها؛ فيكون النصّ بعيد عن ركام الأدلة المتجاوزة فيما بينها؛ لأنّه يخضع لقواعد ترتيب وتطابق الكلمات والجمل المتتالية، فتساعد على تنظيم محتوى النصّ أو الخطاب.

وقد ذكرت الدكتورة عزة شبل: أنّ محلّي الخطاب اقترحوا مجموعة من العلاقات المنطقية التي تعمل على ترتيب الجمل والأحداث وترابط القضايا بعضها مع بعض على مستوى النصّ^(٢):

١. علاقة الاتّحاد (الجمع).
٢. علاقة السببية.
٣. علاقة الاستجابة، مثل: (المشكلة والحلّ، السؤال والجواب... الخ).
٤. علاقة التقابل.
٥. علاقة الوصف.

وعليه يمكننا أن نميّز بين نوعين من الترتيب^(٣):

الأوّل: حرّ: إن لم يحدث فيه التغير أي أثر دلاليّ أو تداوليّ.
الثاني: المطلق والمقيّد: ويكون الترتيب مقيّدًا إذا حدث فيه تغير أحد هذين الأثرين أو أدّى إلى عدم انسجام النصّ بعد أن كان مُنسجمًا.

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٨٩ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٣٨ .

ونستشف مما تقدّم أنّ أي خرق في ترتيب الكلمات والجمل، وكذلك المقاطع والفقرات، ووحدات النّصّ أو الخطاب؛ تؤدّي إلى خرق المفهوم الدلالي والمنطقي للنّصّ، حينئذ تصبح قابليّة الفهم بالنسبة إلى القارئ المتوسط على الأقلّ منعدمة، أو يقودنا هذا إلى انسجام منعدم؛ لأنّ رهان الانسجام هنا قدرة المُتلقي على ترتيب هذه الكلمات والجمل المُبعثرة، والربط بينها وملء الفراغات باستغلال معرفته الموسوعيّة عن طريق سحب المعلومات من الذاكرة، وربطها مع النّصّ أو الخطاب الموجه لإتمام عملية الفهم^(١)؛ لاسيما إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار إنّ الغرض الأساسي من الترتيب هو ((أنّ يتوقف أحد أجزاء النّصّ على جزء آخر أي أنّ العناصر اللغويّة التي تفيد الترتيب مطّردة في الدلالة عليه))^(٢).

ويعلل (فان دايك) سبب عدم وضوح العلاقات الرابطة بين أجزاء النّصّ إلى أنّ كلّ نصّ يشير إلى جزء صغير جدًا من الأحداث، فترتيب هذه الأحداث قد يطابق نظامًا مختلفًا في النّصّ بسبب الضوابط المعرفيّة والتداوليّة، وهذه الأحداث بدورها التي تحيل إليها من النادر أنّ تنظم تنظيمًا طوليًا، بل يكون ترتيبها مكانيًا أو على صورة تراتبيّة^(٣).

وعليه فالمحصّلة النهائيّة تبين لنا أنّ جماليّات النّصّ تكمن في تفكيك بنيته وإعادة بنائه، فالنّصّ مفتوح إلى ما لا نهاية من النّصوص التي تشترك معه في الأفكار والمضامين، والمُتلقي والمبدع يشتركان في المخزون الثقافي والمرجعيات الموروثة، فمتى ما استطاع المُتلقي ربط النّصّ مع النّصوص السابقة واللاحقة له تبرز عندها جماليّات النّصّ، والاشترار في الأفكار بين المبدع والمُتلقي، وإنّ لم يستطع المُتلقي كشف علاقة النّصّ فسدّ ذلك الجمال وغاب عنه.

(١) ينظر: الشعرية وانسجام الخطاب: ١٢٤ .

(٢) رسائل ابن حزم، دراسة في رسالتي (طوق الحمامة وفي مداواة النفوس أنموذجًا): ١٥٣ .

(٣) ينظر: النّصّ والسياق: ١٥٠ .

ومن الأمثلة القرآنية على ترتيب محتوى النص في الآيات الاجتماعية، ما نجده في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَتْمَحْرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١)، إذ نجد أن جملة الآيات الواردة في النص القرآني جاءت متضمنة لموضوع المحرمات التي صرح بها القرآن الكريم، فبدأ الخطاب بأمر عظيم يُدلل على عظمة الدين الإسلامي ألا وهو الإيفاء بالعقود، و((لما كان العقد - وهو العهد - يقع على جميع المواثيق الدينية التي أخذها الله من عباده من أركان وأجزاء كالتوحيد وسائر المعارف الأصلية والأعمال العبادية والأحكام المشروعة تأسيساً أو إمضاءً، ومنها عقود المعاملات وغير ذلك، وكان لفظ العقود أيضاً جمعاً محلي باللام لا جرم كان الأوجه حمل العقود في الآية على ما يعم كل ما يصدق عليه أنه عقد))^(١)؛ ذلك أن إيمانهم يُحتّم عليهم الاستجابة لمتطلبات هذا الإيمان وما يترتب عليه من أوامر ونواهي، فالإيمان ((بحد ذاته هو عهد من المؤمن لله بأنه سيقوم بتنفيذ ما آمن به قولاً، من خلال التطبيق العملي، فالإيمان يقوم بتفعيل القول ليمسي فعلاً، وإلا للبت قولاً دون فعالية))^(٢)، فمن خلال لفظة العقود في النص المبارك تبرز لنا علاقة الجمع، التي تحكمت في ترتيب عناصر النص ترتيباً منطقيّاً، ثم انتقل الخطاب إلى تفصيل ذلك الجمع في بيان ذكر الأظعمة ما حلّ منها، وما حرّم، وذكر ما يتعلّق بضرورات الحياة لينتقل بنا الخطاب من علاقة الجمع إلى علاقة الوصف، والتي جاءت في قوله تعالى: ((أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ...)) فقد أحلّها الله تعالى لهم أكلاً وبيعاً وشراءً، فالإحلال ((هو الإباحة والبهيمة اسم لكلّ ذي أربع من دواب البر والبحر على ما في المجتمع، وعلى هذا فإضافة البهيمة إلى الإنعام من قبيل إضافة النوع إلى أصنافه))^(٣)، ثم استثنى منها بعض الانعام لعلّة

(١) الميزان: ٦ / ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) القرآن الكريم التحليل الروائي: مج ١ / ٥٠٥ .

(٣) الميزان: ٦ / ١٦٤ .

سيرد تفصيلاتها في آيات لاحقة، ثم انتقل إلى تحريم الصيد في حالة الإحرام، ف جاء في قوله تعالى: ((غير محلي الصيد وأنتم حرم)) ((حال من ضمير الخطاب في قوله "أحلّت لكم" ومفاده حرمة هذا الذي أحلّ إذا كان اصطياًده في حال الإحرام... وقيل: إنّه حال من قوله "أوفوا" أو حال من ضمير الخطاب في قوله "يتلى عليكم")^(١)، وبعد الانتهاء من تذكير المؤمنين على ضرورة الالتزام بالعهد، وبين لهم الحلال والحرام من الأطعمة، انتقل الله تبارك وتعالى في حديثه إلى نهيمهم عن إحلال شعائر الله بما ينسجم مع أهوائهم، بل العمل بها على وفق ما أَرادَه اللهُ تعالى؛ إذ إنّ معنى الإحلال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَكَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَكَالْهُدْيِ وَكَالْفَلَاءِدِ وَكَالْأَمِينِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَمَرْضواناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَكَالْبَحْرِ مَتَّكُمُ شَيْئانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَعَاوُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَكَالْعَدوانِ وَالْعُدوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾، هو ((الإباحة الملازمة لعدم المبالاة بالحرمة والمنزلة، ويتعيّن معناه بحسب ما أُضيف إليه: فإحلال شعائر الله عدم احترامها وتركها، وإحلال الشهر الحرام عدم حفظ حرمة والقتال فيه))^(٢)، ثم تبرز لنا علاقة التقابل؛ إذ حتّم اللهُ تبارك وتعالى في النصّ الكريم على التعاون على البرّ والتقوى وليس على الاثم والعدوان، فالبرّ والتقوى ((من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، إذ يوجب على الناس أن يعيّن بعضهم بعضاً على كل ما ينفع الناس أفراداً وجماعات في دينهم ودنياهم وعلى كلّ عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفسد والمضار عن أنفسهم))^(٣)، وتتوالى انسيابية الأحداث، ويبين عزّ وجلّ طريقة التعامل معهم بعلاقة السببية في قوله تعالى: ((واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب))؛ لأنّ الدعوة إلى التقوى جاءت مقرونة بالتذكير بالصفة الإلهية التي تؤكد على أنّه شديد العقاب في موضع

(١) الميزان: ٦ / ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه: ٦ / ١٦٥ .

(٣) تفسير المراغي: ٦ / ٤٦ .

النكال والنقمة؛ وذلك ليخفف الإنسان من اندفاعات النفس الذاتية في خطِّ الانحراف^(١)، فقد شاركت هذه العلاقة في ترتيب الأحداث وترابطها المتحققة.

وفي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَنْزِلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ بَنَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾.

ويستمر ترتيب الأحداث وتنظيمها تنظيمًا موضوعيًا في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾، فقد سُمِّيت هذه السورة بالتكميل؛ ((لأنَّ فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال ... وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب))^(٢)، حيث انتقل الخطاب بذكر سؤال المؤمنين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تفصيل القول بالذي أُحِلَّ لهم، فجاء الجواب ((أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ)) فهو جواب ((عام مطلق فيه إعطاء الضابط الكلي الذي يميز الحلال من الحرام، وهو أن يكون ما يقصد التصرف فيه بما يعهد في مثله من التصرفات أمرًا طيبًا، وإطلاق الطيب أيضًا من غير تقييده بشيء يوجب أن يكون المعبر في تشخيص طيبه استنابة الأفهام المتعارفة ذلك فما يستناب عند الأفهام

(١) ينظر: تفسير من وحي القرآن: ٣٠ / ٨ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣٨٢ .

العادية فهو طيب، وجميع ما هو طيب حلال^(١)، فظهرت لنا علاقة الاستجابة المتمثلة بالمشكلة والحل بشكل واضح وجلي في الآية الكريمة، ثم كرر في الآية التالية في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مِنْ مَحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُنْخَذِينَ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾، إحلل الطيبات وضمها إلى قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، وهو ((من قبيل ضم المقطوع به إلى المشكوك فيه لإيجاد الطمأنينة في نفس المخاطب وإزالة ما فيه من القلق والاضطراب))^(٢)، ويستمر تتابع الأحداث، إذ يعود النص الكريم إلى علاقة التقابل بين ما أُحلَّ لهم وما حُرِّم عليهم، وهذا الترتيب ساعد على تلاحم النص وانسجام أجزائه، فقد شكّل ترتيب الأحداث في النص الكريم وترباطها، وحدة فنيّة بين بداية النص ونهايته، ممّا شارك في بناء نصّ متلاحم الأجزاء، وأظهرت العلاقات النصّيّة ترابطاً منطقيّاً في ترتيب الأحكام في النصّ القرآنيّ المبارك.

لقد وصف الرازيّ مناسبة هذا الترتيب بين الوفاء وما يليها من آيات بقوله ((أن مفتتح السورة كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية، فقال "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ"، وكما حال المؤمن في أن يشرع في العبودية، وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية، فالأول هو الشريعة وهو البداية، والآخر هو الحقيقة وهو النهاية...))^(٣).

وإنّ هذا الترتيب في النصّ القرآنيّ قد حقّق انسجاماً على مستوى الجملة الكبرى، فالقصدية من هذا الترتيب تتحكم بصفة قطعية ((بالبنية الشموليّة للنصّ على أساس أنّ هذه البنية تعدّ إحدى الروابط النصّيّة على المستوى الأعلى، بوصفها أداة تنظيميّة

(١) الميزان: ٦ / ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه: ٦ / ٢٠٧ .

(٣) التفسير الكبير: ١ / ٤٦٩ .

لأجزاء النَّصِّ، لا تكشف في النَّصِّ عن بنية خاصة تالية لها فحسب، بل إنَّها تحدَّد في الوقت ذاته النظام الكلي لأجزاء النَّصِّ أيضًا، فالخطاب لا يحتوي فقط على بنية المعنى، ولكن يحتوي أيضًا على بنية الشكل أو هيكل الخطاب^(١).

وكذلك يُسهم ترتيب النَّصِّ ووقائعه بتماسكه وانسجامه، وهذا ما يُعرف بعلم المناسبة أو ما يسمَّى بـ(علل الترتيب)، وقد وجد المعنيون بالنَّصِّ القرآنيَّ أنَّ العلاقات التي تحقِّق التناسب فيما بين الآيتين أو فيما بين السورتين ترجع إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي، ويتمَّ ذلك بترتيب الجمل في الآيات، والآيات في السور في ضوء العلاقات الدلالية، وفق غرض معيَّن يصل به إلى ذهن المُتلقي، ويمكن بيان ذلك عبر النَّصِّ القرآنيِّ الآتي: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، البادي أنَّه يستعمل الفعل المضارع بمعنى التحول والتحرك؛ أي تولية الوجه، فالمتطلَّع فيه يجد علاقة العموم في وصف البرِّ بأنَّه من تتمثَّل فيه صفات معيَّنة يمضي النَّصِّ القرآنيَّ في تعدُّدها واحدة تلو الأخرى حسب أهميَّتها لدى الباري جلَّ وعلا لتوضيح الخصوص، بدأً من الإيمان بالله والاعتراف بوحدانيَّته جلَّ وعلا، ثمَّ انتقال الخطاب إلى الغيبيات من الإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتب السماوية المنزلة قبل القرآن والنبين، مع ملاحظة استعمال النَّصِّ المبارك النبيين من دون المرسلين؛ لأنَّ النبوة أوسع من الرسالة، ثمَّ بعد ذلك انتقل الخطاب إلى مسألة أحكام المعاملات ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، ((وجاء هذا الترتيبُ فيمنَ يُؤتى المالَ تقديمًا، الأولى فالأولى؛ لأنَّ الفقيرَ القريبَ أولى بالصدقة من غيره للجمعِ فيها بين الصلَّة والصدقة،

(١) المقصدية وترتيب الخطاب القرآني: ٧٣ .

ولأنَّ القرابة من أوكد الوجوه في صرفِ المالِ إليها، ولذلك يستحقُّ بِهَا الإرثُ، فلذلك قَدَّمَ ثُمَّ أَتبعَ باليتامى لآئِه مُنقطعِ الحيلةِ من كلِّ الوجوهِ لصغره، ثُمَّ أَتبعَ بالمساكينِ لأنَّ الحاجةَ قَدْ تَشَتَّدُ بِهِم، ثُمَّ بَابِنِ السَّبِيلِ لآئِه قَدْ تَشَتَّدُ حاجتُه في الرجوعِ إلى أهله، ثُمَّ بالسائلين وفي الرقابِ لأنَّ حاجتهما دُونَ حاجةٍ من تقدَّم ذكرُه ... والقولُ في تقديم الصلاةِ على الزكاةِ، وهو أنَّ الصلاةَ أفضلُ العباداتِ البدنيةِ، وتُكرَّرُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وتَجِبُ على كلِّ عاقلٍ بالشروطِ المذكورةِ، فلذلك قُدِّمَتْ. وعطفَ قوله وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ على صلةٍ من، وصلةٍ من آمنَ وآتى، وتقدَّمتُ صلةٌ من التي هي: آمنَ؛ لأنَّ الإيمانَ أفضلُ الأشياءِ المُتعبَدِ بِهَا، وهو رأسُ الأعمالِ الدينيةِ وهو المطلوبُ الأوَّلُ، وثنى بإيتاءِ المالِ من ذكرٍ فيه؛ لأنَّ ذلكَ من أثرِ الأشياءِ عندِ العربِ، ومن مناقبِها الجليةِ^(١)، فجاء بعد كلِّ هذه الصفاتِ المتقدِّمةِ بوصفِ المتقينِ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وهذه الصفةُ نفسها في نصِّ الآية التي تلتها بعد عدد من الآيات في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَكَيْسَ الْبِرِّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَكَانَ الْبِرُّ مِنْ أُمَّي وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩)، فجملة ﴿وَكَيْسَ الْبِرِّ مِنْ أُمَّي﴾، فجاء بكلمة التقوى للإيجاز؛ لأنَّ أصلَ الكلام في الآيتين هو قضية آية قبله أولى بالاتِّجاه نحوها؟ في أي اتِّجاه يكون البرُّ؟ والقرآنُ بيِّن لمن يسمعه سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم أين يكون البرُّ الحقيقيّ.

إنَّ النصَّ القرآنيَّ وحدة متصلة كاملة، ولا يجب أن يؤخذ أجزاء متفرقة، بعبارة أخرى لا يمكن افتراض أنَّ هناك آية في القرآن مفصولة عن سائر الآيات، فالألفاظ في هذا النصَّ القرآنيَّ (الوحدة النصِّيَّة) جاءت مرتبة ترتيباً لا يتيحُ لنا تقديم لفظ على لفظ آخر، الأمر الذي يجعلها منسجمة لا يمكن انفصال بعضها عن بعض، فبيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة أنه من فعل هذه الأشياء هم الذين صدقوا الله

(١) البحر المحيط: ٢/ ١٣٧-١٣٨ .

في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم لا من ولى وجهه قِبَلِ المشرق والمغرب، وهو يخالف الله في أمره، وينقض عهده وميثاقه، ويكتم الناس بيان ما أمره الله ببيانه، ويكذب رسله^(١).

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَكَأْتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزِعُكُمْ وَأَيْهَاتُمْ وَكَأْتَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَكَأْتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَكَأْتَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَكَأْتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ (الأنعام: ١٥١-١٥٣).

الآيات المباركة اشتملت على جملة من الوصايا منها ما حرم عليهم وما حل لهم، وهي: عدم الشرك بالله، وقتل النفس المحرمة، وأكل مال اليتيم، والابتعاد عن المحرمات ظاهرها وباطنها، والوفاء بالكيل والميزان بالقسط والعدل في القول، فضلًا عن الوفاء بالعهد، واتباع الصراط المستقيم من الأفعال المأمور بها.

والمأمل أمام هذه الآيات الثلاث يلاحظ ترتيب النص المبارك من خلال تناسب الفواصل فيها، فالآية ((الأولى ختمت بقوله (لعلكم تعقلون)، والثانية بقوله (لعلكم تذكرون)، والثالثة بقوله (لعلكم تتقون)؛ لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يُحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى؛ لأن الإشراف بالله لعدم استكمال العقل الدال

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣ / ٣٥٦.

على توحيده وعظمته، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكلّ طريق، وأيضًا قتل الأولاد من الإملاق مع وجود الرزاق الحي الكريم، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل، وقتل النفس لغيظ أو غضب في القائل، فحسن بعد ذلك (لعلمك تعقلون)، وأمّا الثانية، فلتعلّقها بالحقوق المالية والقولية؛ فإنّ من علم أنّ له أيتامًا يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلاّ بما يحب أن يعامل به أيتامه، ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة ولا بفس، وكذا من وعد له وعد لم يحب أن يخلف، ومن أحبّ ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله، فترك ذلك إنّما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمّله؛ فلذلك ناسب الختم بقوله: (لعلمك تذكرون)، وأمّا الثالثة، فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية يؤدي إلى غضبه، وإلى عقابه، فحسن (لعلمك تتقون)، أي عقاب الله بسببه^(١).

ويبدو عبر ترتيب النص واختتام الأخيرة بالتقوى تحقق الانسجام؛ وذلك إنّ ((كلمة التقوى تشمل كل ما يتقي من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه وقد ذكرت في التنزيل في سياق الأوامر والنواهي المختلفة من عبادات ومعاملات، وآداب وقاتل، وسنن اجتماع، وطعام وشراب، وعشرة وزواج وغير ذلك، فهي تُفسر في كل موضع بحسبه (سياقه)، وهي في هذا الموضع تشمل جميع الأنواع لأنّها جاءت في سياق اتباع صراط الله المستقيم الشامل لجميع أنواع الهداية الشخصية والاجتماعية))^(٢).

ونفهم عن طريق فواصل الآيات الثلاث أنّ هذا الترتيب يرتبط فيه اللفظ بالسياق اللغوي ارتباطًا دلاليًا، بحيث يتشابك في معناه، ومن ذلك مجيء أحد الألفاظ له دلالة معينة في موضع، ثم مجيء آخر قريب منه في المعنى في موضع مشابه.

(١) معترك الأقران: ١ / ٣٣ - ٣٤ .

(٢) تفسير المنار: ٨ / ١٧٤ .

لذلك يرى المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) أن القرآن يُعرف ترتيبًا خفيًا ، وأن وحدة القرآن تتجلى في تنوعه، وأن المعرفة الدقيقة تقود إلى الاقتناع بأن تعدد المواضيع المطروحة، مرتبط بوحدة المجموع؛ حتى يمكن القول بأن القرآن في تلاحمه، وانسجامه، ووحدته كالكلمة الواحدة؛ لأنَّ انسجامه خفي^(١).

ومن مظاهر أثر ترتيب النص على السياق ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ نُسِرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

(١٣٥) ﴿(النساء: ١٣٥)

بخلاف ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

(٨) ﴿(المائدة: ٨).

فقد تداخل ترتيب النص متأثرًا بالسياق الداخلي لسورة النساء مع السياق الخارجي، عندما ((كان أعظم مباني هذه السورة العدل قدمه فقال: (بالقسط) بخلاف ما يأتي في المائدة، فإنَّ النظر فيها إلى الوفاء الذي إنَّما يكون بالنظر إلى الموفي له "شهداء")^(٢)، في حين كان موضوع سورة المائدة على ((الوفاء بالعهد الوثيق وكان الوفاء بذلك إنَّما يخف على النفوس ويصح النشاط فيه ويعظم العزم عليه بالتذكر بجلالة موثقة وعدم انتهاك حرمة؛ لأنَّ المعاهد إنَّما يكون باسمه ولحفظ وحده ورسمه قدم قوله: "لله شهداء")^(٣).

(١) ينظر: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أمونجًا: ١٢ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٣١ / ٥ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٠ / ٦ .

ونظر العلماء عند تفسيرهم إلى هاتين الآيتين إلى أثر السياق اللغوي الذي أحاط بالنص، فالآية التي في سورة النساء وردت في معرض الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والأقربين فبدأ فيها بالقسط الذي هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة، ثم أردفت بأحكام المعاملة بين الرجال والنساء، فكان الأهم فيها أمر العدل فالشهادة؛ فلذلك قدم فيها (بالقسط شهداء لله)؛ فالقسط فيها هو العدل في القضاء^(١).

وأما الآية في سورة المائدة، والتي في معرض العداوة والشنآن بدأ فيها بالقيام لله، فتناسب كل معرض ما جاء به إليه، فهي واردة بعد التذكير بميثاق الله فكان المقام الأول للحض على القيام لله أي الوفاء بعهودهم له، وإذ كان للعهد شهادة أتبع قوله (قوامين لله) بقوله: (شهداء بالقسط) أي: شهداء بالعدل شهادة لا حيف فيها وأولى شهادة بذلك شهادتهم لله تعالى، وقد حصل من مجموع الآيتين: وجوب القيام بالعدل والشهادة به ووجوب القيام لله والشهادة له^(٢).

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((كتاب اله ... ينطقُ بعضُهُ ببعض، ويشهدُ بعضُهُ على بعض))^(٣).

إنَّ كَوْنَ الآيَةِ بيانًا وتفسيرًا لمضمون آية أخرى غير مجاورة لها قد تكون فس سورة أخرى، يعني أنَّ لهذه الآية تأثيرين لا يقل أحدهما عن الآخر أهمية: الأول: أفقي نسقي يتحقق من خلاله الانسجام بين الآيات المتجاورة.

الثاني: عمودي مضموني، تترابط بمقتضاه الموضوعات التي يطرحها القرآن الكريم، وهذا الترابط بشقيه يسهم إسهامًا كبيرًا في جعل القرآن نصًا محكم الأواصر.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥ / ٢٢٥ .

(٢) ينظر: معاني النحو : ٤ / ٢٩٠ .

(٣) نهج البلاغة، الإمام علي(عليه السلام): ١٧ / ٢ .

ومن هنا يظهر لنا مدى اهتمام العلماء والمفسرين بترتيب النص في تحليل أسرار التقديم والتأخير بناءً على السياقين النصي الداخلي والخارجي (المقامي) بما يحيط بالنص من ملابسات فوق لغوية تسهم في توضيح الفكرة وتفسير التقلبات التركيبية بين العلامات اللغوية.

ثالثاً: التفرّيز في الآيات الاجتماعية:

مفهوم التفرّيز:

مبدأ من مبادئ تحقيق الانسجام، ووسيلة من وسائل ترابط النصّ، عدّه براون ويول ((نقطة بداية قول ما))^(١)؛ لأنّه النافذة التي يطلّ منها القارئ على آفاق النصّ، فتمنحه القدرة على تفكيكه ودراسته.

وبما أنّ النصّ عبارة عن مجموعة من الجمل المتتالية المكتوبة والمتلاحمة والمنتظمة الأجزاء، فلا بدّ لها من نقطة بداية ونهاية تربط بينهما، ثم ((تتمحور كلّ تركيبية، كل جملة، كلّ فقرة، كل حلقة، وكلّ خطاب حول عنصر واحد خاصّ، يكون هو نقطة الانطلاق))^(٢) يطلق عليها العنوان، أي ذلك ((الشيء الذي يستهلّ به المتكلّم أو الكاتب حديثه))^(٣)، وتأتي قيمة هذا التنظيم الخطّي فيما يحدثه من أثر في تأويل النصّ أو الخطاب؛ لأنّ ما يأتي بعد العنوان والجملة الأولى تفصيلاً وتفسيراً له^(٤).

وتتعلّق أجزاء النصّ بالجملة الأولى وتتحكّم في تأويله؛ لأنّها مفتاح النصّ، وبها يتمّ بناؤه وتشكيله، فهي ((في أي نصّ تمثّل معلماً عليه يقوم اللاحق منها ويعود))^(٥)، وعليها يكون اعتماد تأويل المُتلقي في إثارة التوقعات حول ما يمكن أن يختزله موضوع النصّ.

(١) تحليل الخطاب: ١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه: ١٥٦ .

(٣) المصدر نفسه: ١٥٥ .

(٤) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٩ .

(٥) نسيج النصّ: ٦٧ .

وعادة ما يستند العنوان إلى التغميض؛ لأنه يمثل البؤرة الأساسية^(*) في فهم مضمون النص، أو بتعبير آخر هوية النص؛ لأنَّ القارئ يفترض عليه أن يكشف الفكرة المحورية في جميع مكونات النص عن طريق العنوان، فيعمل-العنوان- على تحرير القارئ ليصبح مُسهماً في إنتاج معنى النص، والوقوف على جمال التعبير فيه، والاقتراب منه بصفة موضوعية، فيصل به إلى ((هدف النص ورضه))^(١)، والذي من شأنه توليد الصورة المتخيلة عند المُتلقي.

ومن وجهة نظر الدارسين هناك علاقة وثيقة بين مفهومي التغميض وموضوع النص من جهة، والعنوان من جهة أخرى؛ ذلك لأنَّ العنوان يقدم وظيفة إدراكية مهمة تهيئ المُتلقي لبناء تفسير النص، أو ما يخبر به النص، ومن هذا المنطلق يمكن أن يُعد العنوان جزء من البنية الكبرى^(٢)، أو يمثل جزءاً منها؛ لأنه ((أول ما يواجهه مُتلقي النص أو محلله، ومن ثمَّ فهو يحتل مكانة عالية في التحليل النصي؛ فالنص قد يكون مكماً للعنوان، أو موضحاً له، ولاشك في أنه يكون مفصلاً للإجمال الكائن فيه، وكذلك اسم السور؛ إذ إنه يمثل عنوانها))^(٣)، فهو يمنح القارئ فرصة تذكر مضمون النص، أو استحضار المعرفة المتصلة به، ويعمل على تنشيط الذاكرة وتحفيزها.

(*) ذهب عمر أبو خرمة إلى أنَّ الجملة الأولى في نص ما تمثل البؤرة الأساسية في النص، خلافاً للعلماء النصيين الذين يعدون العنوان هو البؤرة الأصلية؛ لأنَّ الجملة الأولى في نظره تحمل عبئاً تراكمياً للمعنى. ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى: ١١٥ .

(١) الخطاب القرآني، خلود العموش: ٤١١ .

(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٨ ، وآليات الانسجام النصي: ١١١ ، ولسانيات النص النظرية والتطبيق: ١٥٧ .

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ١٠٥ - ١٠٦ .

ولابدّ من الإشارة هنا من أنّ النصوص الخالية من العنوانات لا يمكن للقارئ أن يحللها إلا بعد انتهائه من قراءة النصّ، فيستنتج بوساطتها فكرة عامّة شاملة عمّا يحتويه النصّ، ثمّ بعد ذلك يستطيع أن يضع عنوانًا مناسبًا للنصّ^(١).

وللتغريض طرق عدّة منها: ((تكرير اسم الشخص، واستعمال الضمير المُحيل عليه، وتكرير جزء من اسمه، واستعمال ظرف زمان يخدم خاصيّة من خصائصه، أو تحديد أثر من أدواره في نقطة زمنيّة))^(٢).

ويمكن رصد هذا المظهر الانسجاميّ في التراث العربيّ عند المفسرين القدماء ولاسيما في تسمية عنوانات السور القرآنيّة، فنجد ذلك جليًّا عند الرازيّ (ت ٦٠٦هـ)؛ إذ يركز في معرض حديثه عن فاتحة الكتاب، فيقول: ((أنّ هذه السورة مسمّاة بأمر القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأنّ يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه))^(٣)، لذا يعد اسم السورة مفتاحًا لمضمون هذه السورة ودلالاتها، وقد أضاف الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ) على هذا السبب قوله: ((ينبغي النظر في وجه اختصاص كلّ سورة بما سُميت به، ولا شكّ أنّ العرب تُراعي في الكثير من المُسميات أخذَ أسمائها من نادرٍ أو مستغربٍ يكون في الشيء من خلقٍ أو صفةٍ تخصّه، أو تكون معه أحكمٌ أو أكثرٌ أو أسبقٌ؛ لإدراك الرائي للمسمّى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهرُ فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز...))^(٤).

(١) ينظر: توحيد المفضل للإمام جعفر الصادق (ع)، دراسة نصية: ٧٠ .

(٢) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١٧٣ .

(٣) التفسير الكبير: ١ / ١٦٢ .

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٧٠ .

ومن مصاديق التغريض في الآيات الاجتماعية:

يُعدّ العنوان العتبة النصّية الأولى، وهو اللافتة التي تومئ إلى المُتلقي، وتجذبه نحو الاستقصاء من الأحكام الشرعيّة الاجتماعية لتي يبثها النصّ المبارك في طيات آياته، فبوساطة ((العنوان تتجلى جوانب أساسية، أو مجموعة من الدلالات المركزية للنص))^(١)، وهذا ما سنجدّه في بعض الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم:

١. سورة النساء:

يذكر ابن عاشور: ((سميت هذه السورة في كلام السلف سورة النساء ...، ووجه تسميتها بإضافتها إلى النساء؛ أنّها افتتحت بأحكام صلة الرحم ثمّ بأحكام تخصّ النساء، وأنّ بها أحكامًا كثيرة من أحكام النساء: الأزواج والبنات وختمت بأحكام تخصّ النساء))^(٢)، ومقصودها الاجتماع في التواصل العظيم لعادة الأرحام على مدارها النساء؛ لأنّ بالاتقاء فيهن تتحقّق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد^(٣).

فإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأمرُ حَامٍ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرِيقًا﴾، (النساء: ١)، نجدّه بمثابة فاتحة استهلال لروح الآيات التي تليها لما تضمنته من النصوص أو الفصول أو مقاطع يلهم أنّها وحدة تشريعية؛ إذ ((تضمّنت سورة النساء عقود الإنكاح والصدّاق والوصيّة والدين والميراث، وكلّها أحكام لعقود، فكأنّ الحقّ سبحانه وتعالى من بعد سورة النساء يقول لنا: لقد عرفتم ما في سورة النساء من عقود، فحافظوا عليها وأوفوا بها، ونلاحظ أنّ سورة البقرة جاءت بعدها سورة آل عمران،

(١) بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ٢٣٦ .

(٢) التحرير والتنوير: ٤ / ٢١١ .

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ٢ / ٢ .

وفي كليهما حديث عن الماديين من اليهود، وسورة النساء والمائدة تواجه أيضاً المجتمع المدني بالمدينة بعد أن كان القرآن بمكة يواجه مسألة تربية وغرس العقيدة الإلهية الواحدة والنبوات. وقد خدمت سورة البقرة وسورة آل عمران مسألة العقيدة المنهجية والأنبياء، وسورة النساء تتضمن حسم العقيدة الحكيمية^(١).

يقول الرازي ((وأعلم أنّ في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى، فأنه قال "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ"، وهذا دال على سعة القدرة، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله تعالى "وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"، وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعاً للأوامر والنواهي منقاداً لكل التكليف^(٢)))، وهذا ما يدل على شدة مناسبة خاتمها بأحاطة العلم لما دلّ عليه أولها من تمام القدرة، فكان آخرها دليلاً على أولها؛ لأن تمام العلم مستلزم لشمول القدرة^(٣).

فأهم ما يؤكد شدة الارتباط بين اسم السورة ومضمونها؛ أنّ هذه الأحكام الكثيرة لم تقتصر على مقطع واحد معين من مقاطع السورة، وإنما تخللت السورة كلّها من بدايتها حتى نهايتها^(٤).

إذ إنّ الفصول الأولى من السورة من أنكحة ومواريث وغيرها مترابطة ومنسجمة مما تشكّل السورة في أغلب آياتها أو نصوصها توافقاً موضوعياً مع عنوانها من المبدأ إلى المنتهى على أحكام تخص النساء، قال تعالى بعد الآية الأولى ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعًا﴾ (النساء: ٣)، وقوله تعالى: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ

(١) تفسير الشعراوي (الخواطر): ٥ / ٢٨٨٧ .

(٢) التفسير الكبير: ١١ / ٢٧٥ .

(٣) ينظر: المعايير النصّية في السور القرآنية: ١٥٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٣ .

النِّسَاءِ ﴿٢٢﴾، أي غير المحرمات، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَفَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٢٢)، وفي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَمَرْبَاتُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَفَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٣)، يعني ما طاب لكم من النساء غير المحرمات هن اللاتي يحلن للرجل، وأخيرًا تختم السورة التي بدأت بعلاقات الأسرة، وتكافلها الاجتماعي وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية في طياتها.. تختم بتكملة أحكام الكلاله بما ابتدأت به من موارد أو تركة بقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكَلٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكَلٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا التَّثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦)، وهي مكملة لآيات الموارد التي وردت في أوائل السورة.

وقد أشار إلى هذا المعنى علي بن إبراهيم القمي عند ذكر قوله تعالى من أواخر سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ (١٧٦) أن هذه الآية وقوله جلّ وعلا في بداية السورة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَتِلْكَ وَرِمَاعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣)

إنهما نصّ واحد؛ وذلك لوجود القوة الاتساقية بين آيات السورة، جاء في تفسيره ((فنصف الآية في أول السورة، ونصفها على رأس المئة وعشرين آية))^(١).

٢. سورة الأنعام:

وسميت سورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ستّ مرّات من قوله تعالى: ((وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام ... إلى قوله تعالى: إذ وصاكم الله بهذا))، وليس لها إلا هذا الاسم^(٢).

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ نَرْزُقُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَيِّئٌ بِهِمْ كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَيْنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْ مَيْتَةٍ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّئٌ بِهِمْ وَضَعُوهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُشَابِهًا وَغَيْرَ مُشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ

(١) تفسير القمي: ١ / ١٣٠ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧ / ١٢١ .

وَفَرَشَا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَكَاتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ (الأنعام: ١٣٦ - ١٤٢).

ففي ((سورة الأنعام نجد أنَّ علاقة الإجمال والتفصيل كائنة في الصلة بين الاسم وما حدث فيها من تفصيل أحوال الأنعام، وما يتصل بها من حق التشريع بالحلال والحرام))^(١)، فقد ((اشتملت على إجمال الوظائف الشرعية والمحرمات الدينية، وسياقها -على ما يعطيه التدبر- سياق واحد متّصل لا دليل فيه على فصل يؤدي إلى نزولها نجومًا))^(٢)، فقد بينت السورة الكريمة مسألة مهمّة من أهمّ مسائل التربية وغرس العقيدة الإلهية الواحدة، وهي تفاصيل التشريع في التحليل والتحرّيم في الذبح، فعليهم أن لا يأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه، وإنّ يقفوا عند ما ذكر اسم عليه فلا يتجاوزوه إلى غيره، ولا يحقّ لهم ذبح الأنعام وقتل الأولاد كيفما ومتى شاؤوا، كما كان متعارف في الجاهليّة، وقبل نزول القرآن والابتعاد عن تلك العادات والتقاليد البذيئة، وهذا يدلّ على أنّ هذه الآيات ذات صلة مباشرة بقضية التوحيد الذي تجعل من الطعام باسم الله الذي خلقه ورزقه أكلاً حلالاً مباركاً.

فهذه الآيات التي كانت جزءاً من السورة مثّلت حواراً مركزياً فيها، فكانت بمثابة أبنية صغرى دلّ عليها الغرض الرئيس للسورة المباركة كلّها.

٣. سورة المجادلة:

افتتحت سورة المجادلة بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١)، بذكر المرأة- امرأة أوس بن الصامت- التي جادلت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأن مظاهرة زوجها لها؛

(١) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١٤١ / ٢ - ١٤٢ .

(٢) الميزان: ٥ / ٧ .

لذلك سميت بسورة المجادلة، وانطلاقاً من العنوان بعده (تعبيراً ممكناً عن الموضوع)^(١)، فقد تضمّنت هذه السورة المباركة مسألة الظهار عندما سمع الله جل وعلا الخطاب بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمرأة في شأن زوجها، فتولى القرآن الكريم الحكم في قضيتها، وعلى ذلك دلّت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها، بدأت السورة بالآية المباركة (قد سمع)، وهي جملة الانطلاق، فهذه الجملة بدأت بحرف التحقيق (قد) الداخل على الفعل الماضي (سمع)، وهذا يتلاءم مع طبيعة الآية، ثم تتعاضد الآيات فيما بينها لإضاءة ما ترمي إليه السورة وبيان أسرارها، فيما تتعلق بالجانب التشريعي، كالتتاجي وآداب المجالس، وفضل العلماء، ودور المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود، وغيرها من المسائل، وقد عرضت السورة المباركة كل الأحكام التشريعية لتعالج القضايا- السالفة الذكر- التي جاءت متوافقة مع أوقات نزول الآيات المباركة، ليتحقق بها الانسجام النَّصِّي، فالقارئ-أحياناً- يربط بين عنوان السورة ومضمونها، فهما مترابطان، ودلالة العنوان مستمرة وممتدة في السورة كلها، ((إذ نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة، وهو يصنعها على عينه، ويربّيها بمنهجه، ويشعرها برعايته، ويبني في ضميرها الشعور الحيّ بوجود الله سبحانه معها في أخصّ خصائصها، وأصغر شؤونها، وأخفى طواياها، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره، وأخذها في حماه وكنفه، وضمها إلى لوائه وظلّه، وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تليق بالجماعة التي تنضوي إلى كنف الله، وتنتسب إليه، وتؤلّف حزبه في الأرض، وترفع لواءه لتعرف به في الأرض جميعاً))^(٢).

لقد قدم الله جلّ وعلا لنا في هذه السورة المباركة أروع صور الإبداع الإلهي في التعبير القرآني؛ إذ تضمّنت بشكل موجز غير محلّ العديد من الأحكام الشرعيّة التي تلامس مفصلاً مهماً من مفاصل الحياة الاجتماعيّة.

(١) تحليل الخطاب، بروان ويول: ١٥٦ .

(٢) في ظلال القرآن: ٢٨ / ٣٥٠٣ .

٤. سورة لقمان:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ (لقمان: ٢١-١٣).

بدأ تغريض النَّصِّ (سورة لقمان) من استعمال مفردة (لقمان)، التي تضيف على العنوان ملمحاً إغرائياً جذاباً يشوق المُتلقِّي (المرسل إليه) ويحفزه لاستقبال النَّصِّ، ويشكّل العنوان أسلوباً عاماً متبّعاً من ((تكرار اسم الشخص، واستعمال الضمير المُحيل عليه...))^(١)، إذ تكرر اسم (لقمان) الرجل الحكيم الصالح^(٢).

وبيّن القرآن الكريم أنّ الانسان منظومة لها صفاتها الخاصة، ولكنها محكومة بعلاقات وقواميس مع بقية المخلوقات التي تشكّل معها منظومة وهي الأسرة والمتمثلة بالوالدين، وبذلك هم المصدر الرئيس في التربية وطاعتها واجبة، كما بيّن القرآن الكريم في كثير من الآيات^(٣)، فعدت سورة لقمان من أفضل النماذج في مخاطبة العقل البشري، فقدّمت الأسس والمنطلقات الإسلامية في تربية الأبناء، واحترام الآباء وطاعة الوالدين، فضلاً عن الشكر، والعبادات والمعاملات، والقيم الإنسانية، أمثال: الحلم والعفو، فحققت السورة قيمة اجتماعية كبيرة، واحتوت على الكثير من أبعاد الحكمة في التربية والإصلاح الاجتماعي^(٤).

فقد عمد النَّصِّ إلى استعمال طرائق مختلفة في تغريض النَّصِّ وتنمية العنصر الأساس فيه عبر وسيلتين: الأولى هي تكرار اسم لقمان في موضعين من السورة،

(١) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية: ١٧٣ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٧ / ٢١ .

(٣) ينظر: التربية والاصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم.

(٤) ينظر: أساليب الإقناع في سورة لقمان دراسة تداولية: ١٨٥ .

والثانية بالإحالة على قضية النصّ المحوريّة، وقد أحال إليه بضمائر مختلفة^(١)، وهاتان الوسيلتان جعلتا من النصّ يدور في فلك بنية النصّ الكبرى المُظهرة لخطابه الوعظيّ والارشاديّ والنّصيّ، فسَهّل على مُستقبل النصّ إدراك المفاهيم والأفكار، ويسر عليه تلقّي النصّ، وأغراه بثنّي أنواع التّغريض من العنوانات المشوقة بدلالاتها الوافية، وبصياغتها وبحسن سبكها، فنتج عن ذلك تلاحماً وانسجاماً بين تغريض النصّ وعنوانه، وبين بنية النصّ العليا على مستوى السورة كلّها.

وبهذا يكون للتغريض القدرة على الانتشار داخل النصّ وخارجه بوساطة تضافر المكونات الأساسيّة في تشكيل الآيات الاجتماعيّة، الأمر الذي يحقق انفتاحاً ذاتياً في النصّ القرآنيّ، مما يجعل قابلية التّأويل في ظل انفتاح العنوان على السياقين الداخليّ والخارجيّ.

(١) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٦٠ .

الفصل الثالث

المعايير النصّية الأخرى

المبحث الأول: المعايير النصّية المتعلقة بمستعملي النص

أولاً: القصديّة، ثانياً: المقبوليّة، ثالثاً: الإعلاميّة

المبحث الثاني: المقاميّة

المبحث الأول

المعايير النصية المتعلقة بمستعملي النص

تمثل هذه المعايير طرفي العملية التواصلية، فالقصدية تمثل مُنشئ النص، والمقبولية تمثل مُتلقي النص، وقد أشار إلى ذلك (دي بوجراند) بقوله إنَّ القصدية والمقبولية ((تتصل بمستعملي النص، سواء أكان المستعمل مُنتجًا أم مُتلقياً))^(١)؛ لذلك قصد البحث الجمع بينهما تحت مبحثٍ واحدٍ، بالإضافة إلى الإعلامية.

أولاً: القصدية:

ارتبطت دلالة الجذر (ق ص د) في معاجم اللغة بمعنى الدلالة على المعنى وتأديته؛ فقد جاء لفظ (قصد) أهم المرادفات للفظ (معنى)، ذكر الزمخشري: ((عنيبت بكلامي كذا أي: أردته وقصدته، ومنه المعنى))^(٢)، وقال ابن منظور في لسان العرب: ((لا يقال عُنَيْتُ بحاجتك إلا على معنى قصدتها، من قولك عُنَيْتُ الشيء أعنيه، إذا كنت قاصداً له، وعُنَيْتُ بالقول كذا: أردت، ومعنى كلِّ كلامٍ ومَعْنَاثُهُ وَمَعْنَيْتُهُ: مَقْصُدُهُ))^(٣).

ولكن وإن كان المدلول اللغوي للفظ (قصد) مرادفاً للمعنى، وكان المعنى هو كل ما تؤدّيه الألفاظ من دلالاتٍ تومئ إلى أشياء محسوسة موجودة في الخارج، أو إلى أفكار وقيم ومبادئ وأحاسيس نفسية، فإن القصد يدل أيضاً على الغاية أو الهدف أو الغرض أو الفحوى والمضمون والدلالة التي يُستدلّ عليها بالألفاظ الدالة وغيرها.

وفي محاولة محاكاة المفاهيم المتعلقة بمعيار القصدية ورصد مظاهر وعي علماء البلاغة والنقاد القدامى بأهميتها، ونجد ذلك واضحاً عبر اتفاق البلاغيين القدماء على ضرورة توفر القصد في النص، فقد أشار أبو هلال العسكري إلى ارتباط معنى النص

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة: ٢٢٦ .

(٢) أساس البلاغة، مادة (قصد): ٨٠ / ٢ .

(٣) لسان العرب، مادة (قصد): ٣٢٣٣ / ٢ .

بالقصد الذي أراده مبدع النصّ في قوله: ((المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، فيكون معنى الكلام ما تعلق به القصد))^(١)، أي المعنى الذي قصده المتكلم.

أما النقاد القدامى فقد سبقوا أيضًا إلى مفهوم القصدية في الدراسات النصية الحديثة، يقول حازم القرطاجني: ((الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمّل بذلك على طلبه أو الهرب منه))^(٢)، والقصد هنا بمعنى الغاية المتمثلة في إحداث الأثر في نفس المتلقي، وقد جاءت الدراسات اللسانية الحديثة لتقرّ ذلك.

وعند ربط المفاهيم والمصطلحات التراثية بقضايا ومفاهيم الدرس اللساني الحديث نلاحظ التقارب الواضح في المعنى الاصطلاحي، فقد حدّده (دي بوجراند) بأنّه معيار ((يتضمّن موقف منشئ النصّ من كون صورة ما من صور اللغة قُصد بها أن تكون نصًّا يتمتّع بالسبك والاتحام، وأنّ مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها))^(٣)، يكون معبرًا عن ذلك الموقف، ولا يشترط اجتماع المعايير الأخرى (السبك والاتحام) في مجال القصد وديمومته^(٤).

فباللغة ليست نظام رموز وعلامات فحسب، بل هي قبل كل شيء نشاط تواصلّي بين المتكلم أو منتج النصّ وملتقيه^(٥)، ويتأتى هذا التواصل من مقاصد المتكلم من أخبار وأفكار وحالات انفعالية وغيرها، يتجلّى فيها الجانب القصدّي للنصّ أو قصدية المتكلم؛ لأنّ النصّ ((وحدة كلامية متكاملة، لها دلالة على معنى يقصد المتكلم إيصاله إلى المخاطب، ولا يُعدّ

(١) الفروق اللغوية: ٣٣ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٧١ .

(٣) النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣ - ١٠٤ .

(٥) ينظر: مدخل إلى علم النصّ (مشكلات بناء النصّ): ٢١ .

الكلام نصًا إذا لم يكن واضحًا في طياته))^(١)، فهو - أي النصّ - أساس العملية التواصلية، ومن ثمّ فإنّ وظيفته الرئيسية هي التواصل والتأثير في المُتلقي^(٢).

وبهذا فإنّ ما يميّز الوظيفة التواصلية هي القصدية أو القصد، فالقصدية تحدد كيفية التعبير والغرض المتوقّر وهي البوصلة التي توجه العناصر الأخرى^(٣)، وهذا يعني أنّ أي نصّ ((ليس بنية عشوائية وإنّما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقًا ومتربطًا من أجل تحقيق هدف محدّد، بمعنى آخر هو عمل مخطّط له غاية يؤدّ بلوغها))^(٤).

وفي هذا الجانب تبرز أهميّة القصدية في أنّها تمثّل جزءًا أساسيًا من دلالة النصّ والفهم، وليس جزءًا من دلالة الكلمة، ف((الدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل، والفهم يعني الاعتراف من قبل المُتلقي بقصد التواصل))^(٥)، وهذا ما يؤكّد على توافر القصد من قبل المرسل والقبول به من قبل المُتلقي^(٦).

وهذا ما أكّده محمّد مفتاح في قوله: ((أنّ العملية التواصلية القصدية تفترض طرفين إنسانيين: مرسل ومتلقّ، بيد أنّ المقاصد أنواع: أولي يتجلّى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلّم، وثانويّ: يكون فيما يعرفه المُتلقي من مقاصد المتكلّم...))^(٧).

ومن ثمّ عدّ معيار القصدية من المعايير الأساسية التي يشترط وجودها في النصّ؛ لأنّها تمثّل ((اتّجاه منتج النصّ إلى أن تؤلّف مجموعة الوقائع نصًا متضامًا متقاربًا ذا نفع عملي في تحقيق مقاصده، أي نشر معرفة أو بلوغ هدف معيّن يتعيّن من خلال خطة ما))^(٨).

(١) القصدية في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام): ٢٧ .

(٢) ينظر: علم لسانيات النصّ، هايكوها وزندورف، وفولفغنج كسلمان: ١٨٢ .

(٣) ينظر: في مفهوم النصّ ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية: ١٨٩ .

(٤) من لسانيات الجملة إلى علم النصّ: ٢٦ .

(٥) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ١٤٠ .

(٦) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ٢٨ .

(٧) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ١٦٤ .

(٨) مدخل إلى علم لغة النصّ، روبرت دي بوجراند ولفغانغ دريسلر: ٣٠ .

وقد أكد بعض الباحثين أنّ القصدية لا تتحقق إلا بتوافر ثلاثة شروط، وهي^(١):

الأول: وجود المنتج أو المبدع الذي يعدّ نصًا متماسكًا مترابطًا له أهداف محدّدة ومقاصد معيّنة ورسالة موجهة.

الثاني: متلقٍ جيد فكّ شفرات النصّ ويحلّل معانيه وصولًا إلى الأهداف الخفية غير المعلنة.

الثالث: قناة تواصلية تربط منتج النصّ بمتلقّيه.

وبناءً على ما سبق نجد أنّ معيار القصدية يتعلّق بإرادة منتج النصّ، وتوجيه النصّ نحو دلالات معيّنة وهدف محدّد، أمّا الطرائق التي يتبعها المنتج للوصول إلى قصده، فقد قدّم غرايس قواعد تتحكّم في القصدية وتوجهها توجيهًا صحيحًا وهي^(٢):

أ. قاعدة الكم: وهي القاعدة التي تتطلّب من الكاتب أو المنتج أن يقول ما هو ضروري بالضبط ولا يزيد على ذلك.

ب. قاعدة الكيف: أي لا يقول الكاتب ما يظنّ أنّه خطأ، وأنّ يقول ما ينبغي على أحسن وجه.

ت. قاعدة المناسبة أو الإفادة: أن يقول الكاتب ما هو مناسب، ووثيق الصلة بالموضوع، أي ماله فائدة وعلاقة بالحدث.

ث. قاعدة الأسلوب أو الهيئة: أن يكون الكاتب واضحًا سهلًا في أسلوبه ويتجنّب الغموض والإبهام في التعبير وأنّ يختصر في قوله ويكون منظمًا.

ج. قاعدة التعاون: أن يكون إسهام الكاتب في المحادثة رهناً بما تقتضيه الغاية المقبولة في تبادل الحديث الذي تشارك فيه.

(١) ينظر: في مفهوم النصّ ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية: ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل: ١٤١ ، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ٣١ ، ونظرية علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٥٠ .

فإذا كانت النَّصُّوك بـكلِّ مراتبها وأنواعها لا تقوم إلا بقصد، وأنَّ قصد المبدع هو أمر باطني لا يمكن الاطلاع عليه إلا بالنظر في الكلام المسوق نفسه^(١)، فاتَّباع منتجي النَّصِّ لتلك القواعد يسهم في تحقيق الاتِّصال وبيان القصد بقدر أدنى من الخلل^(٢).

وهكذا نجد أنَّ لسانيات النَّصِّ لا تعتمد في الوصول إلى مقاصد المتكلِّم على المعنى الحرفيِّ للنَّصِّ حسب، بل تدرس المعنى الذي يهدف إليه المتكلِّم أو النَّصِّ وفق اعتبارات عدَّة؛ استنادًا إلى هُويَّة المنتج، ومكان النَّصِّ، وزمن النَّصِّ، والظروف التي أحاطت بالنَّصِّ، وعمليات الاستدلال التي يقوم بها المُتلقي ليحلل النَّصِّ وصولًا إلى المعنى أو مضمون الكلام أو النَّصِّ^(٣)، وعليه يمكن القول: بأنَّ القصدية هي الشيء الذي يعنيه المتكلِّم أو المخاطب، من عمليَّة التواصل مع المُتلقي؛ باستعمال وسائل لغويَّة محدَّدة أو بتعبير آخر مقصد المتكلِّم الذي يجب أن يتَّضح لدى المُتلقي^(٤).

القصدية في الآيات الاجتماعية:

لقد اشتمل القرآن الكريم في آياته ونصوصه على مضامين معرفيَّة وبيانيَّة -بلاغية- تتَّوعت بين الأحكام التـكليفية من أوامر ونواه، وبين الأحكام الاجتماعية ومنها المعاملات كالبيع والشراء والنكاح والطلاق وغيرها.

ولكلِّ واحد من هذه الأحكام مقصد وغاية هدفها التأثير في نفوس متلقِّيها، فجاء بما هو أجود أنماط القول، التي برع فيها العرب من خطب وشعر ونثر، فخرق عاداتهم في قول الشعر وإلقاء الخطابة ونظم السجع؛ ممَّا أحدث لديهم انبهارًا من داخل منظومتهم اللغويَّة والجماليَّة^(٥).

(١) ينظر: القرائن والنَّصِّ، دراسة في المنهج الاصولي في قصة النَّصِّ: ٢٧٢ .

(٢) ينظر: نظرية علم النَّصِّ رؤية منهجية في بناء النَّصِّ النثري: ٥١ .

(٣) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النَّصِّ: ١٩٩ .

(٤) ينظر: التحليل اللغويِّ للنَّصِّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: ١٢٢-١٢٣ .

(٥) ينظر: نظرية النَّصِّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ١٨٣-١٨٦ .

وبناءً على ذلك نجد أنّ الخطاب القرآني ((يؤسس لفعل القصدية في النصّ القرآني، ممّا استدعى بناء نظام لغويّ خاصّ يستوفي المحتوى الشموليّ، ويستوفي عمليّات الإبلاغ والإقناع، واستقصاء المقاصد الإلهية، وبناء كميّات خاصّة لإيصال الرؤية القصدية الشاملة))^(١).

ولذلك يرى الباحث أنّ القصدية القرآنية هي: ((عملية بنائية خُطّطت تخطيطاً قصدياً بإحكام دقيق وقرار إلهي سابق))^(٢)، وبالتالي أضفت سمة النصّية على الكلام المعجز؛ كونه يقف على ما جاء النصّ القرآنيّ لأجله من غايات ومضامين إلهية تجسّدت في هذه التشكيلات اللغوية؛ لتحقيق الجانب القصدي منها.

ومن هذا المنطلق بُنيت القصدية في القرآن الكريم على معيارين أساسيين هما^(٣):

المعيار الأوّل: الرؤية الشاملة للعالم: وهو التصور الفكريّ الواعي بحقائق الأمور والشموليّ للخطاب القرآنيّ، إذ يتضمّن وحدة فكرية وجّهت توجيهاً قصدياً، نحو غاية وظيفية وإعلامية وهي إبلاغ الرسالة السماوية إلى البشر، ويتمثّل بمخاطبة العقلية البشرية من أجل هدايتها إلى طريق الإصلاح.

المعيار الثاني: الإفهامية: وهي سمة من سمات الأسلوب القرآنيّ، إذ بنيت القصدية القرآنية على وظيفة الإفهامية الموجهة نحو المخاطب والمتلقّي، وقد مهّد القرآن الكريم لمحتوى الرسالة السماوية بآياتٍ عديدة، فقدّمت على شكل حوار من أجل تحقيق الإفهام لبلوغ الإقناع.

(١) النحو القرآنيّ في ضوء لسانيات النصّ: ١٧٠ .

(٢) المصدر نفسه: ١٦٨ .

(٣) ينظر: النحو القرآنيّ في ضوء لسانيات النصّ: ١٦٧-١٦٨ ، والخطاب السياسي في القرآن الكريم،(رسالة

ماجستير): ٢٨٨-٢٨٩ .

ومن الأمثلة على القصدية في الآيات الاجتماعية:

١. المستوى النحوي:

أ. القصد في التقديم والتأخير في التركيب:

ومنه قوله تعالى: ﴿الْمُتَعَلِّمُونَ أَنَّهُ لَكُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذَبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ٤٠)، في هذه الآية المباركة خطاب للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث نلاحظ تقديم الفعل المضارع (يعذب) على الفعل (يغفر) على حين أن جميع الآيات^(١) التي ورد فيها هذا السرّ الجماليّ والتقابل البليغ بتقديم فعل المغفرة وتأخير فعل العذاب؛ وذلك لتعدّد قصديّة المغفرة، وتعلّقها بقصديّة الباري عزّ وجلّ، فأتى بالصيغة الفعلية ليدلّ على التجدد والاستمرار، إلا أنّ في هذه الآية المباركة نلاحظ على العكس من ذلك باختلاف ما أراد أن يبلغ به الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ السياق للوعيد يتطلّب تقديم الفعل (يعذب) على الفعل (يغفر) ترهيباً وزجراً؛ ولأنّها نزلت في حق السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا، وعلل الزركشيّ هذا القصد ذلك بقوله: ((لأنّها وردت في ذكر قطع الطريق والمحاربين والسراق، فكان المناسب تقدّم ذكر العذاب))^(٢)، فمهدت جزاء من يحاربون الله ورسوله وختمها بالقدرة مبالغة في الترهيب؛ لأنّ من توعدده قادر على إيفاء وعده.

ومن لطائف القصدية في قضية التقديم والتأخير كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَأُوا تِجَارَةً

أَوْ لَوْهَا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة: ١١)، إذ قدّم (التجارة) على (اللهو) في بداية النصّ المبارك، ومن ثمّ تقديم (اللهو) على (التجارة) في نهايته، وهذا التقديم من لطائف الخبير في محكم كتابة العزيز؛ إذ أوعز المفسّرون علّة هذا التقديم والتأخير - تقديم التجارة على اللهو - اهتماماً لها عندهم من اللهو؛ فكان الداعي الأقوى لانفضاضهم^(٣)، أمّا تقديم (اللهو) وتأخير (التجارة) في نهاية النصّ؛

(١) ينظر: سورة البقرة: ٢٨٤، وسورة آل عمران: ١٢٩، وسورة المائدة: ١٨، وسورة الفتح: ١٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤ / ٦٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨ / ٢٢٩.

فذلك لتقسيم أحوال المنفضين إذ يكون بعضهم من ذوي العائلات خرجوا ليمتاروا لأهلهم، وبعضهم من الشباب لا همّة لهم في الميرة، ولكنهم أحبوا حضور اللهو^(١)، فكان اللهو أهمّ من التجارة فقدّمه لذلك^(٢).

ب. القصدية في استعمال ما يبدو مترادفاً:

مضامين القصدية في استعمال الألفاظ ارتأينا أن نقف عند سورة مريم، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (٤٥)﴾ (مريم: ٤٢ - ٤٥)، والمتمعّن في لفظتي (جاء وأتى) الواردتين فيها.

جاءت الآية الكريمة في سياق إساءة النصيحة من إبراهيم لأبيه، و((يعضه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز... رتب الكلام معه في أحسن اتّساق، وساقه أرشف مساق، مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن))^(٣)، فقد بدأ خطابه إلى أبيه بقوله: يا أبت ليثير إلى أنّه مُخلص له في النصيحة بأسلوب استفهامي مجازي يخرج إلى معنى التعجب والإنكار عن الغاية من عبادته لتلك الأصنام وعمله المخطئ بإشراكه بالله، مُنبهاً إياه على أخطائه وهو قوله الذي أورده القرآن الكريم بـ ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾، فتلك حجة محسوسة^(٤)، و((كناية عن التعجيز عن إبداء المسئول عنه، فهو من التورية في معنيين يحتملها الاستفهام))^(٥)، وجملة ((إنّ الشيطان كان للرحمن

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨ / ٢٢٩ .

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ٣ / ٤٨٢ ، والبحر المحيط: ١٠ / ١٧٦ ، وروح المعاني: ١٤ / ٢٩٩ ، لمسات بيانية

في نصوص من التنزيل: ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) الكشف: ١٦ / ٦٣٧ - ٦٣٨ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦ / ١١٣ .

(٥) المصدر نفسه: ١٦ / ١١٤ .

عصياً تعليل للنهي عن عبادته وعبادة آثار وسوسته بأنه شديد العصيان للرب الواسع الرحمة، وذكر وصف عصياً الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل كان للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه وأنه متمكن منه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة، أي بما يُفْضِي إلى النعمة^(١)، فقد اختصت الآية الكريمة بصفة الرحمن من دون غيرها من صفات الباري -عزّ وجلّ- لتنبية السامع وتأكيد المعنى في ذهنه بأن عبادة الأصنام توجب غضب الله تعالى، وهذا الغضب يوَلِّد الحرمان من رحمته عزّ وجلّ^(٢)، كما أنّ هذه الصفة من ((صفات الكمال الربانيّ والتي تتجلى في كلّ ذرّة من ذرات هذا الكون، وتفيض بظلالها على كلّ مخلوق))^(٣)، وفي مقابل ذكر صفة الرحمن لجأ إلى إظهار اسم الشيطان وتأكيد به بأنّ المشدّدة الثقيلة في مقام الإضمار؛ وذلك ((لإيضاح اسناد الخبر إلى المسند إليه، ولزيادة التنفير من الشيطان، لأنّ في ذكر صريح اسمه تنبيهاً إلى النفرة منه، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها))^(٤)، والخطاب القرآنيّ بهذه الصيغة يحمل جملة مضامين تصبّ في تربية الفرد والمجتمع على حدّ سواء، فهو ينطوي على مضامين اجتماعية من بينها محاورّة المخالف بأدبٍ وأخلاق سامية مهما كان المخالف يحمل من صفات الزيف والخداع؛ ذلك أنّ الحوار وسيلة مهمّة من وسائل الإقناع، كذلك الانتفاع من خطاب إبراهيم (عليه السلام) مع ابنه بعدم انكار مكانة والده، ولا مقابلته بالجفاء والغلظة، بل التعامل معه بكلّ أدب ولين ورقّة^(٥)، وممّا يُلاحظ على النّصّ القرآنيّ أيضاً التنوّع في الأساليب البلاغية، والتي توزّعت بين أسلوب الاستفهام الإنكاري في أول الآية، والأسلوب الخبري، ثمّ أسلوب النهي، ليختتم خطابه بأسلوب التهيب والتحذير.

وبعد أن وقفنا على ما ترمي إليه الآيات الكريّمات، سننتقل الآن إلى المعجمات للتوغل

أكثر في معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ الواردة في النّصّ القرآنيّ، ففي قوله تعالى: ﴿يَا

(١) التحرير والتنوير: ١١٧/١٦ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١٧/١٦ .

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مج ٤/ ٤٠٦ .

(٤) التحرير والتنوير: ١١٧/١٦ .

(٥) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مج ٤/ ٤٥١ .

أَبَتْ إِبْنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴿١﴾، نلاحظ ورود لفظتين يُعتقد أنَّهما من قبيل الترادف، وهاتان اللفظتان (جاءني، ويأتك)، فالمعنى اللغوي للفظه (أتى) ((يدلّ على مجيء الشيء وإِصْحَابِهِ وَطَاعَتِهِ))^(١)، فالإتيان يُقال ((للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويُقال في الخير والشر، وفي الأعيان والأعراض))^(٢)، فهذا يعني أن المجيء كالإتيان ولكنه أعمّ من الإتيان، فالإتيان يُقال بقصدية تامّة، حتّى لو افتقر إلى حصول الشيء، أمّا المجيء فيقال باعتبار الحصول كما يُقال: جاء في الأعيان والمعاني، كما يتمّ مجيئه بذاته وبأمره، فضلاً عن إطلاقه لمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً^(٣)، أمّا العسكري فيقول: ((الفرق بين قولك أتى فلان وجاء فلان؛ أن قولك جاء كلاً تامّ لا يحتاج إلى صلة، وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء، ولهذا يُقال جاء فلان نفسه، ولا يقال أتى فلان نفسه، ثمّ كثر حتّى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر))^(٤) وهناك من يرى أنّ دلالة كلّ منهما تختلف عن الأخرى، لوجود فروق دقيقة في المعنى ((خلاصتها أنّ الإتيان تُحيط به ثلّة من معاني الغموض، والشكّ، والجهل، وعدم العضد، في حين المجيء تحيط به معاني العلم، واليقين، وتحقيق الوقوع، والعضد))^(٥)، وبالرجوع إلى الآية الكريمة نجد أنّ سياقها واضح الدلالة في إثبات علم إبراهيم ويقينه ممّا جاءه، وفي المقابل جهل أبيه في حقيقة ما يعبد، زيادة على غموض العاقبة التي تنتظره، فهو في ضلال وجهل^(٦)، أمّا قوله تعالى: ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ فيه ((استعارة مكنية شَبَّهَ إبراهيم بهادي الطريق البصير بالثنايا، وإثبات الصراط السوي قرينه التشبيه))^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (أتى): ١ / ٤٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٩ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٣٥ .

(٤) الفروق اللغوية: ٣٠٩ .

(٥) الترادف في القرآن الكريم: ١٤٦ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٩ - ١٥٠ .

(٧) التحرير والتوير: ١٦ / ١١٦ .

ومن الآيات التي عُدَّت من قبيل القصد قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكُدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَكُدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴿(النساء: ٧-١١).

المتضمنة لفظتي (الوالد والأب)، وهذه الآيات في سياق تبين أحكام الميراث والحقوق المالية، فالمقام استدعي إيراد لفظ (الوالدان والأبوان) على السواء؛ ((لأنَّ المقام مقام حقوق مالية لا تخص جانباً في الإنسان دون جانب آخر، فهي تشمل الأب الذي من شأنه رعاية الجسم والعقل والسلوك، كما تشمل الوالد بخصوصيته الروحية، ولذلك استوى الأب والوالد اتجاء الحقوق في الميراث فعبر باللفظين في هذا السياق))^(١)، ونفهم من هذا القول أنَّ دلالة القصد في اللفظين كلاهما تختلف عن الأخرى، وسنوضح هذا بالاستئناس بما جاء في المعجمات.

ولمعرفة الفروق الدلالية بين لفظتي (الوالد والأب) نجد في معجم مقاييس اللغة أن: ((الهُمَزَةُ وَالنَّبَاءُ وَالْوَاوُ يَدُلُّ عَلَى التَّرْبِيَةِ وَالْعَدْوِ. أَبَوْتُ الشَّيْءَ أَبَوُهُ أَبَوًا: إِذَا عَدَوْتُهُ. وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَبُ أَبًا ... قَالَ الْخَلِيلُ: فَلَانَ يَأْبُو الْيَتِيمَ، أَي: يَغْذُوهُ كَمَا يَغْذُو الْوَالِدُ وَلَدَهُ))^(٢)، وجاء في المعجم ذاته أن الواو واللام والداد في لفظ الوالد ((أصلٌ صحيحٌ، وهو دليل النجْلِ

(١) الترادف في القرآن الكريم: ١٤٤ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (أَبَوَ): ١ / ٤٤ - ٤٥ .

وَالنَّسْلِ ... وَتَوَلَّدَ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ: حَصَلَ عَنْهُ))^(١)، أمَّا الأصفهاني فيرى أنَّ الأب مرادف للوالد ويؤتى بأحدهما بديلاً عن الآخر^(٢)، ويفرق الجزائري بين الأب والوالد بقوله: ((الوالد لا يُطلق إلا على من أولدك من غير واسطة، والأب قد يُطلق على الجد البعيد))^(٣)، نستدل من هذا القول أنَّ الوالد يُطلق على الأب المباشر وهو لفظ خاص فيه، أمَّا الأب فهو لفظ عام يُطلق على الأب والجد وما سواهما، وهناك فارق آخر أشار إليه صاحب كتاب (الترادف في القرآن الكريم) مفاده ((أنَّ التعبير بالأب محل للنسب والكنى، وليس كذلك التعبير بالوالد))^(٤)، والأبوة يُراد منها في أغلب الأحيان الرعاية العقلية والتوجيه والإرشاد، أمَّا لفظ الوالد فيُراد منه الجانب العاطفي في الإنسان ولا يدل إلا على حقيقة معناه^(٥).

ت. القصدية في استعمال حروف المعاني:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا كُتِبُوا عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ كَانُوا يَسْتُفُونَ﴾ (المطففين: ٢)، نجد أنَّ حرف الجرّ (على) في قوله تعالى (على الناس) قد أخذ ملمحاً قصدياً في الآية المباركة، فقد جاء بمعنى (من) أي: (إذا كُتِبُوا من الناس)، وقد قدّم الجار والمجرور (على الناس)؛ لبيان التخصيص في استيفاء حقهم الأخذ من الناس، على (يستوفون) لإفادة الخصوصية، فقدم المفعول على الفعل، أي: يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها^(٦)، لذلك استعمل حرف الجرّ (على) التي تفيد الاستعلاء في المعاملة بطريقة الاستعارة أو المجاز بقصد طريقة الكيل المستعلية على الناس، والتمتعن في هذا النصّ قد لا يتبادر إلى ذهنه هذا المقصد؛ لأنَّ اللغة تشتمل على كلمات عدّة، لا تقتصر دلالتها على معناها المتبادر إلى الذهن، وإنّما تتجاوز ذلك المعنى^(٧)، وهذا من بديع مقاصد القرآن الكريم في

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (وَلَدَ): ١٤٣ / ٦ .

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٩ / ١ .

(٣) فروق اللغات: ٦١ .

(٤) الترادف في القرآن الكريم: ١٤١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٤١ - ١٤٢ .

(٦) ينظر: الكشاف: ٦ / ٣٣٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠ / ٢٢٤ .

(٧) ينظر: المعنى وظلال المعنى: ٤٨، وخطاب النصّ في القرآن الكريم في ضوء المعايير الخارجية للأداء النصّي: ١٦ .

أساليب خطاباته؛ لأن الأسوب القرآني ((يظهر بعض وحدات الكلام وعناصره بما يحمل القارئ على الانتباه إليها، وهذه الوحدات أو العناصر لها دلالات تمييزية خاصة، تجعل الانتباه إليها ضرورة، والغفلة عنها تشويه للكلام))^(١).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا...﴾ (المائدة: ٤١)، إذ يتجسد في النص الكريم مقصدية واضحة في ضوء إثارة الحرف (في) بدلًا من (إلى)؛ وذلك ((للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها))^(٢)، فالحرف (في) عبر عن قصدية هؤلاء المنافقين في إحياء الاستقرار الذي وضعوا أنفسهم فيه ولا يستطيعون أن يبرحوه.

وفي النص المبارك نلمح ملمحًا قصديًا آخر عن طريق المجاز، فالطاهر بن عاشور يحدد المجاز العقلي فيقول: ((وإسناد الأحزان إلى الذين يسارعون في الكفر مجاز عقلي ليست له حقيقة؛ لأن الذين يسارعون سبب في الأحزان، وأما مثير الحزن في نفس المحزون فهو غير معروف في العرف ولذلك فهو من المجاز الذي ليست له حقيقة وأما كون الله هو موحد الأشياء كلها فذلك ليس مما تترتب عليه حقيقة ومجاز، إذ لو كان كذلك لكان غالب الإسناد مجازًا عقليًا))^(٣)، فالتعبير الكريم زخر بالمجاز مما منح النص القرآني إحياء متدفقًا وسمه قصدية واضحة مما أثار لدى المتلقي هزة انفعالية مشحونة بالقيم الإبداعية؛ لكون المجاز قد عدل بظاهر اللفظ إلى معنى خفي وجميل ومعبر.

(١) الأسلوبية والأسلوب: ٨٣ .

(٢) إرشاد العقل السليم: ٣ / ٣٦ .

(٣) التحرير والتتوير: ٦ / ١٩٧ .

ث. القصد في استعمال المجاز بدل الحقيقة:

ومن الاستعمال القصدى للكلمات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَةٌ بِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠)، الخطاب في الآية المباركة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديبية، فيعبر عن قصد غير مباشر معبراً عن الصورة التي تمتثل بقوله (يد الله فوق أيديهم) ومعناها الوفاء بالعهد كما يرى الفراء^(١)، وقال الزمخشري: ((يريد أن يد رسول الله التي تعلوا يدي المبايعين هي يد الله، والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنّما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما))^(٢)، فالقصد باليد القدرة؛ إذ هي سبب فيها. فالصورة في التعبير الكريم أسست على العدول باللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، فكانت ((صورة مبايعة بالأيدي ولتنسيق الجو كله جعل (يدُ الله فوق أيديهم) واستخدم هذا التجسيم في موضع التجريد المطلق والتنزيه الخالص))^(٣)، ولعلّ القصدية في الاستعمال هنا جاءت عن طريق الاستعارة متناغمة مع قصدية عامة في النصّ، فحافظ على أجواء المشاهد وأظهرت الانسجام على مفردات التعبير.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، فقوله ((هو أذى فاعتزلوا النساء))، فالاعتزال كناية عن ترك مجامعتهن وقت الحيض^(٤)، وربما ينتهي الاعتزال وترجعون إليهن فالاعتزال ذو دلالة تختلف عن الابتعاد. أمّا قوله تعالى (فأتوهن من حيث أمركم الله) فهو كناية عن الفرج^(٥)، فالأمر كما يقول ابن عاشور في

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٦٥ / ٣ .

(٢) الكشف: ١٠٢٥ / ٢٦ .

(٣) التصوير الفني في القرآن: ٩٥ .

(٤) ينظر: الكشف: ١٢٩ / ٢، والتحرير والتنوير: ٣٦٦ / ٢، والإتقان في علوم القرآن: ٦٠ / ١ .

(٥) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ١٤٣ / ١، ونظرية اللغة في النقد العربي: ٢٣٧ .

قوله (فاتوهن) ((للإباحة لا محالة لوقوعه عقب النهي مثل (وإذا حللتم فاصطادوا) عبر بالإتيان هنا وهو شهير في التكني به عن الوطء لبيان أن المراد بالقربان المنهي عنه هو ذلك المعنى الكنائي فقد عبر الاعتزال ثم قفي بالقربان ثم قفي بالإتيان ومع كل تعبير فائدة جديدة وحكم جديد وهذا من إبداع الإيجاز في الأطناب))^(١)، فالكناية عن موصوف جاءت تحمل الإيحاء الدلالي، فالبنية الظاهرة للكناية تعمل على التضاد من البنية العميقة، فالسياق وحده يدلنا عن المغزى الذي عمد إليه النص القرآني.

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ومن استعمال القصد عبر الاستعارة المكنية في قوله تعالى (كبير)، والكبير هو عظيم الجثة من نوعه، وهو هنا مجاز عن القوة والكثرة وقد بنيت الاستعارة على تشبيه المعقول بالمحسوس، فنراه يشبه القوي في نوعه بعظيم الجثة في الأفراد، وقد أفادت الاستعارة معنى العظيم في الإثم بقريئة المقام^(٢)، فأضفت هذه الاستعارة على المعنى قصداً جديداً أكسبه قوة في إيصال الفكرة من خلال الشحنة الدلالية التي حملتها هذه الاستعارة وكذلك عنصر المفاجأة والدهشة التي زرعت لدى المخاطب، فالمنشئ أو منتج النص يُغلف النص ويستتره لغرض مقاومة سهولة التلقي، وليؤكد شخصية المتلقي القائمة على اكتشاف ما هو مستور ومقنع^(٣).

ج. القصدية في استعمال الأفعال:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَتَّعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ﴾ (البقرة: ١٨٧)، لقد غلبت البنية الفعلية على النص؛ لتحقيق أو لبلوغ القصد من النص، فكانت أغلب جملة جملاً فعلية تدل على الحركة والحيوية والفعالية؛ لترصد البؤرة القصدية وهي الأمر بالإباحة، وتسهم في رسم

(١) التحرير والتوير: ٣٦٩ / ٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٦ / ٢ .

(٣) ينظر: استقبال النص عند العرب: ٢٧١ .

حَيَّرَ النَّصَّ ولحمته^(١)، ولقد أدت جمل النَّصِّ الفعلية التي توالى إلى غاية نصية تتساق مع الغاية الكبرى للنَّصِّ القرآني في كونه كتاب هداية، متمثلة بأفعال الأمر الأربعة المذكورة على التوالي: (باشروهن، وابتغوا، كلوا، اشربوا، أتموا) وهي صيغ خرجت إلى معنى الإباحة في الجماع والولد والأكل والشرب ليلة الصيام، وفيها توضيح لشريعة الله وتسهيل لها، وكذلك مجيء نون النسوة في الفعل (باشروهن) أثر بارز في تشكيل مقصدية النَّصِّ.

ومن المقاصد النصية في الاستعمال اللغوي ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَكَأَنَّ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَكَأَنَّ الْهُدْيَ وَكَأَنَّ الْقَلَائِدَ وَكَأَنَّ أَيْمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَرْضُوانًا﴾ (المائدة: ٢)، فالنَّصِّ لم يستعمل (يبغون) أو (يريدون) بما أوحى بمقصدية مؤثرة في أداء المقصود، قال الأصفهاني: ((فقد خصَّ بالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء محمود، فالابتغاء فيه محمود))^(٢)، فنرى أنَّ لفظة (يبغون) منتقاة بعناية كبيرة لنقل حقيقة أصحاب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولما كان السياق سياق حديث عن زيادة الرجاء في فضل الأموال والأولاد^(٣) وظف (يبغون) أي: الاجتهاد في الطلب، بدلًا من أية لفظة أخرى لا تؤدِّيهِ (يبغون) أو (يريدون) عنها في هذا الموضع لتعبّر وتعرض عن نفس بسيطة مدينة ومتواضعة لربما خاضعة لعظمته بإيحاء جميل^(٤)، فالتنظيم يتأسس من العلاقة بين الدالِّ والمدلول والإيحاء المنبعث من اللفظة ليؤدِّي المعنى المراد، فكانت قصديته في استعمال (يبغون) لتلائم المقصد العام للنَّصِّ.

(١) ينظر: أدوات النَّصِّ، دراسة: ١٩- ٢٠ .

(٢) المفردات في غريب القرآن : ١ / ٧١- ٧٢ ، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١ /

٥٢٨ ، المعجم الوسيط، مادة (بغى): ٦٥ .

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤ / ١٦٦ .

(٤) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٧٨ .

٢. المستوى الصرفي:

أ. القصد في استعمال الصيغ الصرفية:

ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (المجادلة: ١)، فالمتأمل في النصّ القرآني في قوله "قد سمع" يجده تضمن كناية عن الاستجابة والقبول^(١)، وذكر القاسمي صاحب محاسن التأويل رأيه في تفسير هذه الآية فقال: ((المراد من قوله "قد سمع الله" الخ قبل قولها وأجابه كما في: سمع الله لمن حمده، مجازاً بعلاقة السببية أو كناية))^(٢)، والملاحظ على الفعل في الآية (قد سمع الله قول) أنه تعدى بنفسه، وهو على الأصل، أما في قوله (سمع الله لمن حمده) فتعدى باللام وإنما أصله أن يتعدى بنفسه^(٣)، وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن الكناية في قوله (قد سمع) جاءت عدولاً عن لفظة (أجاب) ومن المؤكد أن هنالك فروقاً دلالية بين اللفظتين مما جعل التعبير القرآني يميل إلى استعمال واحدة وأبعاد أخرى ومن هنا نرى أن الكناية عن صفة في الآية كان زاخرة بأدوات الشحن الأسلوبية التي أثرت النصّ وجعلته أكثر ملائمة لجو السياق.

ومن توظيف الصيغ الصرفية قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٣)، (أثيم) صيغة مبالغة، وهي صفة مشبهة باسم الفاعل تفيد الإصرار على فعل ذلك الإثم، والتمعن فيه بلا مبالاة، وبلحاظ ما تؤديه هذه الصبغة الصرفية وجمعها مع الجذر اللغوي (أثم) المشتمل على الفاجر والقوم الأثماء^(٤)، قال الزمخشري: ((تغليظ في أمر الربا وإيدان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين))^(٥).

(١) ينظر: روح المعاني: ١٤ / ١٩٨ .

(٢) محاسن التأويل تفسير (القاسمي): ١٦ / ٥٧٠٥ .

(٣) ينظر: بدائع الفوائد: ٢ / ٧٥ - ٧٦ ، تناوب حروف الجر في لغة القرآن: ٧٠ - ٧١ ، نظرية اللغة في النقد

العربي: ٤٢٤ ، معاني النحو: ٣ / ١٢ .

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (أثم): ١ / ٤٧ .

(٥) الكشف: ٣ / ١٥٤ .

وأما في النصّ الثاني نلاحظ قوله تعالى (آثم قلبه) فقد وردت في سياق النهي عن كتمان الشهادة (ولا تكتموا الشهادة)، وقد أسند الإثم إلى القلب لأنّ كتمان الشهادة ((هو أن يضمّرها ولا يتكلّم بها، فلما كان إنّما مقترفاً بالقلب أسند إليه، لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ...))^(١).

ثمّ الوعيد من التهديد عن طريق أسلوب الشرط (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) يُمكننا أن نعرف القصد من وراء استعمالها؛ لأنّ كتمان الشهادة أقلّ جرماً من تعاطي الربا وممارسته الذي يلحق الأذى للمجتمع بصورة عامّة.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، فالنصّ المبارك قصد إلى ((اختيار صيغة المبالغة إيماء إلى طلب من تكررت منه الشهادة فهو عالم بموقعها مقتدر على أدائها وكأن فيه رمزاً إلى العدالة؛ لأنّه لا يتكرر من ذلك الشخص عند الحكام إلّا وهو مقبول عندهم))^(٢)، فعَدَل النصّ عن اسم الفاعل (شاهد) إلى صيغة المبالغة (شاهد)؛ لأنّ من يحمل الشهادة يتوجّه إلى مقدرته أنّ قادر على حملها وأدائها بالصورة الصحيحة، ويبقى النصّ القرآنيّ نمط تعبيريّ خاصّ، يتكوّن من اللغة في تراكيبها وأنساقها وبالتالي في دلالاتها ومقاصدها، وهذا ما يحمل المُتلقي على التعامل مع بنية النصّ على وفق ما يتطلّبه سياق الممارسة نفسها، ولاسيما إذا أخذنا بالحسبان أنّ النصّ القرآنيّ يظلّ نصّاً مفتوحاً تتناوله الأجيال المتعاقبة بحسب مرجعيّاتها الثقافيّة^(٣).

وقد تزداد الألف والسين والتاء على بنية الفعل لتأكيد الحدث وليس للطلب، ولتدلّ على معان عدّة وقد جاءت هذه الزيادة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَإِخْرَاجًا يُؤْمَانٍ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشِهَادَتُنَا أَحَقُّ﴾ (المائدة: ١٠٧)، فليس ثمة

(١) الكشاف: ٣ / ١٥٨ .

(٢) روح المعاني: ٢ / ٥٦ .

(٣) ينظر: جماليات الخطاب في النصّ القرآنيّ: ١٠١ ، وخطاب النصّ في القرآن الكريم في ضوء المعايير الخارجية للأداء النصّيّ (بحث): ١٤ .

غموض في معرفة مقصدية النصّ وما يشير إلى ذلك هو صياغة التراكيب اللغوية، فمعنى استحقا إثما ((ثبت أتهما ارتكبا ما يَأْتَمَانُ به))^(١)، وهذا ما يلائم السياق؛ لذا أتت الزيادة ((بمعنى وجدته كذلك))^(٢)، فيكون المُتَلَقِّي في موضع يتطلّب فيه في خلق أجواء المقبولية للحكم، وتهيئة المُتَلَقِّي للاستجابة، فالقصدية في النصّ المبارك إنّه وجد وثبت أنّه استحقّ أثمًا، وهذا يمثل محورًا قضويًا مفسحًا عن الغرض الذي ينشده منتج النصّ، ويهدف بوساطته إلى عملية التواصل اللغويّ المفضي إلى التقبّل والاستجابة.

وكذلك جاءت هذه الزيادة بمعنى الطلب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمَرْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ مَا أَيُّتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، فالفعل (تسترضعوا) أتت الزيادة في النصّ المبارك لتدلّ على قصدية ((طلب إرضاع الطفل أي طلب ان ترضع الطفل غير أمه))^(٣).

ب. القصد في استعمال المشتقات:

ومن القصد من استعمال المشتقات قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٤)، فقد قصد إلى استعمال صيغة (قَوَّامُونَ) جمع قَوَّام على وزن (فَعَال) من القيام على الشيء وحفظه، ومبالغة التركيب في الجملة الاسميّة التي وإن جاءت في بنية نصيّة إخباريّة، غير أنّها إنشائيّة الدلالة لتضمنها معنى الأمر ((للإيدان بعراقتهم ورسوخهم في الاتصاف بما أسند إليهم))^(٤)، ومسألة القوامة من الأحكام الاجتماعيّة التي أسندها التشريع الإسلاميّ للرجل، وتعني القائم بالأمر، وقوامته على المرأة أن يكون قائمًا بأمرها ويهتمّ بحفظها^(٥)، ((فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال،

(١) التحرير والتنوير: ٥ / ٢٥٠ .

(٢) أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٩ .

(٣) التحرير والتنوير: ٢ / ٤١٨ .

(٤) روح المعاني: ٣ / ٢٣ .

(٥) ينظر: روح المعاني: ٣ / ٢٣ ، التفسير الكبير: ١٠ / ٧٠ .

فناسب أن يكون قِيمًا عليها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨) (١)؛ لذا وظّف هذا المقصد بصيغة الأمر وتوكيده للزوج؛ والسبب في ذلك يرجع إلى تكوينه الجسدي والنفسي الذي خلق عليه (٢)، فهو الأجدر بهذه المسؤولية الاجتماعية.

ومن القصدية الظاهرة في استعمال الحروف والمشتقات معًا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَصَعَّرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَمَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨)، نلاحظ قوله (ولا تمش في الأرض) ولم يقل (على الأرض) مع أنه قال في نص آخر: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، فثمة مقصدية واضحة بين النصين، ومن المعروف أن (في) تفيد الظرفية، و(على) تفيد الاستعلاء كأن القصد في هذا المختال يريد أن يخرق الأرض وهو يمشي كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَأَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ﴾ (الإسراء: ٣٧)، فكانت قصدية النص واضحة في صورة المختال الذي يمشي في الأرض هكذا؛ لذا قال تعالى (في الأرض)؛ لأنه فيها تكبر وخيلاء وفخر، أما عباد الرحمن فيمشون (على الأرض) هونًا بوقار وسكينة وليس (في الأرض) كما يفعل أولئك.

ونلاحظ أيضًا أن الأبنية في النص المبارك كلها تفيد المبالغة ومنها قوله (مرحًا) والمرح: فرط النشاط من فرح وازدهاء، وهنا جاء مصدرًا وقع حالًا من ضمير (تمش)، ومجيء المصدر حالًا لمجيئه صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف (٣).

وهنا جاء حال على وزن المصدر (مرح) فأفاد المبالغة إذا أتيت بالحال مصدرًا فهو المبالغة قطعًا عندما تقول جاء ركضًا أبلغ من جاءك راكضًا، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ بِأُتَيْتِكِ سَعْيًا﴾ (البقرة: ٢٦٠) أبلغ من ساعيات؛ لأن أخبرت عن الذات بالحدث المجرد كأنه

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٥٦ .

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢ / ١٣ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥ / ١٠٣ .

ليس شيء يثقله من الذات أصبح حدثاً مجرداً، والمختال أيضاً وفعله الثلاثي (خال) اسم فاعل من اختال بوزن الافتعال وهو زيادة في الاختيال في التكبر، أي: زيادة المبالغة في الوصف، والفخور وهو صفة مبالغة على وزن (فعلول)، أي: شديد الفخر بما فعل^(١).

ومن القصد الاستعمالي للألفاظ استعماله صيغة اسم التفضيل في قوله تعالى: ﴿وَكَأَن تَسَامُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة: ٢٨٢)، فقصد باستعمال صيغ (أقسط، أقوم، أدنى) للتفضيل بمعنى أن ((الكتب أقسط وأقوم وأدنى لكذا من عدم الكتاب))^(٢)، والمتمم في النص المبارك يجد أن هذا الترتيب في صيغ التفضيل ينم عن مقصدية عجيبة تتأتى من جهة الترتيب ((فالأول: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدين، والثاني: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدنيا، وهذا الثالث: إشارة إلى دفع الضرر عن النفس وعن الغير ...))^(٣)، فكانت المقصدية الالهية واضحة عبر توظيف هذه الصيغ لبيان مصلحة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة لعملية الكتابة والإشهاد في الديون، وربط هذه العملية بتحصيل الفائدة عن طريق بيان فضلها من عدم كتابتها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَن تَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْتَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّذْحُورًا﴾ (الإسراء: ٣٩)، فقد قصد إلى استعمال صيغة (مدحوراً) على صيغة اسم المفعول من (الدحر) وهو الطرد والإبعاد^(٤)، وجاءت القصدية في سياق النص المبارك بمعنى المطرود المبتعد من رحمة الله ومن كل خير^(٥)، أي مطرود من جانب الله ومغضوب عليه ومُبعد من رحمته في الآخرة^(٦)، فقصد باسم المفعول هنا ليدل على الثبوت والمبالغة في الوصف.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥١ / ٥ .

(٢) البحر المحيط: ٧٣٨ / ٢ .

(٣) التفسير الكبير: ٩٧ / ٧ .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٢٠ / ١ .

(٥) ينظر: تفسير البغوي: ١٣٥ / ٣ ، وتفسير من وحي القرآن: ١٤ / ١٢٤ ، وإرشاد العقل السليم: ١٧٣ / ٥ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥ / ١٠٦ ، والبحر المحيط: ٥٢ / ٧ .

ومن القصد إلى استعمال الصيغ الصرفية المزيدة قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١)، فقد جاء الفعل (أفضى) وأصله (فضى)^(١)، والإفضاء أي: الوصول، وهو مشتق من الفضاء، فقطع الوصول الفضاء بين المتواصلين^(٢)، فالهمزة الزائدة هنا قصد بها السلب والإزالة وهو أحد معانيها^(٣)، فكانت المقصدية في النص المبارك أن نبه المكلفين إلى ثمة فضاء أو فراغًا كان بين الزوجين قبل الزواج فأزال الله عز وجل هذا الفضاء والفراغ فذكرهم الله بهذه النعمة وذكرهم أنه ((ليس من المروءة ان تطعموا في أخذ عوض عن الفراغ بعد معاشرة أو امتزاج عهد متين))^(٤).

ومن الاستعمال القصدي للكلمات قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فقد استعمل (أنزل) على وزن (أفعل)، ولم يستعمل (نزل) على وزن (فعل) بالتشديد لما بينهما من فرق كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣)؛ إذ إن (أنزل) بمعنى الهبوط من العلو، وذكر الراغب الأصفهاني أن ((الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقًا، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام))^(٥)، فالتنزيل يكون مفرقًا منجمًا ومرة بعد أخرى، والإنزال عام دفعة واحدة، أي اتبعوا القرآن المنزل منجمًا واقتدوا به، واتبعوا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واعملوا بما نزل عليه من الله سبحانه وتعالى واهتدوا بهديه، فهذا هو القصد الذي نزل القرآن لأجله على النبي، والعمل بسنته وبما أمر به من الإيمان والعمل الصالح^(٦).

(١) مختار الصحاح: ٢٧٦ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤ / ٢٩٠ .

(٣) ينظر: شذا العرف من فن الصرف: ٣٩ ، والمهذب في علم التصريف: ٩١ .

(٤) التحرير والتنوير: ٤ / ٢٩٠ .

(٥) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٦٣١ .

(٦) البحر المحيط: ٥ / ١٩٦، وينظر: الكشاف: ٩ / ٣٩١ ، والتحرير والتنوير: ٩ / ١٣٨ .

وأما قوله (ما لم ينزل به سلطاناً)، فالخطاب هنا موجه للمشركين الذين أحلوا ما حرم الله، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، ((فيه تهكم، فلا يجوز أن يُنزل برهاناً بأن يشرك به غيره))^(١)، كما جمعت هذه الآية أحوال الجاهلية من الفواحش، والإثم، والبغي، وغيرها^(٢)، فاستعمل (نزل) التي تقتضي التكرير لأجل التضعيف، كما تأتي للتكثير، وتدل على المبالغة والتفضيل والزيادة في التأكيد على تدرج القرآن وكثرة نزوله وأيضاً لزيادة الاهتمام به^(٣)، وبالتالي فالنتزيع يستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الإنزال وأؤكد دلالة على المعنى لما أضافه التضعيف إلى هذه الكلمة من دلالة واضحة لم تأت من دون قصد^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَكَآ عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٣)، نلاحظ الفعل (حرم) مزيداً بتكرار العين فيه، والذي يظهر أن معنى التضعيف هو الصيرورة^(٥)، بمعنى أن صارت حراماً، أي ممنوعاً منعاً شديداً^(٦)، وبذلك تتسع مقاصد النص.

(١) الكشاف: ٨ / ٣٦٢ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨ / ١٠٢ .

(٣) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: ١٢٣ .

(٤) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٦٤ ، وينظر: أثر السياق في تعيين معاني الأبنية الصرفية في سورة

الأعراف دراسة دلالية إحصائية: ٥٢ - ٥٧ .

(٥) ينظر: اوزان الفعل ومعانيها: ٨١ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢ / ١١٥ .

ومن المقاصد النصية في الاستعمال اللغوي ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨٢)، فالنص لم يستعمل (خطأ) مما أوحى بمقصديّة مؤثّرة في أداء المقصود، وهنا لا بُدَّ أن نرجع إلى الجذر اللغوي الذي اشتقت منه وهو (جنف)، والجنف: المائل عن الحق؛ قال الزجاج: فمن خاف من موص جنفًا، أي: ميلاً أو إثماً أي: قَصْدًا لِإِثْمٍ^(١)، ((وَيَقَالُ تَجَانَفَ عَنْ كَذَا، إِذَا مَالَ))^(٢)، والخطأ: نقيض الصواب^(٣)، وَأَخْطَأَ نَوُوهُ إِذَا طَلَبَ حَاجَتَهُ فَلَمْ يَنْجَحْ وَلَمْ يُصِبْ شَيْئًا^(٤)، ولما كان السياق سياق حديث عن أمر في غاية الأهميّة والخطورة وهي الوصية، وظف (جنفًا) التي تستنبطن حاكمية الموصي في الميل عن الحق من ورثته، ومن يوصى له، فأصلح بينهم فلا إثم على الموصي المصلح^(٥)، وهو أمر لا تؤدّيه (خطأ) في هذا الموضع فكانت قصديته قصديته في استعمال (جنفًا) لتلائم المقصد العام للنص.

وتبيّن ممّا تقدّم أنّ للقصد تأثيراً في بنية النصّ وأسلوبه؛ لأنّ الكاتب يبني نصّه بناءً معيّنًا ويختار الوسائل اللغويّة الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده، وبذلك نلاحظ أنّ النصّ يعدّ مظهرًا من مظاهر السلوك اللغويّ، وشكلًا من أشكال اللغة يتضمّن - لا محالة - قصدًا معيّنًا وتكمن أهميّة القصد في أنّه يمثّل جزءًا مهمًا من دلالة النصّ، بل لا يكتسب النصّ دلالة إلاّ بفعل قصد المتكلم^(٦).

- (١) ينظر: لسان العرب، مادة (جنف): ١ / ٦٧٥ .
- (٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (جنف): ١ / ٤٨٦ .
- (٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة: ١ / ٤٧ .
- (٤) ينظر: لسان العرب: مادة (خطأ): ١ / ١١١٢ .
- (٥) ينظر: البحر المحيط: ٢ / ١٦٨ .
- (٦) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ، روبرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ١٥٢ .

ثانياً: المقبولية:

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((على فلان قبول؛ إذا قبلته النفس، وهو- أي القبول - بفتح القاف: المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه، والقَبُول: الحُسْن والشارَة))^(١)، وفي ((قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران: ٣٧)، أي: بتقبّل حسنٍ ...، ويقال: قَبِلْتُ الشيءَ قَبُولًا حَسَنًا، "ويجوز قُبُولًا" إذا رَضِيَتْه))^(٢)، وفي المحكم والمحيط الأعظم ((وقَبِلَ الشيءَ قَبُولًا وَقُبُولًا ... وتَقَبَّلَهُ كِلَاهُمَا: أَخَذَهُ ...))^(٣).

ويُلاحظ ممّا سبق أنّ المعنى اللغويّ للمقبوليّة أو القبول يدور حول الرضا والأخذ وميل النفس للشيء وتقبّلها له.

أمّا في الاصطلاح: فالمقبوليّة ((تسمية تطلق على الاستعمال اللغويّ المقبول من حيث النحو والصرف، في أنّه يتطابق مع ما جاء في القواعد اللغويّة المرعيّة والمقبولة، وهي تقابل التعبيديّة))^(٤).

١. المقبوليّة في التراث العربيّ:

كان العلماء العرب القدماء حريصين على ضرورة مراعاة أحوال المُتلقّين في أن يقع كلامهم موقع القبول، وأن يحظى كلامهم باستحسان السامعين ونيل رضاهم.

ولذا عُني هؤلاء العلماء بمقبوليّة كلامهم، واستحسانه لدى السامع، فتجلى ذلك واضحًا من خلال الارتباط الوثيق بين القصدية والمقبوليّة عن طريق عنايتهم بكلّ ما من شأنه أن يحقّق نجاح العمليّة التواصليّة، ومن ذلك عنايتهم بـ(المطالع) وبما يسمى بـ(حسن التخلص)

(١) لسان العرب، مادة (ق ب ل): ٣١٢٦ / ٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤٠١ / ١.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، مادة (ق ب ل): ٤٢٨ / ٦.

(٤) معجم المصطلحات الألسنية: ١٠.

في الانتقال من فكرة إلى أخرى في النَّصِّ، بالإضافة إلى عنايتهم بخاتمة القصيدة، وحسن الرصف في أن توضع الألفاظ في موضعها، وتمكّن في أماكنها^(١).

ومن شواهد مقبولية الكلام عند العرب ما أكده النقاد القدماء بضرورة عناية الشاعر بشعره حتى يبلغ غايته عند المُتلقّي، ما ذكره ابن طباطبا العلويّ (ت ٣٢٢هـ) بقوله: ((ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علةٌ أخرى وهي موافقته للحال التي يُعدُّ معناها لها؛ كالمدح في حال المفاخرة، وحضور من يُكبّث بإنشاده من الأعداء ومن يسرّ به الأولياء، وكالهجاء في حال مباراة المهاجى، والخطّ منه حيث ينكّي فيه استماعه له، وكالمراثي في حال جزع المصاب وتذكّر مناقب المفقود عند تأبينه، والتعزية عنه))^(٢)، فهو يرى أن ما يزيد من حسن اعتدال الشعر واتزانه ومقبوليته لدى المُتلقّي مراعاته لمقتضى الحال.

وقد أشار عبد القاهر الجرجانيّ لذلك مسبقاً في فكرة النظم أهميّة تحقيق المقبولية، وتحقيق مبدأ الاستحسان والرضا في نفس المُتلقّي، فعن ذلك يقول: ((فإذا قلت: هو كثيرُ رمادِ القدر، كان له موقعٌ وحظٌّ من القبول لا يكون إذا قلت: هو كثيرُ القرى والصّيافة))^(٣).

بالإضافة إلى ما تقدّم نجد عناية القدماء بضرورة أن يعتني الشاعر أو الخطيب بالجوانب التي تعزز نجاح العملية التواصلية وتساعد على بلوغ غايته، وتسهم في تحقيق النَّصِّ لأعلى درجات الرضا والقبول لدى المُتلقّي.

(١) ينظر: كتاب الصناعتين: ١٦١، وعيار الشعر: ١/ ٢٠٣.

(٢) عيار الشعر: ١/ ٢٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٧٣.

٢. المقبولية في الدرس اللساني الحديث:

تعدّ المقبولية أحد المعايير النصية، وقد اكتنف هذا المصطلح تعدد المصطلحات في ترجماته للعربية بين المقبولية^(١)، والتقبليّة^(٢)، والقبول^(٣).

تبدأ المقبولية لدى المُتلقّي من عملية الفهم التي يؤسّس لها توقّر معياري الاتّساق والانسجام في النّص؛ لأنه -أي المقبولية- يتعلّق بمتلقي النّص وتوقعه نصّاً متسقاً ومنسجماً ذا فائدة يكتسب من خلاله معرفة أو يكون مشاركاً في إطار خطّة واضحة^(٤).

فمن وجهة نظر نصية يمكن القول: إنّ المقبولية ترتبط بفهم النّص من قبل المُتلقّي، وفهم النّص يرتبط بفهم وسائل نحو النّص ارتباطاً وثيقاً^(٥)؛ لأنها ((يتضمّن موقف مستقبّل النّص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام))^(٦)، وهذه الصورة اللغوية تكون ذات نفع للمُتلقّي، وتسهم في اكتسابه معرفة جديدة، أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطّة ما؛ وذلك يتمّ على وفق مجموعة من العوامل، مثل: نوع النّص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف^(٧).

ويتجسّد أثر معياري الاتّساق والانسجام من جهة، ومعيار القصدية من جهة أخرى في مقبولية النّص؛ عن طريق التفاعل بين العناصر النحوية مع العناصر الدلالية، فالعنصر النحوي يمدّ العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده في قبالة ما يمدّ به العنصر الدلالي العنصر النحوي من الجوانب التي تساعد على تحديده

(١) ينظر: علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات: ١٤٦، وعلم لغة النّص النظرية والتطبيق: ٢٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النّص، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٣١.

(٣) ينظر: النّص والخطاب والإجراء: ١٠٤، ونحو النّص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٧٨.

(٤) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٧، ومدخل إلى علم لغة النّص، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٣١.

(٥) ينظر: مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النّص: ٨٥.

(٦) النّص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

(٧) ينظر: مدخل إلى علم لغة النّص، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٣١.

وتمييزه؛ فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر^(١)، وعلى أساس ((هذا المنطلق التفاعلي تصبح المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج في عملية الإنتاج))^(٢).

ولما كانت المقبولية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمرسل النصّ ومتلقّيه، فعلينا ألاّ نغفل ((السياق أو الموقف- لغوياً أو غير لغويّ- فهو الذي يُساعد على الحكم بالقبول أو عدمه، ... فالسياق الذي يؤدي إلى التقبيلية (القبول) ينبغي أن يراعى فيه:

١. صحة القواعد النحوية.

٢. توافق الوقوع أو (الرصف) بين مفردات الجملة.

ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقّي؛ ولعلّ هذا يدلّ على أنّ المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة وعلى مستوى النصّ، غير أنّها تتطوّر في الجملة عن النصّ، حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على مستوى الرصف وصحة القواعد النحوية، ثمّ يأتي المعنى النصّي المتّسم بالتماسك^(٣).

إنّ عملية قبول النصّ تتحكّم فيها مجموعة من العوامل والمعايير^(٤) منها:

١. تعتمد نسبة قبول النصّ على مقدمات سياقية تعين المتلقّي على فهمه وتأويله.

٢. معرفة المتلقّي بالمتكلم وبنوع النصّ يعين على تحفيز المتلقّي على التركيز، ويساعد على تعميق انتباهه، فكلّ نوع من أنواع النصوص قرآؤه، فقد يدرك متلقّ مالا يدركه متلقّ آخر، فكلّ منهم طبيعة خاصّة في قراءتهم وفي ردود أفعالهم بعد عملية القراءة.

٣. أهميّة النصّ بالنسبة للمتلقّي، فأيّ قارئ لا يستقي إلاّ المعلومات المهمّة في النصّ ويشكل البنية النصّية الكبرى في الذاكرة على أساس اهتماماته وميوله ومعارفه وأهدافه الخاصّة.

(١) ينظر: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحويّ - الدلالي: ١١٣ .

(٢) علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ٣٤ .

(٣) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ٨٩ .

(٤) ينظر: علم لغة النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٥٥ - ٥٦ .

٤. يعتمد قبول النصّ على الخلفيات الفكرية والأيدلوجية التي يتمتّع بها متلقّي النصّ.
٥. العوامل النفسية التي يتمتّع بها المتلقّي؛ فان الحالة النفسية للمتلقّي تؤثر في حالته وحضوره الذهنيّ.

وإنّ النظرية النصّية تجعل من معيار المقبولية معياراً يرصد رغبة المتلقّي، فهي بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في النصّ^(١)؛ إذ تكشف عن مدى إمكانية تفاعل المتلقّي مع النصّ بكل ما تشمله عملية التواصل من حيث الإنتاج، والاستقبال، والعوامل الاجتماعية والنفسانية التي تؤثر في النصّ^(٢)، مع الأخذ بالحسبان أنّ معيار المقبولية يتّسم بالذاتية إلى حدّ كبير، لأنّه معيار نسبيّ بقدر كبير، وتختلف فيه درجة التلقّي من شخص إلى آخر، بحسب اختلاف وجهات نظرهم للنصوص^(٣) وتحليلها، فضلاً عن إمكاناته الثقافية والمعرفية، بالإضافة إلى إحاطته بالسياق المقاميّ، والمحيط الثقافي والاجتماعيّ المصاحب للنصّ، فقد تجد نصّاً يتّسم بالقبول لمتلقّ، على حين تنتفي عنه هذه الصفة مع متلقّ آخر^(٤)، ممّا يحيل على اختلاف القراء والمتلقّين بصفة عامّة.

وبالتالي نصل إلى أمر مفاده أنّ ((المتلقّي يمثل البعد الثالث في العملية الإبلاغية، ودور المتلقّي مهمّ ومؤثر، فكما لا يوجد نص بلا منشيّ، كذلك ليس ثمة إفهام أو تأثير أو توصيل بلا قارئ، فهو الحكم على الجودة أو الرداءة، وهو الفيصل في قبول النصّ أو رفضه))^(٥)، وهذا يعني أنّ النصّ كلّما كان متنسّقاً منسجماً لقي حظاً أوفر في التأثير على المتلقّي وزادت نسبة المقبولية فيه.

(١) ينظر: مدخل إلى علم النصّ، دي بوجراند، روبرت ألان، وديرسلر: ١٣٢ .

(٢) ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة: ٧٢ .

(٣) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٨ .

(٤) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ٣٤ .

(٥) الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ٢٢ .

المقبولية في الآيات الاجتماعية:

للقرآن غايات وأهداف لعلّ من أهمّها ترسيخ الوجدانية وضرورة حصر التوكل به سبحانه، فضلاً عن غايات أخرى يمكن ملاحظتها في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم، فالقرآن منتج ثقافي، وهو النصّ المسيطر والمهيمن على الوقائع التي أنتج لأجلها، فالنصوص اللغوية ليست إلا طرائق لتمثيل الواقع، والكشف عنه بفعالية خاصة^(١)، وإنّ النصّ يتقوّل بحسب المتلقّي، أي يتشكّل لإيصال النصّ له، أو ليصفه بحسب أحواله، أو يقرأ مواصفات هذا المتلقّي، وغرضه، وتفكيره، وسلوكه.

ويمكن تلمس المقبولية من خلال ما تشي به بنية النصّ، وروابطه، وصيغته^(٢)، فالنصّ القرآنيّ موجه إلى البشرية كافة، والناس متفاوتون في ثقافتهم، وأفكارهم، ومعتقداتهم، ومن ثمّ نرى التباين في المواقف تجاهه فهناك المتقبل للنصّ، وهناك الرفض، والنصّ القرآنيّ الذي بين أيدينا يختلف عن كلّ النصوصّ، فهو كلام منزل من الله سبحانه وتعالى على صدر نبيه محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) بلسان عربيّ مبين ولا يتخلّله الغموض أو الإبهام، بل يتسم بالوضوح والبيان، فهو يفرض على المتلقّي نمطاً معيّناً من الفهم، وأسلوباً خاصاً في التعامل معه، إضافة إلى قدسيّته التي اتّسم بها وخلوه من الخلل والنقص والتناقض.

ومما ورد من ذلك في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يُغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُدْرِينَ مَرْيَمَ نَحْنُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْحَكُنَّ بَخُورٍ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُدْرِينَ مَرْيَمَ نَحْنُهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِمْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ مَرْيَمَ نَحْنُهُنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ (النور: ٣١).

(١) ينظر: مفهوم النصّ، دراسة في علوم القرآن: ٢٨ .

(٢) ينظر: الخطاب القرآنيّ، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق: ٤٢٣ .

شرع النَّصَّ المبارك بفعل القول (قل) مخاطبًا المؤمنات، والخطاب هنا يدلّ على مقبولية المُتلقِّين له إذ ((بدأ بالغضِّ قبلَ الفرجِ لأنَّ البصرَ رائدٌ للقلبِ))^(١) دلالة على أنَّهم آمنوا وقبلوا خطاب نبيهم، فأمرهم بغض البصر مقدّمًا على حفظ الفروج؛ لأنَّ البصر أوّل نافذة من نوافذ الشيطان ووسوسته.

ثمّ تسلسل النَّصَّ القرآنيّ بأحكام عدّة أهمّها عدم إبداء زينة المرأة للأجانب كالحليّ والحناء، مستثنياً ما يظهر منها كالخاتم كونه في موضع من الجسم يجوز إظهاره للأجانب، وعليه فإنّ علّة وجوب الستر وعدم الإظهار جاء لعدم جواز إظهار المواضع التي تكون فيها أصلاً، كالعنق، والصدر، والذراع، والاذن^(٢)؛ فعمد إلى إيراد ذكر الزينة بالمنع وحرمة إظهارها مبالغةً وتوكيداً لأمر الستر وعدم إبداء هذه المواضع من الجسد^(٣).

وبالإضافة إلى ذلك ورد في النَّصَّ القرآنيّ مجموعة من التكاليف الشرعية الهدف منها صيانة المرأة وحفظها، ودفعا لما قد يقع في المجتمع من فساد أخلاقيّ، فهو ((أقوى من جانب الاحتياط، ولمراعاة فساد الناس فلا تُبدي المرأة من زينتها إلّا ما ظهر من وجهها وكفيها))^(٤).

ثمّ تدرج النَّصَّ المبارك إلى حكم آخر من أحكام المرأة التكليفية، وهو حجاب المرأة وعفتها في الإسلام. عن طريق ((الإرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها))^(٥)؛ إذ نص على وجوب تغطية وستر الصدر والنحر والاذقان، بعد ما كانت المرأة آنذاك تسدلّ باقي خمارها إلى الوراء كالأقباط مع كون جيبوهن - وهي فتحة القميص أو الثوب - واسعة فتبدو منها صدورهن وما يحيط بها، فجاء الأمر الإلهي بتغطية هذا الجزء

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٢٧ ، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٦ / ٥٩٦ .

(٢) ينظر: الكشف: ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦ ، وإعراب القرآن وبيانه: ٦ / ٥٩٣ - ٥٩٥ .

(٣) ينظر: الكشف: ٣ / ٢٣٥ ، وروح المعاني: ٩ / ٣٣٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٢٩ .

(٥) روح المعاني: ٩ / ٣٣٦ .

بالخمار وستره أمام الأجانب، وهم غير المحللين الذي استثناهم هذا النص التشريعي من هذا الحكم^(١).

وعليه فإن هذا التحريم هو باب من أبواب حصانة المرأة، وهو في الوقت نفسه نهج تشريعي ينتهجه الدين الإسلامي لجعل المسلمين رجالاً ونساءً أصحاب نفوس سليمة مطمئنة وواظرة، بعيدة عما يقودها نحو الانحراف السلوكي^(٢)، وفيه استكملت مسألة ستر المرأة وحشمتها.

وقد تجلت مقبولية هذا الخطاب الذي يدور حول موضوع الوعظ الديني من خلال لين العبارات وسهولتها، فليس فيها تقريع أو تهديد، مما أثر في توغل معناه في نفس المتلقي، وجعله مقبولاً لديه إضافة إلى بنيته اللغوية، وهي بنية مستجدة في لغة ذات نحو ودلالة متميزة؛ إذ بدأت السلسلة التشريعية لهذا الخطاب بالأفعال المضارعة المتضمنة معنى الأمر، وقد اكتسبت هذه الدلالة الطلبية من سياق النص اللغوي لتضمنه هذه الأساليب كالأمر والنهي (لا يبدن، ليضربن، لا يضربن)، ومن ثم تجسدت من خلاله مضامين النص ومقاصده، فكان لاستعمال الكلمات ذات الدلالات المتنوعة والتي تنتمي إلى حقل دلالي واحد وهو (صلة القرابة) عاملاً مهماً في لفت انتباه المؤمنات وعنصرًا جذاباً ذات أثر كبير في تقبل النص، والتزامهن بهذه الأوامر والأحكام التكليفية، والامتثال لها عند نزولها وصورتها تكليفاً شرعياً واجب الالتزام به، حتى رافقت المرأة المسلمة في عصر صدر الإسلام وما بعده^(٣).

ومن هنا يتضح تباين مقبولية المرأة للنص القرآني المخاطبة به، إذ شهدت عصور ما بعد الإسلام قبولاً وامتثالاً له حتى طرأت على المجتمعات من الأفكار والانفتاح على الديانات والدول الأخرى ما عصف بالجانب العقائدي والتوحيدي للمرأة في هذا الجانب، والتي

(١) ينظر: الكشف: ٣/ ٢٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٢٣٠ .

(٢) ينظر: الأمل: ٩/ ٥٨ .

(٣) ينظر: حجاب المرأة وخلفيات التبرج في الفكر الإسلامي: ٦١ ، والخطاب القرآني للمرأة، دراسة في ضوء

اللسانيات النصية: ١٨٠ - ١٨٦ .

مثلت صورة من صور مقبولية متلقي النص القرآني، ومن ثم تحققت مقاصده النفسية والاجتماعية لتجسد عملية تفاعلية بين المنتج ومقاصده، والمتلقي ومقبوليته.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هناك بعض المواقف الراضية للحجاب قد ظهرت وتصادت عند النساء المسلمات في الدول المسلمة وغير المسلمة^(١)؛ لأنّ المرأة قد رأت أنّ في الحجاب وما يرتبط به من ستر أغلب مواضع الجسم يتعارض مع مقتضيات الحياة وشؤونها في العصر الحديث، ففيه سلب لحرّيتها، وانتهاك لكرامتها، فهو ((ظلم فاحش بحقّ المرأة وعزتها وكرامتها وحقّ حرّيتها))^(٢).

ولعلّ هذا الموقف قد اصبح ثقافة لكثير من المجتمعات المسلمة التي تبنتها ((بعض السلطات والمتقّفين، ذوي النزعات العلمانية أو التبعية التقليدية العمياء للسياسة والثقافة الغربية على حساب الدين الإسلامي وأخلاقه وأحكامه))^(٣).

ومن الآيات الاجتماعية أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَالْقَوْلُ لِلَّهِ رَبِّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (النساء: ١)، إنّ الخطاب الوارد في النصّ القرآني وإن كان موجّهًا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أنّ المقصود به عموم الناس بقريّة التعبير (طلقتم) بالجمع، وإنّما وجه الخطاب إليه؛ لأنّه إمام أمته وقدوتهم فنداؤه كندائهم، والحكم الموجه إليه في أمر الطلاق هو حكمهم؛ لذا حمل المعنى على التركيب^(٤)؛ لأنّ التنوع في الأسلوب هو من مقتضيات البلاغة في اللغة عامة وفي القرآن الكريم خاصّة، وهو هنا يقوم على الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع.

(١) ينظر: حجاب المرأة وخلفيات التبرج في الفكر الإسلامي: ١٠٧، ومعركة السفور والحجاب: ٣٤-٣٨.

(٢) الحجاب: ٤٩.

(٣) حجاب المرأة وخلفيات التبرج في الفكر الإسلامي: ١٣، وينظر: الخطاب القرآني للمرأة، دراسة في ضوء اللسانيات النصية: ١٨٠-١٨٦.

(٤) ينظر: الكشف: ٢٨ / ١١١٤، والتفسير المنير: ٢٨ / ٢٦٤.

قال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ((فإذا نودي وخطب خطاب الجمع، كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب))^(١).

ولم يكن أهل الجاهلية على علم بعدد الطلاق عدد، وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة، وكان هذا في أول الإسلام برهة يُطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق، فإذا كادت تحلّ من طلاقه راجعها ما شاء، فانزل الله تعالى هذه الآية بيانًا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرجع من دون تجديد مهر وولي^(٢).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تنصّ على مشروعية حكم الطلاق^(٣) عندما تدعو الحاجة إليه، واجمع العلماء على جواز الطلاق، والعبرة دالة على جوازه فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين، فيصبح النكاح مفسدة محضة وإضرارًا مجردًا بإلزام الزوج النفقة والسكنى وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقضى ذلك شرعًا إزالة النكاح لتزول المفسدة الحاصلة منه وبإباح، عند الحاجة ويكره من غير حاجة.

وقد بيّن الطبرسي أنّ النصّ المبارك أشار إلى وقت الطلاق الذي يمكن أن تبدي فيه العدة بعد الطلاق بشكل مباشر، وهو أن تكون الزوجة طاهرة بطهر لم يواقعها الزوج فيه، ولا يجوز أن يطلقها حال حيضها^(٤)، وقدّر الزمخشري في الآية محذوفًا تقديره (قبل)، أي: قبل عدّتهن^(٥)، وإنّ اللام متعلقة بمحذوف، أي: مستقبلات لعدّتهن. بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَسْرِعْنَ بِأُنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَكِنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وقد بيّن النصّ المبارك حكم وجوب انتظار المرأة المطلقة مدة

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٨ / ١٠ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢٦ / ٣ .

(٣) ينظر: سورة البقرة: ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، وسورة النساء: ٢٠ ، وسورة الأحزاب: ٢٨ ، ٤٩ .

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٨ - ٢٩ .

(٥) ينظر: الكشف: ١١١٤ / ٢٨ .

العدّة، وهي ثلاثة قروء، فإذا انقضت حلّ لها التزوج بزوجها، أو بغيره، والآية عامّة في كلّ مطلقاً مدخولاً بها، أم غير مدخول بها، صغيرة كانت، أم يائسة.

أوعز القرآن الكريم إلى ضرورة التشريع على مفاصل الحياة الأسريّة والاجتماعيّة موجّهاً ومشرعاً، حفاظاً لهذا الكيان من التفكك، وحفظ أوامره وجذوره؛ لأنّ غياب مدّة التربص يؤدّي إلى ضياع نسب الأبناء، فزواج المرأة بعد طلاقها من دون عدة قد يوهم الأمر في معرفة نسب الابن في حال كونها حاملاً^(١)، ومن المعروف أنّ الطلاق من الحالات الاجتماعية التي قد تطرأ على بعض العلاقات الزوجيّة، وقد تتسم هذه المرحلة بالخطورة ما لم تكن لها حدود وضوابط تجنّبها من الهاوية.

وعليه فإن معرفة الزوج بوضع زوجته بعد الطلاق يعدّ حقاً من حقوقه التي كفلها له الدين الإسلامي؛ لذا عبّر القرآن الكريم عن مثل هذه الحالات الاجتماعية بأحكام شرعيّة كان لها الأثر الكبير في حفظ الحقوق والواجبات الأسرية تجاه المولود في فترة التربص حفظاً للأنساب.

وعليه فإنّ الأحكام الواردة في آيات الطلاق تكليف شرعيّ ينبغي أدائه على أتمّ مراد من قبل المكلفين به من المسلمين رجالاً ونساءً، إذ جاء النصّ القرآنيّ بهذا الأسلوب؛ لأنّه أراد أن يجعله موجّهاً إلى عموم الناس فحقّق النفع للمستقبل العامّ، ممّا دفع الناس إلى تقبّل تلك الأحكام وتنفيذها، وهذا ممّا يشير إليه مفهوم المقبوليّة.

ونجد ذلك عبّر الرصف النحويّ الذي وظف لغويّاً لتحقيق المقبوليّة في هذا النصّ المبارك من خلال الاتساق النصّيّ في مجيء الفعل (يتربص) بصيغة المضارع إلّا أنّ السياق الذي ورد فيه أخبار يدلّ على معنى الأمر؛ للتأكيد والمبالغة بالمسارعة إلى الامتثال، ((وأصل الكلام وليتربصن المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر))^(٢)، فكانهنّ امتثلن الأمر بالتربص، فيخبر عنه بأنفسهنّ تهيج وبعث لهنّ على التربص ثلاثة قروء لا يتزوجن فيها، وهذا يعني أنّ الجملة الخبرية ظاهرة في الوجوب، فأصبح التعبير أبلغ من

(١) ينظر: الأمثل: ٩ / ٢ .

(٢) الكشاف: ١ / ٢٩٨ ، وينظر: التفسير الكبير: ٦ / ٤٣٤ ، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١ / ٣٠٦ .

غيره، أي: التعبير بالإنشاء وإرادة الخبر^(١)، وكذلك الفعل (لا يحلّ لهن) المعطوف على (يتربصن)؛ إذ تضمّن أيضًا معنى الأمر من خلال القرينة السياقية التي وردت فيه.

فضلاً عن ذلك فقد قصد التعبير القرآنيّ البنية الشرطيّة بما تتضمّنه من معنى التعليق والترابط^(٢)؛ وذلك لاقتران مسألة التزام بهذا الأمر بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر ففيه ((بيان منافاة الكتمان للإيمان وتهويل شأنه في قلوبهن))^(٣).

لقد كانت العلاقات الدلالية من العناصر المعززة لمقبوليّة النصّ، إذ عملت على تواشج النصّ وترابطه وتلاحمه، كعلاقة الاستثناء، والعموم والخصوص، فهما من العلاقات التي تشجّع المتلقّي على تتبّع أثرها الدلاليّ في تكوين النصّ وبيانه، يضاف إلى ذلك ما حقّقه الاتساق أيضًا من ذكر العامّ بعد الخاصّ في قوله (وتلك حدود الله)، فتجلّت المقبوليّة في هذا النصّ عن طريق التركيز على النظام الفكريّ، والنسق الثقافيّ الذي يتمثّل في شبكة من الأفكار والقيم والمعارف التي يحتويها مضمون النصّ^(٤).

هذا وقد عبّر النصّ القرآنيّ أيضًا بأحقية إرجاع الزوجة بعد طلاقها وهو هدف من الأهداف التنظيميّة للأسرة وحكمًا شرعيًّا في أن كان للزوج الرغبة في إرجاع زوجته ولم تكن لها تلك الرغبة في الوقت نفسه وجب الامتثال لرغبتها تلك في رجوعها إليه^(٥)، لذلك نجد التعبير القرآنيّ عبّر عنه بصيغة التفضيل (أحق) للمبالغة كأنّه قيل: للبعولة حق الرجعة أي (حقّ محبوب عند الله تعالى) وهذا ما يعرف بـ(الطلاق الرجعي)^(٦)، وعليه فإنّ مجيء هذه المعطيات اللغويّة في النصّ المبارك، قد ساعدت في تتأوّل سلسلة من الأحكام التشريعيّة للمطلّقة، ومنها حقّ الرجعة للزوج، كما تجسّدت الأحكام الشرعيّة في إقرار حقوق المرأة ولهنّ مثل الذي عليهن، على أن تكون هذه الحقوق في حدود الاستطاعة والمقبوليّة في الشرع،

(١) ينظر: تفسير آيات الأحكام في مجمع البيان دراسة موضوعية: ٣٥٢ .

(٢) ينظر: التراكيب الإسنادية: ١٤٨ .

(٣) روح المعاني: ١ / ٥٢٨ .

(٤) ينظر: الخطاب القرآنيّ، دراسة في البعد التداوولي: ١٢١ .

(٥) ينظر: الكشف: ١ / ٣٠٠ .

(٦) ينظر: الأمثل: ٧ / ٢ .

والعرف الاجتماعي، فعليهم أن يحسنوا كسوتهن، ورزقهن وعليهن طاعتهم والانقياد إليهم^(١)، مع الأخذ بالحسبان أفضلية الزوج على زوجته، وهي فضيلة لهم كونهم قائمين عليهن، راعين ومنفقين^(٢).

وتظهر المقبولية في النص القرآني عن طريق إطاعة المرأة المطلقة وإذعانها لمضامينه التشريعية والتزامها بها؛ إذ يمثل صورة من صور المقبولية نلمح بها أثرًا جديدًا لمُتلقي النص، ومقبوليته للخطاب يتناسب مع طبيعة الخطاب نفسه وطبيعة الأمر الإلهي، والذي يقتضي من المُتلقي ترجمة مقبوليته للنص والأحكام الواردة فيه.

ومما ورد في الآيات الاجتماعية من المعاملات آيات حلية التجارة والاكْتساب وتحريم أكل الأموال بالباطل والربا، وما يتعلّق بها من دين ورهان وغيرها.

والتجارة لغة: بمعنى البيع والشراء^(٣)، وفي الاصطلاح: ((هي اسم واقع على عقود المعوضات المقصودة منها طلب الأرباح))^(٤).

ومما جاء في القرآن الكريم من هذه المعاملات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِنَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)، إذ تطرّق النص المبارك إلى أهمّ مسألة من مسائل الأحكام الشرعية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهي مسألة البيع والشراء بين الناس، وقد تحققت المقبولية في النص المبارك؛ نتيجة مجموعة من العوامل اشتمل عليها النص منها: استعمال النداء للذين آمنوا؛ لأنّه أراد أن يجعله موجّهًا إلى عموم المؤمنين؛ لأنّهم المقصودين بالخطاب، والاتساق الحاصل عن طريق صيغة النهي (أ) (تأكلوا)؛ لأنّها أخبار عنه تعالى عن حكمه في حرمة أكل الأموال الموصوفة بالباطل،

(١) ينظر: الكشف: ١ / ٣٠٠، وروح المعاني: ١ / ٥٢٩ .

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٦ / ٤٤٠، وروح المعاني: ١ / ٥٢٩، والخطاب القرآني للمرأة، دراسة في ضوء اللسانيات النصية (أطروحة دكتوراه): ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (تجر): ١ / ٤١٩ .

(٤) أحكام القرآن، الجصاص: ٢ / ٢١٧ .

وأشار إلى فائدة تخصيص الأكل بالذكر؛ لأنه معظم المنافع^(١)، والانسجام النصي المتمثل بعلاقة الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ التي قام عليها النص؛ لأنها مستثناة من الأموال المقيدة بأكلها بالباطل.

ومعنى النص القرآني نهى لكل مكلف عن أكل مال نفسه، والتصرف بها بغير الوجه الشرعي، مثل: الربا والقمار وغير ذلك، وكذلك أكل مال الغير بالباطل ألا تجارة عن تراض بين الطرفين، أضف إلى ذلك شبه الجملة في قوله تعالى: (عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)، ((أي يرضى كل واحد منكما بذلك))^(٢)، ومعناه أن يرضى صاحبي المال بما تعاقدوا عليه حين البيع بالإيجاب والقبول.

وما يدخل ضمن المعاملات التجارية المحرمة (الربا) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٠)، وبعد أن بين الباري جلّ وعلا حلية التجارة عن تراضٍ، حرّم بعض المسائل التي تتعلّق بالبيع والشراء، وأهمها الربا وهو ((أن يعطي المدين مالاً لدائنه على قدر الدين لأجل الانتظار، فإذا حلّ الأجل ولم يدفع زاد في الدين))^(٣)، فعندما انتشر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، شرع الباري جلّ وعلا تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين، والتخلص من العادات والمعاملات الجاهلية، وأهمها حفظ أصول مال الأمة؛ لأنه قوام أمرها، ومن تلك المعاملات الربا الذي أطلق عليه الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ(ربا الجاهلية)^(٤).

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦٨ / ٣ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦٨ / ٣ .

(٣) التحرير والتنوير: ٧٩ / ٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٩ / ٣ .

وهذه الآية المباركة هي أول ما نزل في تحريم الربا، فقد نهى الله جلّ وعلا من أكل الربا وأخذه، ((مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه))^(١)، وليس المراد من تحريم أكله إلا تحريم نفسه، وإطلاق النهي يدلّ على التحريم، ثم إنّ المنع من أكل الربا لا اختصاص له بالبيع، بل يجري في جميع المعاملات والبيع على أقسامه.

ثمّ تبع ذلك الحكم عدّة آيات^(٢) تؤكّد على تغليظ تحريم الربا، وتعقيب الحكم الأولي ببيان تبعاته، وبعض ما يتفرع منه من العقاب والنكال، وتبيّن بعضًا من أحكامه، وتأكيدًا لاجتناب ارتكاب الربا، حقّق النّصّ أعلى مراتب المقبوليّة بأسلوب بلاغيّ عن طريق المجاز، وإطلاق النهي في هذه الآيات على التحريم في صيغة (لا تأكلوا)، فهي إخبار عنه تعالى عن حكمه في حرمة أكل الأموال الموصوفة بالباطل^(٣)، ممّا يدفع المُتلقّي إلى تقبّل الأحكام وتنفيذها لتفاعله معها، ولعلّ التكرار للتأكيد والمبالغة في التحريم، وأيضًا لتصريح النهي، فإنّ الذي كان بحسب الظاهر خبرًا، أو لعظم ذنب مرتكبه، وهو الأكل أضعافًا مضاعفًا، وكأنّ الواقع كان كذلك، ولكثرة ضرره على الناس^(٤).

ويتّضح ممّا تقدّم أنّ معيار المقبوليّة يتحقّق من خلال أثر المُتلقّي للامتثال للأحكام الواردة في آيات تحريم الربا، والتصريح بأنّ الربا من الكبائر، وتجنب التعامل به، فضلًا عن طبيعة النّصوص وصياغتها وموضوعها، ممّا له الأثر الكبير في توغل معناه في نفس المُتلقّي، وجعله مقبولًا لديه، -فالنّصّ قصير جدًّا- تحتشد الشدّة في عباراته وألفاظه لتفيد غرض التخويف والتهديد بصيغة النهي والأمر، موشحًا ذلك بالتعبير البلاغيّ البديع عن طريق المجاز، ممّا يدفع المؤمن المتيقّن إلى الاستجابة والقبول، وإن كان يحمل بين طيّاته نغمة التشديد والتهديد في تذييل بعض آياته.

وبعكس المرابي الإنسان الذي يقدم المساعدة للآخرين أو ما يسمى بالتدّارين، وهو عمل إنسانيّ يبيّن مدى التعاون والتلاحم والتكاتف بين المسلمين، وحبّ الخير، وقد كفل الله

(١) ينظر: الكشاف: ٤ / ١٩٤ .

(٢) ينظر: سورة البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٩ ،

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣ / ٥٧ .

(٤) ينظر: زبدة البيان في أحكام القرآن: ٤٣٧ ، وبدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام: ٦٧٧ .

سبحانه وتعالى حقّ الدائن والمدّين في كتابه العزيز وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايْتُمْ بَدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يُبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَخْسٌ مِنْهُ شَيْئًا﴾ (البقرة: ٢٨٢)، الآية المباركة كانت في مقام تشريع الكتاب في المعاملات المالية المؤجلة بين المتعاملين، وتحمل أحكام عدّة مختلفة، نختار ما يتعلّق في هذا المقام منها مشروعية الدين إلى أجل، والدين: هو كل شيء غير حاضر، وتداينوا: تبايعوا بالدين^(١)، والخطاب موجّه إلى المتداينين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايْتُمْ﴾، أي: تعاملتم وداين بعضهم بعضًا، والتقيد بلفظة (بدين) للتأكيد، وتمكين المعنى في النفس^(٢)، وهذا يدلّ على إباحة كلّ دين مؤجل، سواء أكان سلمًا أم غيره، مع التعيين في الأجل شرط محدد (إلى أجلٍ مُّسَمًّى)، سواء كان يوم أم شهر أم سنة، غير قابلة للزيادة أو النقصان^(٣).

ثمّ بيّن النصّ المبارك إلى حكم كتابة الدين (فاكْتُبُوهُ)؛ لئلا يقع فيه نسيان أو جحود، وليكون ذلك توثيقًا لحقّ وصاحبه بالصك والشهود، فلا يضيع حقّه، ويكون الكاتب بصيرًا بسنن الكتابة وتنظيم العقود على وجهٍ مبين.

ولا يخفى أنّ الحكم بالكتابة بين المتعاملين ليس من الأحكام التكاليفيّة التعبدية، بل من الأحكام الوضعيّة الإرشادية التي لا يترتب على الإخلال به معصية شرعيّة غير ما يترتب عليه من ضياع الأموال، ووقوع التنازع والتخاصّم بين المتعاملين، ووقوع الحيرة والترديد عند نسيان المدة المضروبة ونسيان الدين، ولا سيما عند موت أحد المتعاملين أو كليهما^(٤)، قال

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (دين): ١ / ١٣٥٢ .

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٧٨ .

(٣) ينظر: تفسير آيات الأحكام في مجمع البيان: ٢٩٢ .

(٤) ينظر: بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام: ٦٩٠ .

الفراء: ((هذا الأمر ليس بفريضة، إنَّما هُوَ أدب ورحمة من الله تبارك وتعالى، فإن كتب فحسن، وإن لم يكتب فلا بأس))^(١).

ويضاف إلى ذلك ما ذكره ابن عاشور أنَّ جميع ما تقدّم من أحكام هو حكم في الحضر، أمّا إذا كان المتدائنين على سفر ولم يتمكنوا من الكتابة لعدم وجود من يكتب ويشهد، فقد شرع الله لهم حكمًا آخر من توابع الدّين وهو الرهن متمثلاً بآية واحدة في القرآن الكريم هي آية المداينة^(٢)، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ...﴾ (البقرة: ٢٨٣)، وهو معطوف على أحكام الدّين السابقة (إِذَا تَدَايْتُمْ بِدِينٍ)^(٣). وأمّا قوله تعالى ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾، الرهن هو الحبس والدوام والثبوت، والفاء في فهران رابطة لجواب الشرط ورهان مصدر لجزاء الشرط، ولا يدلّ هذا الشرط على حصر الارتهان في السفر خاصّة، وانعدام الرهن فيما من دون ذلك إذ لم يكن ((الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصّة، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإرشاد))^(٤)، والجواب جاء حكمًا شرعيًا في كل الأحوال؛ وهذه الأحكام خاصّة بالدين والتجارة والرهن، وأنت مكملة للأحكام السابقة في بيان حال والصدقة والربا^(٥) في الآيات السابقة^(٦).

وبهذا الأسلوب العجيب في عرض الأحكام وتقنينها المحاكي لوجدان المتلقّي واقناعه في قبول تلك الأحكام، يصف سيّد قطب هذا الترتيب البليغ بقوله: ((إنّ الإنسان ليقف في عجب وإعجاب أمام التعبير التشريعيّ في القرآن الكريم حيث تتجلّى الدقّة العجيبة في

(١) معاني القرآن، الفراء: ١ / ١٨٣ .

(٢) ينظر: تفسير آيات الأحكام في مجمع البيان: ٣٠٣ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣ / ١٢٠ .

(٤) الكشاف: ٣ / ١٥٧ .

(٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٣ / ٣٣٤ .

(٦) ينظر: سورة البقرة: ٢٧١ - ٢٨١ .

الصياغة القانونية، حتى ما يبدل لفظ بلفظ ولا تقدم فقرة عن موضوعها أو تؤخر وحيث لا تطغى هذه الدقة المطلقة في الصياغة القانونية على جمال التعبير وطلاوته^(١).

إذ تجلت عناصر المقبولية عن طريق طبيعة بناء النص الداخلي من خلال الوسائل والأساليب التي اتبعتها النص؛ لإغرائهم بعبارات محبوكة توحى إلى التبسيط، وتروم نفعهم، لخلق نوع من التفاعل والانسجام بين المخاطب والمتلقي^(٢)، بالإضافة إلى انتظام العناصر المعجمية واتجاهها نحو بناء الفكرة الأساسية للنص، والتي تضمن عملية التواصل أثناء قراءته أو سماعه عن طريق التكرار في (كتب)، وهذا التكرار ينبه الأسماع، ويجعلها تتفاعل مع النص؛ لأن المتلقي يفهم ما يراد، وربما يكون تفصيلاً لأمر في غاية الأهمية؛ لذا وظف النص القرآني الأسباب المناسبة في توليف البناء النصي بأسلوب متسق وسلس يشجع على متابعة تلقي النص، والتواصل معه عن طريق ملامح البناء اللغوي للنص وتقبله.

ومن مظاهر القبول في الآيات الاجتماعية مظهر الإيقاع اللفظي كما في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُومِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٢٣).

إذ نلاحظ تأثير الإيقاع الموسيقي عبر ((الترديد المتواصل لنظام صوتي يثير المتلقي للنص القرآني ويحمل في جوانبه دلالات تعبيرية وسياقيه على مستوى اللفظة والمعنى معاً)) المتمثل بتكرار صوت التاء المهموس^(٣) إحدى وعشرين مرة حققت التأثير السمعي في المتلقي وحملته عبر هذه المؤثرية على التفاعل مع النص بغية الوصول إلى مدلولاته، إذ يمتاز هذا الصوت بـ((صوته المتماسك المرن يوحي بلمس بين الطراوة والليونة كان الأنامل

(١) في ظلال القرآن: ٣ / ٣٣٤ .

(٢) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة "دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته": ١٠٤ .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦١ .

تجس وسادة من قطن))^(١)، فانسجم وحاكي الأسلوب التعليمي القرآني الذي يستهدف تقرير المخاطبين وإقناعهم وتقبلهم للحكم الشرعي الذي يراد إثباته للمجتمع عن طريق ملامسة شعور الإنسان والرفق به.

وقد يكون التكرار للصوت عن طريق جملة كاملة تؤدي تلك الجملة إلى إيجاد إيقاع بسبب تتابع الأصوات نفسها في كلمات تلك الجملة وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَنْوَأَجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دِينَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوَصَّونَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَخًا أَوْ أُخْتًا فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّهَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمُ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوَصَّى بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢)، فتكرار عبارة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) مع تغيير الضمير في الفعل (أوصى) أحدث إيقاعاً في الآية الكريمة نتيجة تكرار الأصوات نفسها في كلمات ثابتة^(٢)، فالإيقاع المستفاد من التكرار يجعل المتلقي يعيش حالة من الاستمرارية مع النص فضلاً عما يحدثه من عملية ربط للنص، يؤدي ذلك تفعيل الوظائف الرئيسية الفنية لمعيار المقبولية.

والم تأمل في هذه الآيات يجد أنه تتمتع بنوع من السجع من خلال اتفاق وتوالي آيات المعاملات مع بعضها، فنجد الآيات الاجتماعية من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤) لَا يَأْخُذُكُمْ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) ، تتابع الآيات منصبه لتقرير حكم (الإيلاء) وانتهاء هذه الآيات بكلمات (عليم، حليم،

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٥٥ .

(٢) ينظر: آيات المعاملات في القرآن الكريم، دراسة لغوية، (رسالة ماجستير): ١٩ .

مَرَحِيمٌ، عَلِيمٌ) وكلها كلمات مشتركة في نهايتها المختتمة بصوت الميم المسبوق بصوت المد (الياء) وأن تشابه هذه المقاطع وُد ارتباط صوتي يربط جميع تلك الآيات إضافة إلى ارتباطها المعنوي على المستوى السطحي مع مراعاة المستوى العميق^(١)؛ إذ إنَّها انصبت في معالجة حكم شرعي، فأسهمت نهاية الفواصل القرآنية في ربط النصّ ربطاً معنوياً، ممّا ساعد على رسم الأثر الموسيقي داخل النصّ المبارك وخارجه؛ لاضطلاعها بأثر مهمّ وهو توفير التكافؤ في مستوى البنية الداخلية والخارجية؛ فأنعكس ذلك الأثر على المُتلقي وتوجيهه نحو الدلالات المكنونة وتقبّلها بسهولة وسلاسة.

ومن ملامح مقبولية النصّ إعلاميته، وظيفته في إثارة انتباه المُتلقي في اكتشاف ما يخالف توقعاته بالجديد من الأفكار والصيغات، وطريقة بناء النصّ بأسلوب جميل يساعد على إنجاز عملية التلقي والتواصل مع مُستقبل النصّ، فوسائل إعلامية النصّ كالحذف والتكرار وأساليب البيان البلاغية كالاستعارة والكناية وغيرها، فضلاً عن كسر أفق التوقع تعمل على مفاجأة المُتلقي، وشده وجذبه نحو متابعة مكانن الحسن والجمال في ثنايا النصّ، ويحيط بما تقدّم من مقبولية النصّ قصديّة المنتج، فهي تشمل على ((جميع الطرق التي يتخذها منتج النصّ في استغلال النصّ من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها))^(٢).

وخير ما يختم به الحديث في ما نحن بصدده من معيار المقبولية في الآيات الاجتماعية ما أشار إليه القرطبي بقوله: ((واتفق العلماء على منع الجمع بين بيع وسلف وعلى تحريم قليل الخمر وإن كان لا يسكر وعلى تحريم الخلوة بالأجنبية وعلى تحريم النظر إلى وجه المرأة الشابة إلى غير ذلك ممّا يكثر ويعلم على القطع والثبات أن الشرع حكم فيها بالمنع؛ لأنّها ذرائع المحرمات، والربا أحقّ ما حميت مراتعه وسدت طرائقه، ومن أباح هذه الأسباب فليبح حفر البئر ونصب الحبالات لهلاك المسلمين والمسلمات، وذلك لا يقوله أحد،

(١) ينظر: آيات المعاملات في القرآن الكريم، دراسة لغوية: ٢٣ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ١٥٧ .

وأيضًا فقد أتفقنا على منع باع بالعينة إذا عرف بذلك وكانت عادته وهي في معنى هذا الباب^(١).

وأخيرًا فإن المقبولية تتعلق بحسب رأي (فاتر) (بمناسبة الوسائل اللغوية المستخدمة، أي: بنوع الأسلوب ووسائل تزيينه وأشكال التنوع اللغوي)^(٢)، ولا شك في أهمية القارئ ودوره في تلقي النصّ وتأويله وقبوله؛ إذ يمثل المحور الرئيس لإكمال بناء النصّ؛ إذ ركزت الدراسات اللسانية على دور المُتلقي في صياغة النصّ وتحديد وجهته^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣ / ٣٦٠ .

(٢) اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النصّ: ١٧٨ .

(٣) ينظر: دينامية النصّ (تنظير وإيجاز): ٤٢ .

ثانياً: الإعلامية:

الإعلامية لغة: ورد في كتاب العين ((عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا، نَقِيضُ جَهْلٍ ... وَمَا عَلِمْتُ بِخَبْرِكَ، أَي: مَا شَعَرْتُ بِهِ، وَأَعْلَمْتُهُ بِكَذَا، أَي: أَشْعَرْتُهُ وَأَعْلَمْتُهُ تَعْلِيمًا. وَاللَّهُ الْعَالِمُ الْعَلِيمُ الْعَلَامُ وَالْأَعْلَمُ: الَّذِي انْشَقَّتْ شَفَقَتُهُ الْعَلِيًّا))^(١)، والإعلام في اللغة مشتق من (عَلِمَ) التي في أصلها تَدُلُّ ((عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ))^(٢).

وجاء في الصحاح ((وَعَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا؛ عَرَفْتُهُ وَعَالَمْتُ الرَّجُلَ فَعَلِمْتُهُ أَعْلَمُهُ بِالضَّمِّ غَابَتْهُ بِالْعِلْمِ ... وَاسْتَعْلَمَنِي الْخَبْرَ فَأَعْلَمْتُهُ إِيَّاهُ))^(٣)، وعن طريق التفتيش عن المعاني المرتبطة بمادة (علم) نجد أنها تدور حول الفهم، والإدراك والمعرفة.

الإعلامية اصطلاحاً: ذكر الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، أن ((الإعلام مصدراً (أعلم) وهو عبارة عن تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلاً بالعلم به ليتحقق إحداث العلم عنده وتخصيله لذيئه))^(٤).

تعد الإعلامية المعيار الخامس من المعايير النصية، ويعرفها (دي بوجراند) بأنها ((العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم Uncertainty في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي Textual في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع))^(٥). فهي -الإعلامية- تتعلق ((بمدى (توقع/عدم توقع) أو (معرفة/عدم معرفة العناصر الوقائع التي يقدمها النص، ويقصد بذلك المعلومات الجديدة التي يقدمها النص للمتلقي، فإن كان المتلقي يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإن النص يوصف بأنه أقل إعلامية، أما إذا كان المتلقي لا يتوقع هذه المعلومات

(١) العين، مادة (ع ل م): ١٥٢ / ٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (علم): ١٠٩ / ٤ .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ع ل م): ١٩٩٠ / ٥ .

(٤) الكليات: ١ / ١٤٨ .

(٥) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥ .

الجديدة، فإنه يوصف بأنه أكثر إعلامية وهذا يعني أن المعلومة الجديدة، إذا قدمت للمتلقي فإن النص يكون أقل إعلامية، أما إذا تركت لحدس المتلقي فإن النص يكون أكثر إعلامية^(١).

وتتجلى إعلامية النص بالاتصال والتفاعل بين النص والمستقبل، وتعتمد عملية التواصل على قدرة المتلقي المعرفية وإدراكه للعلاقات النصية التي تمكنه من الاختيار السليم للمعلومات السليمة وينكب عناية الإعلامية على النص إنتاج وتلقي وهي ترتبط بمدى ما يقدمه مستعملو النص في عرضه من جدة وعدم توقع في المعلومات الجديدة، التي يمنحها النص للمتلقي، فإذا كان المتلقي لا يستغرب هذه المعلومات ولا يتفاجأ بها، فالنص يوصف بضعف إعلاميته، وإذا كان المتلقي لا يتوقع وقوعها، ويتربص دلالتها، فالنص يوصف بارتفاع إعلاميته^(٢).

تعد الإعلامية أحد معايير كينونة النص وترمي إلى الكشف عن مدى تفاعل المتلقي مع عناصر النص غير المتوقعة انطلاقاً من تصور مؤداه أن النص الجيد يحقق مقاصد منتجة وينال قبول المتلقي ويستحوذ على إعجابه، وذلك لارتفاع درجة الإعلامية فيه^(٣)، وعليه لا يكون النص نصاً ما لم يُوح بالفائدة؛ لذا ((تفهم النصوص على أنها حيز لنقل المعارف الاجتماعية المتعددة))^(٤)، وهذه هي الإعلامية.

لا يختلف مفهوم الإعلامية في الدراسات النصية الحديثة كثيراً عن دراسات القدماء، فقد وردت مصطلحات عدة عند علمائنا القدماء تشبه إلى حد كبير مفهوم الإعلامية في الدرس النصي الحديث، ومن تلك المصطلحات: (الغرابية، والتعجيب، والاستبداع، والمستندر، والمستطرف، والاستطراف)^(٥)، و(الاستطراف، والإغراب، واللفظ، والفائدة)^(٦)، ويرى الأمدي

(١) الدلالة والنحو: ١٣٢ ، وينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٦٦ .

(٢) ينظر: معيار الإعلامية في التراث النقدي والبلاغي: ٥٤ .

(٣) ينظر: الإعلامية - أبعادها وأثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية: ٢٧ .

(٤) النص والخطاب ، شتيغان هابشايد: ٢٢ .

(٥) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٠ - ٩١ ، والإعلامية في الخطاب القرآني: ٥ .

(٦) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان: ٢٠٤ ، والإعلامية في الخطاب القرآني: ٥ .

الأمدي وجوب أن يتضمّن النّصّ أو الكلام الفائدة الأساس التي يروم المتكلم إيصالها إلى السامع بقوله: ((الكلام إنّما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازة))^(١).

وكذلك ما قيل في بيان مفهوم التعجيب: ((والتعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلّ التهديّ إلى مثلها، فورودها مستندر، مستطرف لذلك: كالتهديّ إلى ما يقلّ التهديّ إليه من سبب للشيء تخفى سببته، أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له، أو معاند، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغربها))^(٢).

وقد تعددت الترجمات في وضع المصطلح العربيّ المقابل لمصطلح (Informativity)، ومنها: الإخبارية^(٣)، والإبلاغية^(٤)، والمعلوماتية^(٥)، والإفادة^(٦)، والإعلامية^(٧)، وهو الأشهر، والأكثر رجحانًا وشيوعًا.

وبناء على ما تقدّم فـ((إنّ الإعلامية ترتبط بإنتاج النّصّ واستقباله لدى المتلقّي، ومدى توقعه لعناصره))^(٨)، وهذا يعني أنّ معيار الإعلامية معيارٌ كمّي، بمعنى أنّه متعلّق بوفرة المعلومات التي يقدّمها النّصّ، وهذه الوفرة في المعلومات تزداد قيمتها بمدى بعدها وليس بقرب وقوعها، وهذا الأمر مقرون بالمتلقي وما يضمّره من خزين معرفي يعينه على تقريب الحدود، ودقة توقعاته، فكلما كانت المعلومات الملقاة في النّصّ ضمن حدود فهمه كانت أقرب إلى الاحتمالات المتوقعة، وبخلافه إذا كانت تلك المعلومات خارج إطار فهمه.

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ١٧٩ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٠ .

(٣) ينظر: نسيح النّصّ: ١٥ ، وعلم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٦٦ ، ونحو النّصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١٨٦ .

(٤) ينظر: مباحث حول نحو النّصّ: ١٢ .

(٥) ينظر: اجتهادات لغوية: ٣٧٩ ، ومدخل إلى علم اللغة النّصيّ: ٩٤ ، وأسس لسانيات النّصّ: ١٥٢ .

(٦) ينظر: أصول تحليل الخطاب (في النظرية النحوية العربية): ١٠٦ / ١ .

(٧) ينظر: النّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٥ ، ومدخل إلى علم لغة النّصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٣٢ ، وآخرون .

(٨) نحو النّصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ٨٦ .

فالإعلامية عامل جذب للقارئ عبّر ((تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال))^(١)، ضمن شبكة من التحولات المتنامية عملياً لإجراءات الترابط الرصفي والترابط المفهومي^(٢)، ويظهر ممّا سبق أنّ ((قيمة النصّ فيما تحدّثه إشاراته من أثر في نفس المُتلقي، وليس أبداً فيما تحمله الكلمات من معانٍ مجتلبة من تجارب سابقة أو دلالات مستعارة من المعاجم))^(٣).

وتمنح النصوص الغامضة والمستغربة فرصة للقارئ ليكون إيجابياً ومتفاعلاً مع النصّ، ومساهمًا في إنتاج دلالاته، فإذا لم يظفر بما يستبهم عليه ويرتطم مع توقعاته واختياراته الآلية عندئذ لا يوجد شيء يوصف بالجدّ، ومن ثمّ لا يحتاج إلى جهد فكري أو رؤية لإدراك المعنى الغامض والمستغرب أو تلك الفكرة غير المتوقعة^(٤).

وترتبط الإعلامية إرتباطاً وثيقاً بقصد مُنشئ النصّ وقبول متلقي النصّ؛ لأنها تتضمن الجدة والحدّثة في الإخبار.

مراتب الإعلامية:

قسم علماء النصّ درجة تباين إعلامية النصوص بحسب المعلومة الواردة فيها عبّر فكرة التوقع أو عدم التوقع على ثلاث مراتب، هي:

١. المرتبة الأولى:

وتتواجد إذا كانت الوقائع في دائرة الاحتمال العلياً، ووقائعها توصف بأنها مستوعبة، أو مبتدلة فيجعل حظها من ناحية الاهتمام بالمعنى ضئيلاً^(٥)، وهذه الدرجة واضحة المعالم لا غموض ولا إبهام فيها، فهي متواجدة في ضمن الحدود المتوقعة، ويمكن أن نطلق على

(١) مدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٩ .

(٢) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٠ .

(٣) تشريح النصّ مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة: ١٨ .

(٤) ينظر: المعايير النصّية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة: ٢٥١ .

(٥) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ١٨٧-١٨٨ .

هذه المرتبة بـ(الإعلامية العامة)؛ لأنَّ أيَّ نصٍّ عليه أن يقدم لنا خبرًا ما فالرغبة في الإخبار ووظيفة رئيسة لدى الكتاب وتشارك فيها النصوص جميعها^(١).

ويبدو أن تواجد هذه الدرجة يكون في دائرة الاحتمال المتوقع، وابتعادها عن احتمال عدم التوقع، يقول دي بوجراند: ((وتتحقق كفاءة إعلامية من المرتبة الأولى في العوالم الواقعية حيث توجد بدائل كثيرة، ويحدث ذلك عند اختيار بديل في الدرجة العليا من الاحتمال))^(٢).

فهذه المرتبة واضحة أمام المُتلقي حاضرة في خزينه الفكري عند ورودها من دون أن تكون له حاجة إلى إعمال فكره من أجل الوصول إلى مغزاها، فهي لا تحتاج إلى درجة انتباه وجهد شديدين؛ لأنَّ الوقائع فيها لا تتسم بالجدة أو التنوع، لذا يمكننا أن نعثر على هذا النوع من الإعلامية في الأحاديث اليومية أو في العالم الواقعي (الحقيقي)^(٣)، وقد صنفتها دي بوجراند في ضمن المحتوى المحتمل في الهيئة المحتملة^(٤)، والمُتلقي لا يجد فيها ما يثير اهتمامه؛ لأنَّ النصَّ واضح الدلالة واقع ضمن نطاق حدوده الفكرية، ويرى بعض الباحثين أنَّ هذه المرتبة بعيدة عن معيار الإعلامية، فوقائعها النصية واقعة بشكل يقيني^(٥).

ويتضح مفهوم الإعلامية في الدراسات النصية عن طريق استعمال تراكيب لغوية يكسر بها منتج النصّ توقع مُتلقيه، لم يكن للمُتلقي عهدًا بها، وإذا بحثنا عن ذلك في الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم نجد من أمثلته في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨)، وردت إشارة لطيفة لمحي الدين الدرويش في كتابة إعراب القرآن وبيانه برجوعه إلى كتاب (المحرر) ذكر فيها رأي ابن جرير الطبري بتوجيه الرفع للسارق والسارقة؛ لأنهما غير معينين، ولو أراد تعينهما لكان

(١) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٦٦ - ٦٧ .

(٢) النصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٣ .

(٣) ينظر: الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقّي النصّ: ٧٢ - ٧٣ .

(٤) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ٢٥١ .

(٥) ينظر: المعايير النصية لدى روبرت دي بوجراند في ديوان همسات الصبا للشاعر الليبي رجب الماجري، دراسة

دراسة نقدية تحليلية: ٢٢٧ .

الوجه الإعرابي النصب، وهذا الأمر شكل إعلامية مرتفعة تُلفت نظر المُتلقي، وكذلك ما يُلفت انتباه المُتلقي وهي قراءة الجمهور الرفع على الابتداء وخبرها محذوف، ورأى سيبويه عدم إجازته الخبر، قوله (فاقطعوا)؛ لأنَّ الفاء لا تدخل في خبره عند سيبويه، وأجاز جماعة من البصريين أن السارق والسارقة مبتدأ والخبر جملة الأمر، وقد قرأ بعضهم (السارق والسارقة) بالنصب^(١).

وقد أدّى اختلاف القراءتين إلى رفع القوة الإعلامية عند المُتلقي، فظن بعض المفسرين أن سيبويه قد رجح قراءة النصب من دون هذا التقدير، فللنصب وجه واحد، وللرفع وجهان: الأول: هو رأي خفيف ويكون على الابتداء، والوجه الآخر: أقوى من الرأي الأول على تقدير خبر محذوف، فنجد تعارض وجهها الرفع احدهما قوي والآخر ضعيف، الأمر الذي يتعين حمل القراءة على الوجه الأقوى، كما أعربه سيبويه^(٢).

ونلتمس ملمحًا إعلاميًا آخر في النصّ المبارك وهو تقديم السارق على السارقة، بخلاف قوله تعالى في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢)، حيث قدم الزانية على الزاني، وعلة هذا التقديم يرجع إلى أنَّ الرجال أقوى وأشدَّ جرأة وإقدامًا على السرقة من النساء^(٣)، في حين قدم الزانية على الزاني؛ لأنَّ ابتداء الزنا هو من شأن النساء؛ لتجملهنَّ وتزينهنَّ وهنَّ اللاتي يُمكنُ الرجال من الوقوع في معصية الزنا. وبذلك حقق هذا التقديم والتأخير إعلامية مرتفعة في النصّين الكريمين كونه كسر أفق التوقع في التركيب النحويّ، ودخل مع حركة توافقية متنامية مع معنى التركيب للتركيز على مكانة السارق والزانية.

ومن مظاهر الإعلامية أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخُونُوا أَمْثَانَكُمُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧)، تشكل هذه الآية المباركة إعلامية مرتفعة، ففي

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٢ / ٤٧٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٤٧١ .

(٣) ينظر: الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ٦١٦ .

قوله جل ذكره (وتخونوا)، تحتل الجزم عطفاً على الأول، أو قد تكون في موقع نصب على الجواب كما في قول العرب: لا تأكل السمك وتشرب اللبن^(١). فهذه المفارقات النحوية تشكل إعلامية مرتفعة؛ لأنَّ المُتلقِّي أمامه وجوه عدّة من الاختلافات النحوية، فيؤدّي ذلك إلى الغموض في تحديد الوجه المراد.

وعند قراءة قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنِينَ بَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (البقرة: ١٧٧)، نلاحظ كسر توقع المُتلقِّي بمجيء كلمة (الصَّابِرِينَ) منصوبة في النَّصِّ القرآني، والأصل فيها الرفع عطفاً أو نسقاً على ما قبلها، وقد فسر بعض المفسرين والمعريين هذا الخروج إلى النصب بأنّه مدح بتقدير أخصّ أو أمدح^(٢)، أو يكون على إضمار فعلٍ تقديره (أعني)^(٣) أو نسقاً على (ذوي القربى)، أي: (وأتى الصابرين)^(٤).

والأول هو الظاهر؛ لأنَّ المقام مقام مدح، كما قال الزمخشري: ((منصوباً على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال))^(٥)، وفسر الدكتور نجاح العبيدي ذلك بقوله: ((وواضح من توجيه الزمخشري أنّ إيثار النصب على المدح، كان من ورائه مقام فضل الصبر في موضع تهتز له الفرائض، وترتعش به الأبدان، فلاءم هذا المقام تحوّل الحركة الإعرابية إلى النصب فيكون هو المسؤول عن هذا التحول الوظيفي للفظة داخل السياق))^(٦)، فالله تعالى يمدح في هذه الآية المؤمنين بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین، والذين ينفقون المال في كل وجهه الخير، والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، والذين يوفون بعهودهم عند قطعها على أنفسهم، إلا أنّ هناك صنفاً من الناس يفوق هؤلاء كلهم في الأجر والثواب، ألا وهم

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٩٥ / ٢ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٠ / ٢ ، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٣١ / ١ ، وتفسير روح المعاني: ٤٤٤ / ١ .

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١١٨ / ١ ، وتفسير البغوي: ٢٠٦ / ١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٦٤ / ١ .

(٤) ينظر: تفسير البغوي: ٢٠٦ / ١ .

(٥) الكشاف: ١٠٩ / ٢ .

(٦) إشكالية المعنى في الجهد التفسيري، دراسة في ضوء مستويات اللغة (تفسيراً وتأويلاً): ١٤٨ .

الصابرين، وجزاهم ما لم يُجاز عليه أحدًا من عباده ((إذ لم يقصد سبحانه وتعالى مطلق الخبر عندما تحدث عنه في البأساء، ولكنه أراد أن يُثني على هؤلاء الصابرين، فعندما تم هذا، قام بتحويل الكلام من الأسلوب الخبري العادي، إلى أسلوب المدح والثناء، فغير في إعراب الكلام ليكون وقعه أكثر على عموم الصابرين في البأساء والضراء، حتى يحثهم على مزيد من الصبر على مصائب الدهر))^(١).

ولهذا شكلت هذه الكلمة إعلامية مرتفعة تُلقت نظر المُتلقّي عن طريق تغيير العلامة الإعرابية من الرفع إلى النصب؛ تنبيهًا على فضيلة الصبر ومزيتها على سائر الأعمال كأنه لم يكن من الجنس الأول^(٢)، وهذا يؤكد أنّ التعبير القرآني لم يقصد مطلق الخبر عندما تحدث عن الصابرين في البأساء والسراء ولكن أراد أن يُثني على هؤلاء الصابرين الصامدين ويمدحهم بمدح يلفت الانتباه فخالف في الأسلوب الخبري؛ إذ انتقل الكلام من هذا الإخبار المجرد إلى أسلوب المدح والثناء والإطراء، إذ عمد إلى المغايرة الإعرابية؛ لأجل هذا الأسلوب المدحي الجديد ليكون موقعه أبلغ في نفوس هؤلاء الصابرين وهو أسلوب حثي يحثهم على مزيد من الصبر على مصائب الدهر وشدائده، أي بمعنى أخرج الكلام من بنية لغوية سطحية إلى بنية لغوية أخرى أكثر عمقًا وإبلاغًا لارتفاع إعلامية النصّ القرآني في هذا الأمر؛ فأدت هذه المغايرة حتمًا إلى رفع قيمة الإعلامية وكسر توقع ذهن المُتلقّي^(٣).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَنْزَارٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخْلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء: ٥٧)، تمثلت المغايرة باستعمال النصّ القرآني أساليب غير معهودة عند المُتلقّي، الأمر الذي يرفع إعلامية الخطاب، فقد جاء في الآية المباركة ذكر لفظة (مطهرة) بصيغة المفرد وهي نعت لكلمة (أزواج)، فغاير من صيغة الجمع (مطهرات) إلى صيغة الأفراد، ولعلّ في هذه المغايرة دلالة

(١) أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية: ١٨ - ١٩ .

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني: ١ / ٤٤٤ ، وأنوار التنزيل: ١ / ١٢١ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي، بحث المغايرة الإعرابية وأثرها في المخالفة الأسلوبية، دراسة في تركيبات بعض الآيات القرآنية: ١٦ - ١٧ .

على التخصيص؛ إذ يراد بالجمع العموم، لكن في الأفراد يدلّ على الخصوصية، فلكل واحد زوجة خاصّة به صفاتها العفاف والطهر، ويمكن أن يكون هذا زيادة في التكريم؛ إذ لو قال (مطهرات) لانتفى هذا الشعور في التكريم^(١)، ففي لفظة مطهرة ((إشعارٌ بأنّ مطهراً طَهَّرَهُنَّ وليس ذلك إلاّ الله تعالى، وذلك يُفيدُ فخامة أمرِ أهلِ الثوابِ كأنَّهُ قيلَ إنّ الله تعالى هو الذي رَيَّنَهُنَّ لأهلِ الثوابِ))^(٢)، ويرى أحد الباحثين ان الغرض من استعمال المفرد بدل الجمع هو غرض دلالي ((مفاده، متى اشترك جمع من المخلوقات بصفات معيّنة، وهذه الصفات وصلت بينهم حد التشابه، نرى السياق القرآني يلجأ إلى استعمال المفرد فيها، للدلالة على التوحد والمشاركة الكلية))^(٣)، ففي هذا دلالة على التساوي في الصفات كلها وعدم التباين، فالمؤمنون هنا متساوون؛ لذلك يجب ومن العدل أن يكون الأزواج متساويين أيضاً حتى تكون هناك عدالة.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْطُرَ إِلَيَّ يَدُكَ تَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)، نجد أنّ الجار والمجرور قد تقدّم على المفعول به في قوله: (بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ) وتأخر عنه في قوله: (بِاسِطِ يَدِي) وهذا التقديم يفسر مدى طغيان الباسط الذي يبسط يده إلى أخيه، ويحذره من عاقبة أعماله وسوءها لعلّه يرتدع عنها، وتقديم (إِلَيَّ) تذكير له بالأخوة التي تجمعهما، وأسناد بسط اليد لقتل الأخ من الأمور المرفوضة والمستحيلة، وتأخير الجار والمجرور في قوله تعالى: (مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ) يدلّ على أنّه ليس حريصاً على قتل أخيه بل ليس ممن يصدر عنه القتل أصلاً، كما يشعر بذلك تقديم المسند إليه (أَنَا) وإيلاؤه أداة النفي (مَا) فقد دلّ على نفي البسط عنه وإثباته لغيره، وهو الأخ الذي همّ بالقتل وعزم عليه^(٤)، وفضلاً عن ما حققه التقديم والتأخير في الجار والمجرور في رفع كفاءة النصّ

(١) ينظر: العدول عن السياق في القرآن الكريم، بحث: ١١٤ .

(٢) التفسير الكبير: ٢ / ٣٦٠ .

(٣) المطابقة العددية في الجملة القرآنية، دراسة دلالية، بحث: ١٠ .

(٤) ينظر: تجليات التعبير اللغوي في النصّ القرآني: ١٠٧ .

الإعلامية، فقد اشتمل النصّ المبارك على مغايرة الشرط وجوابه الذي جاء بلفظ الفعل، وهو قوله: **بَسَطْتُ**، والجواب بلفظ اسم الفاعل، وهو قوله: **(مَا أَنَا بِبَاسِطٍ)**؛ لإفادة أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا العمل المنكر؛ ولذلك أكدّه بالباء المؤكدة للنفي^(١)، فهذه المغايرة أحدثت غرابة وجدة في الأسلوب ممّا أعطى المُتلقي حافزاً للغوص في أعماق النصّ المبارك.

اشتمل النصّ المبارك على مغايرة الشرط وجوابه الذي جاء بلفظ الفعل، قال الزمخشري: ((فإن قلت: لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل ... قلت: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع، ولذلك أكدّه بالباء المؤكدة للنفي))^(٢)، وهذه دلالة على قوة التعبير القرآني في اختيار صيغة اسم الفاعل، لتتناسب مع صفات هابيل الذي أبى أن يتصف بالوصف الشنيع - وهو قتل أخيه - لذلك ورد التوكيد بالباء لهذا النفي لتقوية هذا المعنى، فصار اسم الفاعل والباء المؤكدة سبباً لنفي لزوم صفة البسط لهابيل^(٣)، ((امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من الفاعل لا غير، وأما اتصاف الذات به فذلك أمر يعطيه اسم الفاعل))^(٤)، وفضلاً عن ما حققته مغايرة الشرط وجوابه في رفع كفاءة النصّ الإعلامية، فقد اشتمل النصّ المبارك على إعلامية أخرى عن طريق الجار والمجرور الذي تقدّم على المفعول به في قوله: **(بَسَطْتُ إِلَيْ يَدِكَ)** وتأخر عنه في قوله: **(مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ)** وهذا التقديم يفسر مدى طغيان الباسط الذي يبسط يده إلى أخيه، ويحذره من عاقبة أعماله وسوءها لعله يرتدع عنها^(٥)، فهذا التقديم والتأخير أحدث غرابة وجدة في الأسلوب ممّا أعطى المُتلقي حافزاً للغوص في أعماق النصّ المبارك.

(١) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ / ٤٥٤ .

(٢) الكشف: ١ / ٦١٣ ، وينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ / ٤٥٤ ، وإشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٨٦ .

(٣) ينظر: إشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٨٦ .

(٤) الانتصاف فيما تضمنه الكشف: ١ / ٦١٣ ، وينظر: الإيضاح في علل النحو: ١ / ٨٧ ، ومعاني الأبنية في العربية: ٩ ، وإشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٨٦ .

(٥) ينظر: تجليات التعبير اللغوي في النصّ القرآني: ١٠٧ .

وقد تضمنت الآيات الاجتماعية نصوصاً اتصفت بكفاءة إعلامية مرتفعة عبر أسلوب انمازت به في مواطن كثيرة بمخالفة التوقعات، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧) إلى أن يصل القارئ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩)، فالقارئ يُفاجأ في قراءة هذين النصين المباركين بمخالفة حقيقة لا يُشك فيها، وهي قوله تعالى في النص الأول (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا)، وقوله في النص الثاني (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا)، ((عندما لا تتسجم المعلومات التي قررها النص مع عالم المعرفة المختزنة))^(١)، ولكن يمكن للغرابية أن تزول بمعرفة الأسباب التي أدت إلى تلك النتيجة ، وبوساطة الكفاءة الإعلامية يتمكن المتلقي من استمرارية التواصل مع النص، فسبب الغرابية يكمن في (الحد) وهو الحاجز ونهاية الشيء الذي إن تجاوزه المرء دخل في شيء آخر، وشبَّهت الأحكام بالحد؛ لأن تجاوزها يخرج من حلٍ إلى منع، فلم نهى الله تعالى المؤمنين عن القرب مع أنه في الآية الأخرى نهى عن تجاوز الحد؟ والجواب: ((إنَّ الآية الأولى وردت بعد نواهٍ فناسب النهي عن قربانها، والثانية بعد أوامر، فناسب النهي عن تعديتها وتجاوزها بأن يوقف عندها))^(٢)، والله تعالى نهى عن المقاربة؛ لأن بين الصيام والإفطار قيد خيط أو شعرة، وإن استمر المرء على الأكل أفطر، وإن أكل قبل هذا الخط أفطر أيضاً، ولذلك نهى عن قربان هذا الحد، لأنه دقيق وسرعان ما تخرج المرء منه وهو غير شاعر بما فعل.

(١) النص والخطاب والإجراء: ١٢٠ .

(٢) معتك الأقران: ٧٢ / ١ .

المرتبة الثانية:

وتكون وقائع هذه المرتبة شبه محتملة، إذ تخالف توقعات المُتلقي؛ لاحتوائها على شيء من الإبهام والغموض، فهي تفاجئ المُتلقي بطريقة عرضها للوقائع على ناحية الجدة (عدم التوقع)، فالنص كلما كان غير متوقع زادت كفاءته الإعلامية؛ وقد صنفها دي بوجراند في ضمن ((المحتوى غير المحتمل في الهيئة المحتملة، أو المحتوى المحتمل في الهيئة غير المحتملة))^(١)، ويكون استعمال هذه المرتبة في النصوص الأدبية والشعرية وتبرز في الاستعارات غير الأصلية والتشبيهات المفهومة^(٢).

وإعلامية هذه المرتبة تجعل المُتلقي متذوقاً للنص الأدبي والشعري عبر مفاجئته بوقائع متوسطة الغموض، إذ يرى المختصون أنّ النصّ الواقع في الدرجة الأولى يخلو من الإثارة والإمتاع والاهتمام، فيلجأ المُتلقي إلى رفع منزلته إلى المرتبة الثانية، أو ربما يحتاج إلى خفض المنزلة الإعلامية من المرتبة الثالثة إلى الثانية^(٣).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ (البقرة: ١٧٨)، فجملة الحرُّ بالحرِّ ارتبطت بجملة كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى، قال ابن عاشور ((وجملة الحرُّ بالحرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى بيان وتفصيل لجملة كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ، فالباء في قوله بالحر وما بعده، متعلقة بمحذوف دل عليه معنى القصاص والتقدير الحر يقتص أو يقتل بالحر إِنْخ))^(٤)، فقد حُذِفَ المتعلق من قوله (الحر بالحر)، وبهذا أصبح المحذوف عنصراً حافزاً للمُتلقي كي يحضر في النصّ ويسهم في تقديره، وهنا يدخل المُتلقي بوصفه مستقبلاً للنصّ ومسهماً في تفسيره،

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ٢٥١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥١، ونظرية علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ٦٨، والإعلامية أبعادها واثرها في تلقي النصّ: ٧٣ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٥، ومدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ١٩٠ .

(٤) التحرير والتتوير: ١٣٧ / ٢ .

وبذلك تغدو القراءة فعلاً معرفياً لا يخلو من الابتكار والتجديد^(١)، وبهذه التقنية يكون المبدع قد أفاد من الحذف بتحقيق الإعلامية وإشراك المُتلقّي في إنتاج النصّ.

وهذا يتطلب زيادة في التنبيه ويقظة لمعرفة أثر هذه المغايرة والمخالفة النحوية في إظهار إعلامية النصّ، فقد أدت إلى تغيير قيمة المعنى وتعميقه في ذهن المُتلقّي أو مستقبّل النصّ^(٢).

ومن مظاهر الإعلامية في الآيات الاجتماعية ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)، نلاحظ في النصّ المبارك تقديم ضمير المخاطبين وهو ضمير الأباء على ضمير الأولاد، وجاء العكس في قوله تعالى: ﴿وَكَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٣١)، إذ تقدّم ضمير الأبناء على ضمير الأباء، ونلاحظ أيضاً أنّ المفعول لأجله في الآية الأولى (من إِمْلَاقٍ) دلّ على أنهم في فقرٍ وعُدْمٍ واقعٍ وحاصلٍ، وهنا يقتضي تقديم الوعد برزقهم على الوعد برزق الأولاد، فجاء في الآية المباركة: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، أمّا المفعول لأجله في الآية الثانية (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)، فقد دلّ على أنهم في يُسرٍ؛ لأنّ الخشية إنّما تكون ممّا لم يقع أي: أنّ الفقر أو العُدْم لم يقع ولم يحصل، وهنا اقتضى تقديم الوعد برزق الأولاد على الوعد برزق الأباء، فجاء في الآية المباركة: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾. إذ رزقهم وقت الخطاب حاصل وهم إنّما يخشون الفقر^(٣)، فالأداء المغاير للمألوف أدى إلى رفع الإعلامية من خلال عدم توقع مستقبّل النصّ لهذه المغايرة، ما يجعله يفكر ملياً لفك شفراتهما وربط عناصرهما؛ ((لأنّ هناك معنى ظاهراً وآخر خفياً سمّاه معنى المعنى قد لا يصل المُتلقّي

(١) ينظر: التأويل والحقيقة قراءات تأويلية في الثقافة العربية: ١٨ .

(٢) ينظر: خطرات في اللغة العربية: ١٥٩ .

(٣) ينظر: تجليات التعبير اللغوي في النصّ القرآني: ١٠٦ .

إليه بسهولة ويسر ولا بدّ من أن يعمل عقله به^(١)، وهنا ارتفعت الإعلامية النصية في الآيتين المباركتين.

وأحياناً بمقدور منشئ النصّ الرفع من مرتبة الإعلامية إلى مرتبة أعلى منها، وإن كانت في موضع بعيد عنها باستعماله للكلمات الوظيفية، ومنها: (حروف الجر، الأدوات، حروف العطف) عن طريق تغيير الإجراءات، أو عكس الأدوار، وجعلها ترد في مواضع غير متوقعة، وليست مألوفة في سياق ما^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزقوهم فيها وَاكْسُوهم﴾ (النساء: ٥)، فقوله (وارزقوهم فيها) فما ألفنا عليه في لغة العرب أن يقول (وارزقوهم منها) ذكر العلماء إنَّ المعنى هو: اجعلوهم مكاناً لرزقهم، بأنَّ تستثمروا المال وتتجروا فيه، فلا يكون الإنفاق على اليتيم (أو السفه عموماً) من رأس المال فقط، فينقص مع مرور الزمن بل ينفق عليه من الربح كذلك، وأما وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارزقوهم مِنْهُ﴾ (النساء: ٨)، فقوله (فارزقوهم مِنْهُ)؛ لأنَّه لا تنمية هنا أو استثمار، إنما هو مالٌ يُعطاهُ من حضر قسمة التركة من غير الوارثين من أقارب وأيتام ومساكين^(٣)، ولا شك أنَّ هذا التوظيف للكلمات في غي موضعها، واستبعاد مجيئها، باعث على عدم توقعها، فهي ترفع من إعلامية النصّ من المتوقع والمبتذل إلى درجة أعلى من الجدة والتنوع.

(١) دلائل الإعجاز: ١٧١ .

(٢) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ٢٥١ - ٢٥٣ ، ومدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر:

١٨٧ - ١٨٩ ، والإعلامية في الخطاب القرآني دراسة في ضوء نظرية التواصل: ٣١ - ٣٢ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤ / ٢٣٤ ، ٢٥١ .

٢ . المرتبة الثالثة:

تتطلب هذه المرتبة من المُتلقي كثيراً من الاهتمام والتأمل، إذ تقع خارج توقعاته لذا أطلق عليها دي بوجراند: ((المحتوى غير المحتمل في الهيئة غير المحتملة، فمن شأنه أن يكون دائماً متسماً بصعوبة الإجراء ومثيراً للجدل الحاد))^(١).

ويمكننا أن نجد إعلامية هذه المرتبة في الوقائع الخارجة عن قائمة الخيارات المحتملة أو في الوقائع التي تحتاج إلى كثير من الاهتمام والمعالجة والتأمل إلا أن هذا النوع من الإعلامية يكون أكثر إمتاعاً.

فارتفاع مراتب الكفاءة الإعلامية للنص، متوقف على نقص الطابع النموذجي، فدرجة التعقيد تنتج عنها عدة مفارقات كالاستعارة، والمجاز، التي تزيد من كفاءة النص الإعلامية، أما إذا اعتاد المُتلقي تلك الاستعارات فإنها ستتحول إلى استعارات مية بمرور الزمن^(٢)، والأمر معكوس فربما تكون هناك ألفاظ واستعارات متعارف عليها في عصر من العصور ثم بتقدم الزمن تصبح من الاستعارات الصعبة كبعض الاستعارات التي نجدها في شعر عصر ما قبل الإسلام.

ومما يلاحظ على هذه المراتب أنها مراتب نسبية تختلف في فهمها من متلقٍ إلى آخر وبحسب وجهات النظر، فعلى سبيل المثال يجد متلقٍ في نص ما إعلامية من الدرجة الثانية، في حين يجد فيه آخر إعلامية من الدرجة الثالثة، فهذه المراتب لا تعتمد على قاعدة ثابتة، بل جل اعتمادها على مسألة التذوق الأدبي، ومقدار المعلومات المطروحة أمام المُتلقيين، حيث وجهات نظرهم مختلفة وتذوقهم للنصوص مختلفة كذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩)، فقد جرى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وموضعه (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) بلفظ الغيبة بعد أن كان بلفظ الخطاب في قوله (وَمَا

(١) النص والخطاب والإجراء: ٢٥١ .

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٦٨ .

أَيْتُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أُتِيتُمْ مِنْ مَرَكَاةٍ تُرِيدُونَ، ولم يقل فأنتم المضعفون، وأشار المفسرون إلى أن هذا الالتفات أفاد التعظيم لهؤلاء المنفقين^(١)، ومنهم من أشار إلى أن الالتفات للتعميم^(٢).

وقد جمع البيضاوي (ت ٧١هـ) بين الرائيين في قوله: ((وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظماً للمبالغة، والالتفات فيه للتعظيم كافة خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً بحالهم، أو للتعميم كأنه قال: فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون))^(٣).

إلا أن الزمخشري أخرج الالتفات في الآية المباركة للمبالغة في مدح هؤلاء القوم، إذ قال: ((وقوله تعالى فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ التفتات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من ان يقول: فأنتم المضعفون، والمعنى: المضعفون به؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى (ما). ووجه آخر، وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون، والحذف لما في الكلام من الدليل عليه، وهذا أسهل مأخذاً والأول أملاً بالفائدة))^(٤).

وبهذا الأسلوب قد كسر المتوقع عند المتلقي وحقق إعلامية عالية للنص بجعل المتلقي متشوقاً لا يشعر بالضجر والملل، فالنفوس لما جبلت عليه تميل إلى التغيير وتسأم البقاء على وتيرة واحدة.

ومن الأبواب اللطيفة في الالتفات، التفتات من الضمير إلى الاسم، وهذا النوع قريب من الالتفات من الغيبة إلى المخاطب؛ إذ يقترب الخطاب قريباً من الاسم، والغيبة تقترب من الضمير^(٥).

(١) ينظر: روح المعاني: ٤٦ / ١١ .

(٢) مدارك التنزيل: ٧٠٢ / ٢ ، وينظر: المدهش: ١٥ .

(٣) أنوار التنزيل: ٢٠٨ / ٤ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٩ / ١٤ ، والبحر المحيط: ٣٩٤ / ٨ ، والبرهان في علوم القرآن: ٣١٨ / ٣ ، والإتقان: ٢٣١ / ٢ .

(٤) الكشف: ٢٢٣ / ٣ ، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٦٢ / ٧ و ١٢٠ / ٨ .

(٥) ينظر: الالتفات في القرآن: ١١٠ .

وقد أسهمت الحروف من توظيف السبك النصي في رفع الكفاءة الإعلامية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣٤)؛ إذ نلاحظ الحرف (على) جاء معبراً عن الاستعلاء في (قَوَّامُونَ) جمع (قَوَّام) على وزن (فَعَّال) مبالغة قائم؛ ومعناه القيام بالأمر، والمراد به هنا الذي يقوم بشؤون المرأة وهو الزوج، إذن فقوامون تعني: الرجال الذين يتولون أمر النساء، والمراد بالرجال هنا خصوص الأزواج وبالنساء خصوص الزوجات^(١).

وليس المراد بالقيام على المرأة السلطة المطلقة، بل المراد أن له عليها نحواً من الولاية^(٢) إذن فالتعبير بالحرف (على) في القول القرآني جاء ليدلّل ثقل هذه المسؤولية وعِبَآهَا، ولاسيماً إذا عرفنا أن (على) تستعمل في الأفعال الشاقة المستتقلة^(٣)، وبذا ناسب مدلول هذا الحرف مهمة الرجال الفضلى في القيمومة على النساء بالرعاية والإنفاق والحماية والولاية. وقد ذكر الزمخشري أن قوامة الرجل على المرأة إنما تستحق بالفضل وليس بالتغلب والقهر والاستطالة^(٤)، ومن هنا جاء التعبير: (قام عليه): بمعنى تولى أمره.

ونقف أيضاً عند قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجَالٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَمْرُواجَكُمْ أَلَا تَتَّظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، فنجد لهذه القيود (الرجل، في جوفه، بأفواهكم) معاني دقيقة؛ إذ القلب لا يكون إلا في الجوف، والقول لا يكون إلا بالفم، ولكن لما كان المقام مقام إنكار وزجر لمن يظاهر زوجه قائلاً لها: أنت عليّ كظهر أمي، وتقدير عدم السوية بين الأدعياء والأبناء وقد كانوا يُسوون فيجعلون الدّعي ابناً، له ما للابن وعليه ما عليه من حقوق وواجبات النّسب، ولما كان الأمر كذلك، فقد ذكرت هذه القيود تأكيداً للإنكار والجرّ، ومبالغة في التقرير والتحقيق، ثمّ انظر إلى هذا القيد (الرجل) وتأمل الفرق بين الآيات

(١) ينظر: تفسير الكاشف: ٣١٥ / ٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣١٥ / ٢ .

(٣) ينظر: معاني النحو: ٤٩ / ٣ .

(٤) ينظر: الكشاف: ٢٣٤ / ٥ .

الكريمة: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾، وأن نقول: ما جعل الله من قلبين في جوف، فستره دقيقاً لطيفاً؛ لأنّ ذكر هذا القيد (الرجل) وتقييد الجعل به، أبلغ في الإنكار والزجر وأكد في التقرير والتحقيق^(١)؛ إذ قد يتصور في المرأة وجود قلبين في جوفها، قلبها وقلب جنينها؛ وذلك في أثناء الحمل، أما الرجل فلا يتصور وجود قلبين في جوفه بحال من الأحوال^(٢).

ومن شواهد الإعلامية أيضاً في الآيات الاجتماعية ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَامِرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠)، فالمتأمل في النصّ المبارك يجد ملامح البناء اللغويّ حاضرة في النصّ، عن طريق استعمال حرف المعنى (اللام) التي خصّ بها الجهات الأربع الأولى، والتي يجب أن تصرف فيها الصدقات: لكونهم أهلاً لها، وكذلك للتدليل على الملكية والأهلية والاستحقاق^(٣). بينما نلاحظ عدول الأسلوب القرآنيّ عن حرف (اللام) إلى حرف الوعاء (في) في المصارف الثلاثة الأخيرة؛ للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكرهم باللام؛ لأنّ (في) للوعاء فنّبه على أنّهم أحقّ ممن توضع فيهم الصدقات، كما يوضع الشيء في الوعاء^(٤).

وهذا العدول في الأسلوب أوحى ببناء النصّ وترابطه شكلياً ودلاليّاً وجماليّاً، وحقق جده واضحة وخرج للرتابة التركيبية ممّا جعل الإعلامية تكون مرتفعة من خلاله، وأسهم في تقبله وسرعة تلقّيه؛ لاعتیاد ((القارئ)) على الأعراف البلاغية واللغوية والتقييدات الثقافية التي يُنتج بها النصّ^(٥).

(١) ينظر: من بلاغة النظم القرآنيّ: ٦٣ .

(٢) ينظر: تجليات التعبير اللغويّ في النصّ القرآنيّ: ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في تراثنا اللغويّ والنحويّ، بحث التأنيق في الأسلوب القرآنيّ: ١١٣ .

(٤) ينظر: المثل السائر: ٤٩ / ٢ .

(٥) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ٣٤ .

المبحث الثاني

المقامية

يتناول هذا المبحث معيار المقامية وهي من المعايير التي تتفحص محيط النصّ الخارجي.

أولى اللغويّون منذ بواكير السبعينيّات اهتمامًا متزايدًا لأثر المقام في فهم النصّ^(١)، وإذا كان المعنى لا يتعين غالبًا إلا بمعرفة المقام، فقد عدّ بعض الباحثين المقام كبرى القرائن^(٢)، فمعرفة المقام الذي يقال فيه النصّ يساعد على كشف أوجه الدلالة لجملة غامضة أو مخالفة لعرف اجتماعيّ فيه، فيكون المحلل قادرًا على تحديد الحقائق المتّصلة بالموضوع ممّا يقدّمه المقام^(٣).

والمعنى المقاميّ مكوّن من ظروف أداء المقال التي تشتمل على القرائن الحالية المحيطة بالحدث اللغويّ، ويتمثّل في الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية وغيرها، إذ تحاط عملية التخاطب عادة بجملة من الظروف، والأحوال، والملابسات، التي تتكاتف جميعًا في التأثير في دلالة النصّ^(٤) على اعتبار أنّ ((النصّ اللغويّ في جملته إنّما هو نصّ في موقف))^(٥)، وهذا ما دفع علماء النصّ إلى رفض ما نادى به البنيويّون والشكلانيّون من قطع العلاقة بين النصّ وعوامله الخارجية^(٦).

لذا عُرفت المقامية بأنّها ((تتضمّن العوامل التي تجعل النصّ مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النصّ في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيّره))^(٧)، فالإلى جانب العلاقات الداخلية للنصّ هناك علاقات أخرى بينه وبين محيطه المباشر وغير

(١) ينظر: تحليل الخطاب، جون ويول: ٤٤ .

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٩ .

(٣) ينظر: المسافة بين التنظير النحويّ والتطبيق اللغويّ: ٣٥٦ ، والعلاقة بين النصّ والسياق: ٨٧ .

(٤) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيويّ: ١٣٥ .

(٥) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات : ١٠ .

(٦) ينظر: الترابط النصّي في ضوء التحليل اللسانيّ للخطاب: ٨١ .

(٧) النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٤ .

المباشر، وأنَّ الفصل بين هذه العلاقات أو إسقاط أيِّ منها أو إغفال أية علاقة سواء أكانت داخلية أم خارجية يؤدي إلى العجز عن إثبات وحدة الموضوع الكلية أو الاتساق الدلالي للنص^(١).

والسياق في عمومهما سياقان، سياق لغوي داخلي، وسياق غير لغوي خارجي أو ما يسميه بعضهم بالسياق الاجتماعي أحياناً، وهو يشتمل على أنواع من السياقات منها: سياق الموقف، والسياق العاطفي، والسياق الثقافي، ونحن في هذا المبحث سنسعى إلى تفحص السياق الخارجي غير اللغوي، لأنَّه هو المقصود بالمقامية؛ لأنها تعني بكلِّ ما يتعلَّق بخارج النص؛ وذلك لأهميتها في تحديد معنى النص، لأنَّ ثمة حدوداً تتطلب معلومات سياقية خارجية أثناء التأويل، فأسماء الإشارة والضمائر مثلاً قد تكون الحاجة ماسة إلى معرفة المقام النصي لمعرفة ما تحيل عليه^(٢).

والمقام من وجهة نظر هاليداي بنية سيموطيقية يتشكل من ثلاثة عناصر متغايرة هي: المجال والعلاقة والمنحى، ويقصد بالمجال اتخاذ النص وظيفته الدلالية من خلال الهدف الذي يرمي المتكلم تبليغه، ويقصد بالعلاقة هي تلك العلاقات القائمة بين المتكلم/المستمع، أما المنحى فيراد به الإشارة إلى الأداة الرمزية، والقنوات البلاغية المستعملة للتواصل^(٣).

ويمثّل المقام أحد الأبعاد التداولية المهمة التي تحقق نصية النص، ويعدُّ من المقومات البارزة التي تشارك في اتساق النص من الناحية الدلالية^(٤)؛ لأنَّ التداولية تُعنى بدراسة المعنى في علاقته بمقام الكلام، فهي تدرس الاستعمال اللغوي في السياقات المعينة، بل إنَّها تذهبُ إلى أبعد من ذلك فهي تعلق شتى مظاهر التأويل اللغوي على المقام^(٥).

(١) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٩٨ ، ودراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين النبوية والدلالة: ٩٤ .

(٢) ينظر: السور المفتحة ب(الحمد) دراسة في لسانيات النص، (رسالة ماجستير): ١١٤ .

(٣) ينظر: انفتاح النص الروائي: ١٨ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه: ٩٧ - ٩٨ .

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٢ ، والسور المفتحة ب(الحمد) دراسة في لسانيات النص: ١١٤ - ١١٥ .

نستشف من ذلك أنّ العلاقات بين التداولية ومفاهيم الموقف والمقام والاتصال علاقات وثيقة، فهي تعنى بالعلاقات بين بنية النصّ وعناصر الموقف التواصلية المتصلة به اتصالاً منظماً، وتعنى كذلك بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناضجة وملائمة للموقف التواصلية الذي يتحدّث فيه النصّ^(١)؛ لذلك أولى علماء لغة النصّ أهميّة بارزة للمقام في تفسير النصوص وبيان أوجه التماسك الدلالي الذي يكتنفها.

وفي هذا الضوء تتأكد ضرورة مراعاة المقام والاستناد إليه في التفسير والتحليل، وأنّ هذه الضرورة الملحة كان حضورها البارز في المدونة التراثية عامّة، وفي الدرس القرآني بشكل خاصّ.

ويتناول التحليل المقامي سياقات النصّ الاجتماعية والثقافية، وكذلك علاقته بالنصوص الأخرى الشبيهة له بالمعلومات التي يقدمها، وتقبّل المتلقّي لها وتفسيرها وغير ذلك، وكل ذلك تستدعيه وتجلوه معايير القبول، والقصدية، والإعلام، والتناص^(٢).

ولا يكتمل هذا النظر المتقدّم للنصّ من دون إبراز لدور المقام، وللمقام مكانته في علوم القرآن؛ لتناوله أكثر من علم يأتي على مقدّماتها علما: (معرفة أسباب النزول)، و(الناسخ والمنسوخ)، فالأول يمكن المتلقّي من معرفة العلاقة بين جزء محدّد من النصّ (آية أو أكثر) والمقام الخارجي الذي هو سبب نزول النصّ، والآخر يتمكّن المتلقّي من التأكيد على العلاقة القويّة بين النصّ والواقع، وارتباطهما، وبين تغيير الأول وثبات الأخير، وهو المقصد الأصليّ من تشريع الأحكام.

لقد انطلق الباحثون في علوم القرآن من وحدة النصّ الكريم، مصدراً وموضوعاً؛ حيث تماسك النصّ لغة وانسجم مضموناً وفقاً لمراد الله الذي تعهده بالحفظ على هذا النحو الذي ترتبت فيه الآيات والسور الترتيب الذي اقتضى تماسك كلّ دالّ مع ما يليه، أو كما يؤكد السيوطي متحدّثاً عن متانة سبك النصّ الكريم: ((فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته

(١) ينظر: علم لغة النصّ، النظرية والتطبيق: ١١٢ .

(٢) ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية: ٥٩ .

أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعني بعد المعنى؛ ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره^(١).

تقف مقاربات علماء القرآن على المؤسسات ذاتها التي شكلت جوهر نظرية الخطاب من الناحية اللسانية، أضف إلى ذلك أنهم لم يتوقفوا إزاء الطرح اللساني وحده، رغم انشغالهم البالغ به، ولكنهم -متجاوزين- (هايس) -اعتنوا عناية بالغة بتنزيل الخطاب في سياقه الثقافي والاجتماعي، فالنص اللغوي - في هذا المنظار - ذو بعد حجاجي واضح في خطاب المتلقي الذي سوف يتلقى منظومة محدّدة من الأوامر والنواهي التي يتحدد حظ المؤمن من التقوى بمقدار ما يتمسك بها، هذا الفهم الذي سيدرج حضوراً قاراً في البحوث اللسانية بعد ذلك.

فالخطاب -على نحو ما بدا في علوم القرآن- ذو طابع كليّ شامل، لا يتوقف على البعد اللساني وحده، ولا على البعد الاجتماعي والتاريخي الذي يعتبر النصّ انعكاساً لحركة الدلالة في التاريخ، ولا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدّد، ولكنّه يمزج بين هذه الأبعاد نظراً وتطبيقاً، فترى هذا مطوياً في ذاك، ولعلّ هذا الدمج بين الشقين ميز طرحهم، وجعله قادراً على البقاء والعطاء رغم توالي السنين.

وعلى هذا النحو تتحدّد الدلالة أصولياً، وبذلك تلتقي النصوص التقاء تتأكّد به وحدة النصّ وانسجام عالمه، ولا يكون ذلك بغير التقاء المقام الخارجي (أسباب النزول) مع البنية اللغوية والتركيبيّة للنصّ.

أ. أسباب النزول:

تمثّل أسباب النزول المقام الاجتماعي والتاريخي الحاف بالنصّ بها، ومن خلالها يُدرك المعنى وتُدقّق الدلالة، من دون أن يعني ذلك ارتباط الدلالة بالحدث المحدّد، وعدّ أسباب النزول أمر مرحليّ يحدد الفهم الأول، ثمّ يأتي بعد ذلك سياقات أخرى تتحدّد بها الدلالة وتثري، وبهذا يمكننا فهم تجدد هذا النصّ الكريم وصلاحيته لكل زمان ومكان، ومن أمثلة

(١) معترك الأقران: ٢٣ / ١ .

ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣)، وهي من الآيات التي يتوقف معناها على معرفة المقام، فقد كان القرآن ينزل منجماً، ومن المعروف أنَّ الأحكام الشرعية تنزل جملة أحياناً، وبالتدرج أحياناً أخرى، فظاهر الآية يعني أنَّ الخمر حلال، وربما مات بعض الصحابة وهم يتعاطون مطعوماً أو مشروباً حُرِّمَ بعد وفاتهم، وهذا يلتبس مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَنْزِلَامُ مَرْجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، فيستشكل ذلك أهلهم ويسألون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فينزل القرآن مبيناً ذلك الأشكال، وهنا يأتي دور المقام متمثلاً بأسباب النزول في إزالة هذا اللبس، فقد ذكر المفسرون أنَّ سبب

ذلك هو أنَّ الآية الأولى قد نزلت في أناس ماتوا وفي بطونهم الخمر^(١)، فبيّنت الآية المباركة من خلال المقام أنَّ لا جناح على من طعم أو شرب حراماً ما دام متقياً يعمل الصالحات قبل وفاته، ولولا المعرفة بأسباب النزول - وهو شكل من أشكال المقامية - لبقى الناس يحتجون بهذه الآية على جواز شرب الخمر؛ ومن هذا المنطلق يذهب دارسو النصية إلى أنَّ فهم النص، أو تأويله يعتمد على العالم الذي يحيل إليه النص، ويعتمد على قدرة المُتلقِّي على إدراك مرجعية النص^(٢).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٣٣)، فقد جاءت الآية لتعالج سلوكاً اجتماعياً كان متداولاً وهو ظاهرة البغاء، وحتى بعد مجيء الإسلام بقي بعض من في قلوبهم مرض يحرضون إماءهم على التكبُّب من البغاء، ومما يروى في هذا المقام: ((أنَّ رجلاً من قريش أُسر يوم بدر، وكان عند عبد الله بن أبي أسيراً، وكانت لعبد الله جارية يقال

(١) ينظر: تفسير مجاهد: ٢٠٣، وتفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٢-٥٠٣، وجامع البيان في تأويل القرآن: ١٠/

٥٧٧، والتبيان في تفسير القرآن: ٢٠/٧، والكشاف: ٣٠٨/٧، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٣٨/٣

(٢) ينظر: دليل الناقد الأدبي: ٢٦٢.

لها (معاذة)، وكان القرشيّ الأسير يراودها عن نفسها، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي بكرها على ذلك ويضربها لأجل أن تحمل من القرشيّ فيطلب فداء ولده، فقال الله تعالى: ﴿وَكَاتِبُهُمْ قَتِيلَةٌ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال: أغفر لهن ما أكرهن عليه^(١)، فالآية المباركة مقترنة بسلوك اجتماعيّ يحدّد الدلالة ليس على مستوى اللفظ فقط، وإنما باستحضار ذلك الفعل الشنيع الذي كانت العرب تمارسه، فجاء البيان القرآنيّ معالجة بالنهي والتوبيخ من جهة، ورافعاً الحرج على من أكرهنّ على هذا السلوك، ومبيّناً حقيقة الشرط الوارد في النصّ ﴿إِنْ أَمْرٌ دُنَّ تَحَصُّنًا﴾ فليس معناه: إن لم يردن تحصننا جاز لهنّ البغاء.

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مِرَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤) وأمّا السلوك الاجتماعيّ الذي ارتبطت به فمَنوعٌ، إذ يشير -من جهة- إلى التداخل اللغويّ بين العربيّة وغيرها من اللغات الساميّة، وذلك أنّ كلمة (مِرَاعِنَا) مشتركة بين العربيّة واليهودية كما جاء في سبب نزول الآية، وهي من جهة ثانية تشير إلى ما كان عليه اليهود من حسد وبغض وعداوة للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، فهم بسبب ذلك يسلكون كلّ السبل للنيل منه، ومن هذه السبل مخاطبته بأسلوب قبيح، فقد كان العرب يتكلمون بهذه الكلمة (مِرَاعِنَا) -وكان معناها عند العرب سليماً- فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أعجبهم ذلك، وكانت كلمة (مِرَاعِنَا) في كلام اليهود سبّاً قبيحاً، فقالوا: إنّنا كنا نسب محمداً سرّاً فالآن أعلنوا السب لمحمد؛ لأنّه من كلامهم، فكانوا يأتون النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقولون: يامحمّد. راعنا: (من الرعونة) ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادَة -وكان عارفاً بلغة اليهود- فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لئن سمعت رجلاً منكم يقولها لأضرب عنقه فقالوا: ألسنتم تقولونها له ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مِرَاعِنَا ۖ﴾^(٢).

(١) أسباب النزول، الواحدي: ٣٢٧ .

(٢) ينظر: أسباب النزول، الواحدي: ٣٣ - ٣٤ .

ومن أوجه الارتباط بين الآية والواقع الاجتماعي ما كان عليه اليهود من رهبة وخوف من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ((فكانوا يخشون أن يشتموه مواجهة فيحتالون على سبه من هذا الطريق الملتوي الذي لا يسلكه إلا صغار السفهاء، ومن ثم جاء النهي عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة))^(١).

ووجه آخر يربط بين الآية والسياق الاجتماعي وهو ما دأب عليه القرآن من تربية أتباعه على الالتزام بالسلوك النبيل والخلق الجميل فيما بينهم أو مع غيرهم، وأن يختاروا في خطابهم لبعضهم أو في خطابهم لنبئهم أجمل الألفاظ وأحسن العبارات.

ويأتي دور علم أسباب النزول في وضع الآية أو الآيات في مقامها الذي شكلته الوقائع التي أحاطت بها أو كانت سبباً لها.

وكان من نتائج هذا الفهم أن حددت الأدوات أو الآليات اللغوية التي بها تعمم دلالة النص أو تخصص، أو يرجح فيها على ذلك، ركوناً إلى تأسيس يرى أن تجاوز خصوصية السبب إلى عمومية الدلالة لا بد أن يستند إلى دوال في النص ذاته، تغلب جانب العموم فيه، فمن ((طبيعة اللغة أنها تعبر عن الوقائع تعبيراً رمزياً، فالوجود الفيزيقي للأشياء يتحول في اللغة إلى رموز صوتية، وهذا التحول لا يتم إلا عبر المرور من الوجود المادي إلى الوجود الذهني في المفاهيم والتصورات المشتركة. هذا على مستوى دلالة الألفاظ على مدلولاتها، فإذا انتقلنا إلى دلالة التراكيب كان تعبير اللغة عن الوقائع تعبيراً من خلال علاقات لغوية لها خصوصيتها))^(٢).

ومن مصاديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ إِذَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاهِهِمْ بَعِينٍ عَلِمَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ١١٩)، حيث يرى بعض المفسرين أن المقصود بهذه الآية ﴿وَقَدْ فَضَّلَ

(١) في ظلال القرآن: ١/ ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: ١٩٦ - ١٩٧ .

لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴿ هو ما ذكر في بداية سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُجِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَنْزَلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (المائدة: ٣)، ومنهم من يرى خلاف ذلك مستندًا في رأيه إلى المقامية الزمانية والمكانية، يقول الرازي: ((وفيه إشكالٌ وهو أنَّ سورة الأنعام مكيَّة وسورة المائدة مدنية، وهي آخر ما أنزل الله بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ يقتضي أنَّ يكونَ ذلك المفضلُ مُقدِّمًا على هذا المجلد، والمدنيُّ مُتأخِّرًا عن المكيِّ والمتأخِّرُ يمتنعُ كونهُ مُتقدِّمًا بلِ الأوَّلِي أن يُقالَ: المرادُ قوله بعد هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليلٍ إلا أنَّ هذا القدرَ من التأخير لا يمنعُ أن يكونَ هو المرادُ والله أعلم))^(١)، وذهب القرطبيُّ إلى ما ذهب إليه الرازي إلا أنَّه قدر تأويلًا للفعل (فصَّل) بـ(يفصَّل) فتكون دلالة الفعل الماضي بمعنى المستقبل فيزول الإشكال^(٢).

فالمجلد المشار إليه هنا يفصله نص آخر في موقع آخر، وهنا يتسع مفهوم النص، ليشمل القرآن كله، فالقرآن كلُّ واحد لا تلتقي فيه آخرُ آية بأول آية فقط؛ بل هو نص واحد لوحدته موضوعه.

ومن هنا نلاحظ استعمال المقام التاريخي في تفسير الآيات الكريمة من حيث هي وحدة نصية متماسكة؛ وهذا يعتمد على الرصد الواعي المُدرَك لطبيعة بناء السياقات والتراكيب اللغوية وحركة القرائن والمقامات داخلها وخارجها.

(١) التفسير الكبير: ١٣ / ١٢٩ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٧٣ .

وهنا يتدخل المقام المكاني والزمني في توجيه المجلد والمفصل المتعلق بالتشريعات الإسلامية في تأثير واضح لولاه لصاح المراد منها، أو ربما ستقيّد عامًّا أو تعمّم مخصوصًا، ممّا يؤثّر على تقبل القارئ للنصّ بسبب تساؤلاته النصّية التي قد لا يبني النصّ على إجابات ظاهرة لها.

ويمكن أن نلمح تناسب التشكيلة التركيبية للنصّ مع سياق الموقف في الآيات الاجتماعية في موضع آخر من مواضع هذا الخطاب الاجتماعي، كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُومًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢-١﴾ (المجادلة: ١-٢)، يتجلّى عامل المقامية بشكل كبير في هذا النصّ القرآني؛ إذ وقف على عادة اجتماعية سيئة من العادات الجاهلية عند العرب، ألا وهي الظهار، فالظهار حالة اجتماعية قد تطرأ على العلاقة الزوجية، فتكون فيها الزوجة أشبه بالمطلقة، بل ((كان من أشدّ طلاق الجاهلية))^(١) موجهًا الأمر بترك هذه العادة، وعدم إلزام الزوجة بها وتحزرها منها.

ولكونه من النصوص التي لها ((صلة بموقف مرتبط بواقعة ما))^(٢)، فقد كان وليد الواقع الاجتماعي وأعراف العرب آنذاك، ولعلّ المقامية (سبب نزول) الآية يبيّن هذه القضية؛ إذ روي عن ((محمد بن بكار، قال: فحدثني أنّ أسد بن مالك، قال: إن أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة، فشكت ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: ظاهر مني حين كبر سني، ورق عظمي، فأنزل الله تعالى آية الظهار))^(٣).

(١) التفسير الكبير: ٤٧٧ / ٢٩ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النصّ، دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: ٣٤ .

(٣) أسباب نزول القرآن: ٤٢٨ .

ويتحقق الظهار بعبارة (أنت علي كظهر أمي) التي يطلقها الرجل على زوجته، فتصبح فيها محرمة عليه، وعليه فإن هذه العبارة بما تحمله من دلالة لغوية وكنائية^(١) تكون فيها بحسب العرف إشعارًا بتحريم زوجته عليه^(٢)؛ ولكون هذه الحالة الاجتماعية تحمل من الأذى والضرر ما تحمله، فقد عمدت الشريعة الإسلامية إلى أن تعالج هذه الحالة، بإبطالها والنهي عنها، إنصافًا للزوجة، وتقويماً لسلوكيات العرب المسلمين الاجتماعية.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ألتبس الأمر لدى المسلمين في مسألة مال اليتيم بعد سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَكَأَن تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا...﴾ (١٠)، في عدم مخالطة اليتامى في أموالهم وكيفية معاملتهم، وظاهر النص القرآني هو سؤال الناس للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قلقهم واضطرابهم في آلية التعامل مع أموال اليتامى؛ حينما تلقوا إنذاراً شديداً للهجة في مسألة الأكل أو التقرب من أموالهم في الآيتين السابقتين، فذهب من كان عنده يتيم فعزل طعامه وشرابه^(٣)، وهنا كان للمقامية (أسباب النزول) أثر كبير في حل ما قد يبدو أشكالا أو تخفيفاً وتسهيلاً؛ إذ حددت المقامية مسار المقاربة النصية في معرفة الظروف الملازمة للآيتين السابقتين، فكشفت أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ...﴾ الدلالة الحقيقية للنص.

الذي يؤكد أهمية الوقوف على سياق الموقف (أسباب النزول) أنها توجه المتلقي إلى المعنى الصحيح، وتبعده من الخلط والاحتمال الذي يقع فيه الكثير من الذين يتجاهلون

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩ / ٤٧٩ ، وروح المعاني: ١٤ / ١٩٨ .

(٢) ينظر: الكشاف: ٤ / ٤٨٤ ، والتفسير الكبير: ٢٩ / ٤٧٩ ، وروح المعاني: ١٤ / ١٩٨ .

(٣) ينظر: الميزان: ٤ / ١٧١ - ١٧٢ ، ٢٠١ ، وتفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٩٦ .

أسباب النزول^(١)، ومن ذلك ما نجده من أثر سياق الموقف في تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُكُمْ وَأَتَمَّ لِلَّهِ الْعَمَلُ الْكَمِيلُ وَتَمْتَلِئُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَتُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسِينَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧)، نقل صاحب الميزان عن تفسير القمي عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنَّ الأكل والشراب محرمان في شهر رمضان بالليل بعد النوم يعني كلَّ من صلَّى العشاء ونام ولم يفطر ثمَّ انتبه حرم عليه الإفطار، وكان النكاح حرامًا في الليل والنهار في شهر رمضان ... وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سرًّا في شهر رمضان، فأنزل الله ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾، فأحلَّ الله تبارك النكاح بالليل من شهر رمضان، والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر لقوله: ﴿حَتَّى يَسِينَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.

وذهب حامد أبو زيد إلى أنَّ ((هذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النَّصِّ، يمكن كذلك الوصول إليها من داخل النَّصِّ، سواء في بنيته الخاصة، أو في علاقته بالأجزاء الأخرى من النَّصِّ العامِّ))^(٢)، فنَبَّه إلى وجود دوال أحيانًا داخل النَّصِّ يمكن أن يكشف تحليلها عن ما هو خارج النَّصِّ، ومن هذا القبيل أنَّ الصحابة ألتبس عليهم الأمر في بيان المقصود بالخيط، هل هو خيط الغزل، أم غير ذلك؟

وواضح أنَّ المقصود من الخيط الأبيض في الآية المباركة: هو بياض النهار، والخيط الأسود هو سواد الليل؛ وذلك من خلال قرينة التشبيه البلغية (مِنَ الْفَجْرِ)، فبيَّنت المقامية (أسباب النزول) المعنى الحقيقي للخيط حتَّى اتَّضحت الصورة لدى الصحابة^(٣).

(١) ينظر: آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النَّصِّ: ٣٢٨ .

(٢) ينظر: مفهوم النَّصِّ دراسة في علوم القرآن: ١١١ .

(٣) ينظر: أسباب النزول، الواحدي: ٤٩-٥٣، والميزان: ٥٠ / ٢ .

لذا يمكننا القول أنّ الدراسات القرآنيّة قدمت للدرس النصّي بعدًا سياقيًّا غاية في الدقّة، فلم تنظر إلى المقام -وهذا مهمّ- بوصفه وعاء فارغًا أو مجرد قابل لا فاعليّة له، بل كان للواقع الخارجيّ أثره في تشكيل النصّ عبر هذه الحالة من الجدل التي جعلت النصّ يتدرّج في تشريعه تبعًا لتدرج المجتمع وقدرته على تقبّل الفرض النهائيّ لهذا التشريع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد قدمت هذه الدراسات منطلقة من أسباب النزول قاعدة (عموم اللفظ) وهي بهذا تفتح المجال أمام العقل الباحث عن الشبيه والنظير، وهذا لا يكون من دون أنّ نأخذ في الحسبان هذه الحالة من الجدل بين النصّ وسياقه، فالنصوص في مثل هذا النظر تنطلق من الواقع لتعيد تشكيله من جديد^(١).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَنْزُوجَكُمْ اللَّائِي نَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، فالظهار والتبني، وجمع قلبين في جوف رجل، من أكاذيب ومزاعم الجاهليين العرب، فلم يكن معروفًا في آية شريعة من قبلهم، ولا في شريعة الإسلام، بل هي من هوى نفوسهم وممّا زينه الشيطان في عقولهم، فكانوا يزعمون أنّ الأريب اللبيب (جميل بن معمر) له قلبان؛ لأنّه كان حافظًا لما يسمع، فكانت قريش تقول: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلّا وله قلبان، وهو أيضًا يقول: إنّ لي قلبين أعقل وأفهم بكلّ واحد منهما أفضل من محمّد، وفي يوم بدر عندما هُزم المشركون وفيهم أبو معمر رآه أبو سفيان بن حرب، ماسكًا إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فسأله عن حال الناس من ورائه، وما بال إحدى نعليه في رجله والأخرى بيده؟

فقال له: لم أشعر بذلك.

ومن ذلك الحين أدركوا، أنّه لو كان له قلبان لما نسي إحدى نعليه في يده، فجاءت الآية الكريمة مفندة لما كانوا يعتقدون.

(١) ينظر: النصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن: ٩٦ .

ومما زعموا أيضًا مظاهره الرجل لامرأته، فقد روي أنّ أوس بن الصامت ظاهر زوجته خولة بنت ثعلبة، فذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسألته عن ذلك، فقال لها: (حُرمتِ عليه)، فقالت: إنّه لم يطلّقني، فأكد عليها الرسول: (حُرمتِ عليه)، فأصابها الحزن الشديد لصغر أولادها^(١)؛ لأنّه كان طلاقًا في الجاهليّة وهو في الإسلام يقتضي طلاقها منه أو حرمتها عليه إلى أداء الكفارة.

فكما لا يكون لرجل قلبان؛ لأنّ القلب معدن الروح الحيواني المتعلّق بالإنسانيّ أولًا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد، كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمّه حتّى يكون له أمان؛ لأنّه لا يمكن أن تجتمع الزوجيّة والأمومة في امرأة، وكذلك لا يكون الولد ابن رجلين، وكانت العرب تقول لزيد بن حارثة الكلبيّ، ابن محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنزل النّصّ القرآنيّ نافيًا أنّ يكون الولد المتبنّى ابنًا حقيقيًا يرث، كما يرث الأبن الأصل، وهذه إحدى عادات الجاهليّة، وقد أبطلها القرآن الكريم كذلك^(٢).

وفي هذا إشارة إلى قوة التأليف أو أنّ السياق هو الذي دعاه إلى ذلك، فإنّ ((البحث في النّصّ يستلزم النظر في سياق الموقف بشكلٍ نفعيٍّ مزدوج الاتجاه، فهو تارة يقدم للنّصّ

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٤ / ٢٢٤ - ٢٢٥، والمعجم الكبير: ١ / ٢٢٥، ٢٢٦، والرواية فيه: "حدثني خويلة بنت ثعلبة وكانت عند أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت قالت: دخل علي ذات يوم وكلمني بشيء وهو فيه كالضجر فرادته، فقال: أنت علي كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه، ثم رجع إليّ فأرادني على نفسي فامتعت منه، فشاددني فشاددته فغلبته بما تغلب به المرأة الرجل الضعيف فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تصل إليها حتّى يحكم الله في وفيك حكمه، فأتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشكو إليه ما لقيت منه فقال: "رَوْجُكِ وابْنِ عَمِّكِ فَاتَّقِي اللَّهَ" وانزل الله عز وجل قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا الْجَادِلَةَ (١) حتّى بلغ الكفارة، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "مُرِيهِ فَلْيَعْتِقْ رَقَبَةً" قالت: يا رسول الله والله ما عنده رقبة يعنتها قال: "فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ" قالت: يا رسول الله شيخ كبير والله ما به من صيام قال: "فَلْيَطْعَمْ سِتِّينَ مَسْكِينًا، قالت: والله يا رسول الله ما عنده ما يطعم قال: "سُئِعِيْنُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ" والعرق يسع ثلاثين صاعًا، قلت: وأنا أعينه بعرق آخر قال: "أَحْسَنْتِ مُرِيهِ فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ".

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٤ / ٢٢٤، ٢٢٥، والكشف والبيان: ٥ / ٧٧.

تبرير وجوده، وقصديته لأسبقيته عليه، ونزوع المتكلم منه، وتارة يكون سياق الموقف هو المبرر الدلالي للنص وفهمه واستجابة المخاطب له))^(١).

ويتجلى مفهوم السياق أو المقام في مجموعة المتلقين المسهمين في خلق النص وإنتاجه إيجاباً أو سلباً، يضاف إليها الظروف الخارجية المحيطة به من الزمان والمكان، فضلاً عن العلاقات الاجتماعية^(٢)، وهذا ما خلاص إليه (هاليداي) إلى أن سياق الموقف: ((يشير إلى كل تلك العوامل ما وراء اللغوية "غير اللغوية" التي لها بعض الوقع على النص نفسه...؛ لأن سياق الحال لا يعني كل شيء في المحيط المادي))^(٣).

(١) دلالة السياق: ٢٤٤ .

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٥١ .

(٣) الدلالة السياقية عند اللغويين: ١٩٩ .

ب . الناسخ والمنسوخ:

لعلم الناسخ والمنسوخ علاقة وطيدة بأسباب النزول، فلا يمكن معرفة الآية الناسخة من الآية المنسوخة ما لم يتم الإحاطة بشكل دقيق بمقام وتاريخ نزول الآية وترتيبها في النزول لا بالمصحف، ومما لا شك فيه أن الآية المنسوخة هي المتقدمة بالنزول والآية الناسخة هي المتأخرة، وإذا تعذر معرفة أي الآيتين أسبق نزولاً فإن هذا الأمر يوقع في إشكال، ولا يمكن -والحالة هذه- معرفة الآية الناسخة من المنسوخة^(١). فعلم الناسخ والمنسوخ يبرز الاهتمام بمقام النص الكلي أو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن؛ ذلك أن عناية المفسر به لا تتأتى من دون استحضار الآية المنسوخة والآية الناسخة، ويحصل ذلك بين آيات الكتاب العزيز.

ولعل النموذج الأشهر لذلك هو آيات تحريم الخمر على ثلاث مراحل هي^(٢):

١ . سورة البقرة قوله تعالى: ﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

٢ . سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣).

٣ . سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَنْزِلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

لقد كان للمقامية أثر كبير في هذه الآيات التي تدرجت مع الواقع، أو مع قدرة الواقع على الاستجابة للأمر الإلهي؛ فقد أشارت الآية الأولى إلى إجابة عن سؤال كما هو واضح من نصها (يسألونك)، مع الإشارة إلى الإثم والنفع في الخمر، وغلبة الأثم على النفع، وبعد ذلك تقدمت الآية الثانية بالنهي الجزئي عن شربها، ليصبح المجال مهيباً للآية الثالثة التي أمرت بشكل قاطع باجتنابها وعدم الاقتراب منها.

(١) ينظر: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: ١٢١ .

(٢) ينظر: مفهوم السياق في علوم القرآن: ١٤٠ .

وقد استعمل القرآن هذا المنهج في قضية شرب الخمر التي تُعدّ من أخطر القضايا الاجتماعية؛ لتأصلها في نفوس الناس، فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن أداء الصلاة في حالة السكر، وذلك قبل تحريم الخمر^(١)، لعلّة عدم العَلَم بما يقوله المصلّي^(٢)، ولما كان المراد من الصلاة الخشوع والتذلل، والشكر، جعل الله لعباده سبيلاً لتحصيل المراد، بأن جعلها حركات وأقوال منبهة للقلب وموصلة للمقصود^(٣).

وبهذا فإنّ على المصلّي تحصيل المقصد من الصلاة والتخلص من كلّ ما يدخل الاختلال عليه، أي اختلال العقل لأيّ سبب؛ للحفاظ على الصلاة من اختلال واقع أو متوقع، فإنّ المطلوب من المصلّي الإقبال على الله تعالى بقلبه وترك الالتفات إلى غيره، والخلو عن كلّ ما يُشوش عليه من نومٍ وحقنةٍ وجوعٍ، وكلّ ما يشغل البال ويُغيّر الحال^(٤).

وذكر الشاطبي: ((جعلت أجزاء الصلاة غير خالية من ذكر مقرون بعمل، ليكون اللسان والجوارح متطابقة على شيء واحد، وهو الحضور مع الله فيها بالاستكانة والخضوع، والتعظيم، والانقياد، ولم يخلُ موضع من الصلاة من قول، أو عمل، لئلا يكون ذلك فتحاً لباب الغفلة، ودخول وساوس الشيطان، وإنّ هذه المكملات الدائرة حول حمى الضروري خادمة له ومقوية لجانبه، فلو خلت عن ذلك أو عن أكثره لكان خللاً فيها^(٥)، وإنّ النهي عن ما يدخل الاختلال ضروري لحفظ الدين من جانب عدم، وهذا هو المقصد من الآية الكريمة.

ومما سبق ذكره من الأدلة الدالّة على حرمة بيع وشراء الخمر والمتاجرة بها؛ ولأنّها من البيوع المنهي عنها شرعاً تداولها ضمن المعاملات في التجارة يتّضح أنّ هذا التحريم من

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٨ / ٣٧٥، أحكام القرآن، الجصاص: ٣ / ١٦٦، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣، التبيان في تفسير القرآن: ٥ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٢) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي: ١ / ٥٧٥ - ٥٧٦ .
(٣) ينظر: محاسن الشريعة في فروع الشافعية: ٧٧ - ٧٨ .
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ٢٠١، أنوار التنزيل: ٢ / ١٤٢، التفسير الوسيط، الزحيلي: ١ / ٣٢٣ .
(٥) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة: ٢ / ٢٧٦ .

ضروريات حفظ المال من جانب عدم فضلاً عن كونه ضروري لحفظ العقل من جانب عدم ابتداءً ولحفظ الدين ثانيًا.

والحقيقة أنّ هذه النصوص غاية في الخطورة إلا أنّ تتبّع المقاميّة التي رافقتها في مراحل النزول كلّها، أثبتت أنّ الجدل مع الواقع هو ما يسمح بإعادة استعمال المنهجية ذاتها مع الوقائع الشبيهة أو النظيرة، وهو أيضًا ما يمنع تمسك البعض بالآية الأولى أو الآية الثانية من دون إدراك كليّ لهذه العلاقة الجدلية التي انتهت إلى الآية الثالثة التي حسمت الأمر.

هذا ويمكن أنّ تكون المقاميّة محدّدًا نصّيًا مؤثّرًا في معالجة عدد من النصوص التي قد يثار عليها إشكال بلحاظ شكلها الظاهريّ، وما يستتبع هذا الشكل من دلالات ظاهرة ومن المواضيع البارزة لتتبع هذا النوع من الأثر المقاميّ في تحديد الدلالات النصيّة، ما يمكن تلمسه في الآيات الاجتماعية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللّٰٓئِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللّٰٓئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤)، فهذه الآية المباركة هي من قبيل الآيات الناسخة لآيات أحكام المطلقة في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَسْرِعْنَ بِأُنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مِنْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وهنا حددت المقاميّة سبب نزول النصّ المبارك، ف ((عن أبي بن كعب قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من النساء، قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن الصغار والكبار (وأولاتُ الأحمال) فأُنزلت (وَاللّٰٓئِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ) (...))^(١). فعندما بينت سورة البقرة عدّة حكم المطلقة بثلاث حيضات^(٢)، سئل النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حكم المطلقة التي ليس بذات حيض، والحامل؛ فنزلت آية الطلاق ناسخة لها.

(١) أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول: ٢٦٩ .

(٢) ينظر: الكشاف: ١٣٢ / ٢ .

وهنا يبرز أثر المقامية موضحاً ومفصلاً في حكم المطلقة التي بلغت مبلغ اليأس، فتجاوزت العمر الذي تحيض به، والمطلقة غير البالغة، أي لم تصل سن المحيض ثلاثة أشهر^(١)، ف((كلتاها يصدق عليها أنها آيسة من المحيض، أي في ذلك الوقت))^(٢)، وقد اشتركن بهذا الحكم كونهن يتصفن بوضع مشابه.

أما من طُلقت وهي حامل فعدتها ((وضع الحمل لا أدل على براءة الرحم منها))^(٣)، أي وضع الجنين.

ومن المواضع التي يتجلى فيها المعيار المقامي في النصية الحديثة في الآيات الاجتماعية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَقِّنُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَمْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَمْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٠)، واضح من سياق الآية المباركة أن عدة الزوجة المتوفى زوجها أول الإسلام - أو قبله - سنة كاملة ((قال أبو عبد الله: ثم كان الرجل إذا مات أنفق على إمراته من صلب المال حولاً ثم أخرجت بلا ميراث ... وعنه قال: نسختها يَرِضُنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا "البقرة: ٢٣٤"))^(٤)، وهذه الآية مما وقع فيها الناسخ مقدماً من حيث ترتيب التلاوة على المنسوخ ولا إشكال ولا خلاف في ذلك عند المفسرين، قال الزمخشري: ((فإن قلت: كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة؟ قلت: تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل))^(٥).

(١) ينظر: الكشاف: ١١١٦ / ٢٨ ، التحرير والتنوير: ٣١٥ / ٢٨ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٤٩٩ / ٣ ،
الناسخ والمنسوخ، قتادة السدوسي: ٣٤ .
(٢) التحرير والتنوير: ٣١٥ / ٢٨ .
(٣) التحرير والتنوير: ٣٢٠ / ٢٨ .
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٥٥ / ٥ ، وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠٨ / ٢ ، وزاد الميسر:
٢٨٦ / ١ ، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢٦ / ٣ .
(٥) الكشاف: ١٤٠ / ٢ .

وهنا حددت المقامية تقدّم الناسخ على المنسوخ باتّفاق المفسّرين^(١)، وهذا يعني أنّ للمقامية (أسباب النزول) أثرًا وارتباطًا واضحًا في معرفة الآية الناسخة من المنسوخة، وفي ذلك يقول د. حامد أبو زيد: ((والمهمّ في تحديد الناسخ من المنسوخ هو ترتيب النزول لا ترتيب التلاوة في المصحف، ومعنى ذلك أنّ تحديد الناسخ من المنسوخ في آيات القرآن يعتمد أساسًا على معرفة تاريخيّة دقيقة بأسباب النزول وبترتيب نزول الآيات، وهو أمر ليس سهلًا كما نتصوّر))^(٢).

وواضح هنا أنّ المفسّرين أثبتوا الحكم الفقهيّ بموجب المقارنة بين الآيتين، أي بموجب ظاهر مقامهما فضلًا عن القرائن التاريخيّة المحيطة بهما، وعملاً بالنسخ فإنّ آية العدة هي التي يمكن الركون إليها أخيرًا بموجب المقام.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨ / ٣٢٠ والكشاف: ٢ / ٦٠٢ ، وجامع البيان في تأويل القرآن: ٥ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٠٨ ، وزاد الميسر: ١ / ٢٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن: ٣ / ٢٢٧ .
(٢) مفهوم النصّ: ١٢١ .

ج. السياق الدلالي:

تُعد ثنائية اللفظ والمعنى واحدة من الثنائيات اللغوية المهمة وأداة رئيسة لتحقيق التواصل الاجتماعي بين طرفين هما مرسل ومتلقي، فاللفظ يمثل مادة النصّ ومحتواه، في حين أنّ المعنى هو ذلك المضمون الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي، ولكن هذا المعنى لا يقتصر فهمه بالاستناد إلى التراكيب اللغوية فحسب، بل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإطار اللغوي الذي يحدد دلالة اللفظة أو الجملة، وكذلك يتحدد بالخلفية الذهنية والمعرفية لكل من المرسل والمتلقي^(١).

السياق لغة: يفصح الجذر اللغوي لمادة (سَوَق) في المعجمات العربية عن جملة من المعاني والدلالات التي مثلها سياقه اللغوي، فقد جاء في المقاييس: ((سَوَق: السين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو حَدُّ الشيء، يُقال: سَاقُهُ يَسوقُهُ سَوَقًا، والسَّيْقَةُ: مَا اسْتَبَقَ مَنْ الدَّوَابِّ ... والسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))^(٢).

وجاء في اللسان: ((سَاقُ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا سَوَقًا وَسِيقًا ... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت ... والمساوقة: المُتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسوقُ بَعْضًا))^(٣)، وفي المحكم ((وَبَنَى الْقَوْمُ بِيُوتِهِمْ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ))^(٤).

ولعلّ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) كان الأقرب إلى مفهوم السياق اللغوي في عرضه لهذه المادة نحو قوله: ((ومن المجاز ... هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مساقاة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده))^(٥)

(١) ينظر: المعنى خارج النصّ، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب: ٦ - ٧ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (سَوَق): ٣ / ١١٧ .

(٣) لسان العرب، مادة (سَ وَ ق): ١ / ١٩٤٢ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، مادة (سَ وَ ق): ٦ / ٥٢٦ .

(٥) أساس البلاغة، (س و ق): ٣١٤ .

يتضح من المادة اللغوية التي أوردتها المعجمات العربية أنّ البعد الاستعمالي للجذر اللغويّ (سَوَق) ينحصر في دلالات منها: التتابع والامتداد والطول، فيساق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله.

ويعرف السياق بأنه ((إطار عام تنتظم فيه عناصر النصّ، ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجُمْل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النصّ للقارئ))^(١).

السياق في الموروث اللغويّ العربيّ:

لم يكن علم النصّ هو المتخصّص الوحيد بدراسة هذا المعيار إنما كان محور عناية علماء العربية القدماء وهو ما يعرف عندهم بالسياق والمقامية أو الموقفية على خلاف في الترجمة^(٢)، وجميعها تعني ملاءمة النصّ للموقف^(٣).

لاقى السياق عناية ظاهرة عند اللغويين والمفسرين والبلاغيين، فقد بين اللغويون أن المعاني لا يمكن الوصول إليها إلا بمعرفة الظروف التي أحاطت بها، وفي صدد ذلك قال السيوطي (ت ٩١١هـ): ((إنَّ صورة السبب قطعية الدخول في العام، وقد تنتزل الآيات على الأسباب الخاصّة، وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق))^(٤).

(١) أثر السياق في فهم النصّ القرآنيّ: ٧٢ .

(٢) ينظر: النحو العربيّ بين نحو الجملة ونحو النصّ: ٢٠٨ .

(٣) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٣٤ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ١ / ١١٣ .

كما عُني البلاغيون بدراسة السياق بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي، واشتهر عنهم مقولة: ((لكل مقام مقال))^(١)، و ((لكل كلمة مع صاحبها مقام))^(٢).

وفي حديثه عن نظم الكلم يرى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أنه ما: ((يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو - النظم- الذي معناه ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء وانتق))^(٣). ومن هنا يظهر ((أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تتناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل))^(٤)، فالنظم عند عبد القاهر الجرجاني عملية عقلية تظهر آثارها بتنسيق الكلمات في تتابع يؤدي بيئاً قصده المتكلم، وهو معني بالسياق في علاقة الألفاظ بالمعاني أو المعاني بالألفاظ.

في حين جعل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) السياق اللغوي أساساً لمنهجه في (أساس البلاغة) حيث يورد الكلمة في سياقها^(٥)، كما اهتم به أيضاً في توجيه إعراب مفردات القرآن في تفسيره (الكشاف)^(٦)، كما تعرّض ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته إلى سياق الموقف، والموقف، وأسماء (بساط الحال)^(٧)، ولم يغفل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الظواهر غير اللغوية، بل

(١) كشف الخفاء: ١٩٢ / ٢ .

هذه الجملة جزء من قول الشاعر طرفة بن العبد معتزلاً: تصدق على هداك المليك ... فإن لكل مقام مقالاً، ينظر: الفاخر، للمفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٨٠هـ: ٣١٤، ونسبت أيضاً إلى ابن الأعرابي باختلاف بسيط، إذ استبدلت كلمة تحنن بتصديق، ينظر: مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان: ١٩٨ / ٢، ونسبت أيضاً إلى الحطيئة برواية تحنن، ينظر: المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م: ٢ / ٢٩٣، ونسبت إلى غيرهم.

(٢) البلاغة والأسلوبية: ٣٠٥ .

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٢ .

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٣ .

(٦) ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث: ٢٠١ .

(٧) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٢٤٤ - ٢٤٥ .

أشار إلى ذلك في حديثه عن الإشارة باليد والعين والرأس والحاجب والمنكب والثوب والسيف^(١).

أما المفسرون فقد عنوا منذ وقت مبكر بالسياق القرآني في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه العزيز، فكان في كتاباتهم حضور بارز إلى جانب القرائن الأخرى، كأسباب ومكان وزمان النزول واللغة والعموم، ومن أوائل الذين أسهموا في إبراز دور السياق الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) في كتابه (المفردات في غريب القرآن)، فقد أثنى الزركشي (ت ٧٩٤هـ) على منهجه، وهو يتحدث عن تفسير بعض آي القرآن، حيث قال: ((وطريقُ التوصلِ إلى فهمِهِ: النظرُ إلى مُفرداتِ الألفاظِ من لغةِ العربِ، ومدلولاتِهَا، واستعمالِهَا بحسبِ السياقِ، وهذا يَعْنِي بهِ الراغِبُ كثيرًا في كتابِ "المفرداتِ")^(٢). كما صرح ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) بعنايته بالسياق واعتماده في تفسيره، فقال: ((وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل ... ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جملته كأنها فَرَقَ متفرقة تصرف عن روعة انسجامه وتحجب عن روائع جمائه))^(٣).

ومن أبرز المفسرين المحدثين الذين جعلوا السياق عمدة التفسير سيد قطب (ت ١٩٦٦م) في كتابه (في ظلال القرآن)، ففي حديثه عن المنهج القرآني قال: ((إنَّ كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبرى، أنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية))^(٤).

إنَّ علماء العرب القدماء كانت لهم فكرة الأسبقية في إدراك أثر السياق في تحديد المعنى وبلوغه إلى ذهن المُتلقي، وقد أشار تمام حسان إلى ذلك بقوله: ((لقد كان البلاغيون

(١) ينظر: البيان والتبيين: ٧٧ / ١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٧٢ / ٢ .

(٣) مقدمة التحرير والتنوير: ٨ / ١ .

(٤) في ظلال القرآن: ١٢٤٣ / ٨ .

عند اعترافهم بفكرة المقام مُتقدِّمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم، لأنَّ الاعتراف بفكرتي المقام والمقال، باعتبارهما أساسيين من أُسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة^(١).

وظاهر كل ما سبق من أقوال العلماء العرب القدماء أن دراسات السياق ومراعاته عند تحليل النَّصّوص أمر لم تختص به الدراسات اللسانية الحديثة ولا مدارس تحليل الخطاب، بل هو متناوّل بكثير من جوانبه في الدرس القرآنيّ منذ بداياته الأولى، متطور بتطور الدراسات العربيّة القرآنيّة منها على وجه الخصوص، ولكن؛ يبدو أن المحدثين تناوّلوه في سياق نظرية مكتملة.

السياق في الدراسات الحديثة:

على الرغم من عدم وجود تعريف دقيق للسياق إلاَّ أنّه يطلق في الدرس اللغويّ الحديث على المحيط الذي ((يتضمّن العوامل التي تجعل النَّصّ مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النَّصّ في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره))^(٢).

فالسّياق له أثر كبير في تحديد المعنى المقصود، فبإمكان المحلل التنبؤ بما يقال عن طريق معرفة الظروف المحيطة بالنّصّ، والمقام الذي ورد فيه، فكل نصّ قابل للتأويل هو نصّ متسق ومترابط، ونسبة التأويل والفهم تتحد بنسبة الترابط والتماسك، وهذا دليل على إحالة دلالة الجمل على بعضها، وهناك علاقات دلاليّة تبني النَّصّ وتضمن له استقراره واستمراريته بحيث يؤديّ قصده وغرضه في سياق ما؛ ذلك لأنَّ العلاقات الدلاليّة لا تتضح إلاَّ من خلال السياق، لذا عدّ (هاليداي) السياق والنّصّ وجهين لعملة واحدة، وأنّ السياق بحسب مفهومه هو النَّصّ الآخر، أو النَّصّ المصاحب للنّصّ الظاهر، والنّصّ الآخر لا يشترط أن يكون قوليًا إذ هو يمثل البيئة الخارجيّة للبيئة اللغويّة بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثّل اللغويّ ببيئته الخارجيّة، ونظرًا لأنّ السياق يسبق في الواقع العملي النَّصّ

(١) اللغة العربيّة معناها ومبناها: ٣٣٧ .

(٢) النَّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٤ .

الظاهر أو الخطاب المتصل به، فقد رأى (هاليداي) أن يعالج موضوع السياق قبل أن يعالج موضوع النص^(١).

ويُظهر (جون لاينز) أيضًا اهتمامه بربط النص بالسياق كون النص ومحتوياته أمران متكاملان، فكلاهما يعضد الآخر ويقويه، ومن ثم فإن النصّوص تُعدّ مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بوساطة النصّوص التي يستعملها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة^(٢)، فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى النصّ، وبانعدام السياق يفقد النصّ انسجامه ومن ثم يفقد نصيته.

وتُعدّ النظرية الدلالية السياقية التي صرح بها (فيرث) الطريق الواضح لدراسة المعنى، والدلالة التي يستند عليها في تحديد المعنى، فالسياق يعمل على ضم المعاني المراد فهم بعضها إلى بعض ويصل بها إلى ذهن المُتلقي مستعينًا بالقرائن المصاحبة للحدث الكلامي سواء أكانت لفظية أم معنوية.

وفي السياق نفسه أوضح هايمس أثر السياق في الفهم بكونه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود وذكر ذلك قائلاً: ((إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما نستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق، التي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياق بأثره يستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق))^(٣).

وأقترح للسياق خصائص يمكن تصنيفها في ضوء العناصر الآتية، وهي: المتكلم (الكاتب)، المخاطب (المُتلقي)، الحضور، الموضوع (مدار الحدث)، المقام (زمان الحدث)

(١) ينظر: علم النصّ ونظرية الترجمة: ٢٩ .

(٢) ينظر: اللغة والمعنى والسياق: ٢١٥ .

(٣) تحليل الخطاب: ٤٧ .

ومكانه)، القناة (الكيفية)، النظام (اللغة أو اللهجة أو الأسلوب)، المفتاح، الغرض (القصد)^(١).

وعلى هذا الأساس، فإن محلل النص لا بد أن يأخذ بالحسبان الأبعاد السياقية للنص خاصة وإن بعض الأشكال اللغوية لا يمكن فهم ما تحيل عليه دون الرجوع إلى سياق تلفظها^(٢)، ومن هذه الأشكال المعينات مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، ذاك، فمن أجل تأويل هذه الأشكال حيث ترد في نص ما من الضروري أن تعرف -على الأقل- من هو المتكلم؟ ومن هو المتلقي؟ وزمان ومكان انتاج النص^(٣).

أما عن السياق في القرآن الكريم، نجد أن ((الخطاب القرآني يتجاوز في كثير من الأحيان الصيغة التصريحية ليلجأ إلى التلميح، وذل سياق الإشارة إلى إمكانية مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم، فتتحول الأفعال الكلامية بوجود جملة من القرائن المقالية والمقامية يختارها المرسل لتحقيق قصد معين، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فهم مقاصد القرآن من دون اللجوء إلى كشف القرائن والسياقات النصية التي ارتبط بها المقام لكشف المعنى الذي يسعى إلى تحقيقه، وهذه القرائن تؤدي وظيفة المرشد للتعامل مع هذا النوع من

ومن موارد السياق النصي في الآيات الاجتماعية، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، ولللفظة (البأس) في المعجمات اللغوية عدة معانٍ، وهي: الحرب، والفقر، والعذاب، والقتال^(٤).

(١) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٢ - ٥٣ .

(٢) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٩٩ .

(٣) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٩٧ .

(٤) دور السياق في فهم النص القرآني: ٣١٢ .

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (بأس): ١ / ٢١٤ ، والوجوه والنظائر: ١٧٥ .

وهنا يبرز دور السياق النصي ليكشف لنا المراد من تلك اللفظة في الآية المباركة، فابن عاشور يرى أنّ ((البأس النكاية والشدة في الحرب))^(١)، واستعمال اللفظة بهذا المعنى كان له أثر في إنتاج دلالة معينة لدى المُتلقي، وبذلك استمدت هذه اللفظة قيمتها من السياق الذي وردت فيه، فكان معناها جزءاً من معنى السياق جميعه.

وأيضاً ما ورد في سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا مَرْضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَمَرْضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، لفظه (الروح)، فإذا رجعنا إلى المعجمات سنجد أنّ للفظه الروح عدة معانٍ هي: جبرائيل (عليه السلام)، وروح الحيوان، والوحي، وملك عظيم من الملائكة، والأمر، والرحمة، والحياة، والريح^(٢)، وقد حدد ابن عاشور معنى الروح في الآية المباركة مستدلاً بالسياق النصي، فقال: ((والروح هنا: ما به كمال من عمل أو غيره، وروح من الله: عنايته ولطفه))^(٣)، أي: بلطف وعناية من الله تعالى تحيا به قلوبهم^(٤)، فالنصّ الكريم قد استعمل هذه اللفظة للدلالة على تقويتهم ونصرهم وتثبيت قلوبهم على الإيمان، بتأييد العناية والذات الإلهية، وهذا المعنى المقصود من خلال السياق النصي الوارد في الآية المباركة.

واللفظة في القرآن الكريم توحى بدلالات متنوعة، إذ ترتبط شفافيتها في النصّ القرآني ((بصورة أدبية خاصّة تنقل الظاهرة إلى المجال الحسي الذي يزيدها إحياءً وجلاءً على حد سواء))^(٥)؛ لأنها تخرج من إطارها المعجمي لتكون أكثر سطوعاً وألقاً داخل النصّ القرآني،

(١) التحرير والتنوير: ١٣٢ / ٢ .

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر: ١٠ ، ومعجم مقاييس اللغة، مادة (روح): ٢ / ٤٥٤ ، لسان العرب، مادة (روح): ١ / ١٦١٢ .

(٣) التحرير والتنوير: ٦١ / ٢٨ .

(٤) ينظر: الكشاف: ١٠٩١ / ٢٨ .

(٥) جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم: ٦٩ .

فالمفردة القرآنية كائن متجدد و متميز عن المفردة المعجمية، فهي في القرآن تكتسب شجوية روحية، فترسم حالة شعورية لها قيمة فنية في سياق النصّ القرآني^(١).

يتضح لنا من خلال هذه المقدمة الموجزة قيمة اللفظة داخل السياق النصّي للآيات الاجتماعية، إذ نستشهد بلفظة (قضى)، فقد وردت في القرآن الكريم تحمل دلالات مختلفة في عدة مواضع، منها: أَمَرَ أو وَصَّى، وأَرَادَ، وَحَكَّمَ، وَقَدَّرَ، وَقَضَى عليه: أَجَهَرَ عليه، وَقَضَاهُ: فَرَعَ مِنْهُ، وَقَضَى الأَمْرَ: فَعَلَهُ وَأَدَّاهُ، وكل موضع من هذه المواضع يحمل دلالة خاصة تبيّن لنا تلك الدلالة من خلال المعنى داخل السياق النصّي، ومن أمثلة ورودها في الآيات الاجتماعية. ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، فقضى من القضاء، وهو فعل ماضٍ بمعنى أَمَرَ^(٢)، تعني ((أمر أمرًا مقطوعًا به بأن لا تعبدوا إلا إياه))^(٣).

وقد ذهب إلى هذا القول أكثر من مفسر^(٤)، ويبدو ان قرينة هذا المعنى هو أَنَّهُ تعالى هو غاية التعظيم، ولا تجوز العبادة إلا له^(٥)، لذا أمر جل وعلا بعبادته، وقرن الإحسان بالوالدين مع عبادته؛ لبيان عظمة الوالدين وارتفاع منزلتهما عنده سبحانه^(٦)، وقد وظف السياق اللغوي النصّي في الكشف عن دلالة النصّ، إذ افتتحت هذه الآية بفعل القضاء اهتمامًا به؛ لأنّها تشتمل على جملة من الأحكام والوصايا، وأنّه ممّا أمر الله به من هذه الأحكام أمرًا جازمًا وحكمًا لازمًا^(٧)، ويلمح الدور السياقي للانسجام من خلال السياق اللغوي لللفظة (قضى)، فهي تضيف دلالتها داخل النظم القرآني مستفادًا من السياق، فهي غير

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير: ٢٠ .

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٣ / ٧ - ٣٤ .

(٣) الصافي في تفسير كلام الله: ٣ / ١٨٣ ، وينظر: الصحابي في فقه اللغة: ١٥٢ .

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧ ، والبرهان في تفسير القرآن: ٣ / ٤١٢ ، ومقتنيات الدرر: ٦ / ٢٢٩ ، والمعين: ٢ / ٧٠٣ .

(٥) ينظر: الصافي في تفسير كلام الله: ٣ / ١٨٣ ،

(٦) ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ٤٩ - ٥٠ .

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥ / ٦٦ .

المعنى الذي تُعرف به في المعجم، ((فالكلمات في التركيب تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات))^(١).

وفي سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَلَئَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ نُزِّنُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، مقابلة بين الضال والمهتدي، أي مقابلة بين الخابط في الظلمات ليس بخارج منها، وبين كان مَيِّتًا فَأَحْيَاهُ، وجعل له نورًا يمشي به في الناس مستضيئًا به^(٢). نلاحظ أن (النور) مفرد، وهو من أسماء الله تعالى ومن صفاته، وهو الظاهر الذي به كل ظهور، والظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا، وهو الضياء، والنور ضد الظلمة^(٣) التي هي خلاف النور وجمعها (ظلمات) واشتقاقها (الظلام) و (الظلماء) و (مظلم)^(٤).

والحياة والنور في الآية الكريمة دلالتها هي (الأيمان)، أما دلالة الموت والظلمات فهي الكفر، ((فالأيمان حياة القلوب، ونور البصائر، وضياء الدروب، وصحوة الضمائر، أما الكفر فإنه ظلمات متراكمة في قلب ميت))^(٥)، فلا يستوي من عاش بنور الأيمان وأحيا الله قلبه بنور العلم، مع من مات قلبه بداء الجهل، وظلمة العصيان، وقلبه متخبط بداء الكفر، متربي في دركاته.

وقد اختار القرآن الكريم (الظلمات) لأنها تتساقق وسياق الآية النصي؛ لأنّ الدلالة السياقية توحى بمقابلة ظلمات الظلال بنور الهدى، فالدلالة مؤسس على الاختلاف، حيث أن عناصر النصّ تكتسب المدلولية من خلال السياق النصّي الذي وردت فيه^(٦).

(١) البلاغة والأسلوبية: ٣٠٧ .

(٢) ينظر: الكشاف: ٦٠ / ٢ .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (نور): ٤٠٤٦ / ٢ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٦٠ / ٢ .

(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ٥٥٢ / ٢ .

(٦) ينظر: السياق وأثره في المعنى: ٤٨ .

وللسياق الصوتي أثر بارزاً في تحقيق الانسجام النصي، فقد يؤخر لفظ ويقدم آخر وهما من المتقابلات كتأخير لفظة (فخُور) وهو مقابل للمصعر خده، وتقديم لفظة (مختال) التي تقابل الماشي مرحاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُصَعِّرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَمَا تُمَسِّحُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨)، وذلك لتوافق رؤوس الآيات^(١)، فاهتمامه بالأثر الذي تحققه الفاصلة وقيمتها الصوتية الجمالية مقسمة السياق النصي القرآني إلى وحدات يسجل له كمجهود لغوي فقد تنبه إلى أثر الدلالة الصوتية في فهم المراد من كلام الله عزّ نكره. فالفواصل لها دور كبير في فهم النصّ القرآني؛ ((لأنّها حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني))^(٢).

والأصل في كلمة (ويل) في الآية الكريمة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١)، أن تكون مصدراً منصوباً بفعل مضمر (ويلاً)؛ إلا أنّه في هذه الآية جيء به مرفوعاً؛ ليكون الهلاك ثابتاً للمدعو عليه^(٣). وهذا ما يُظهر لنا أهميّة التحليل النحويّ في التفسير، فالمصدر حينما يذكر بحالة الرفع يكون المعنى ثابتاً وعماماً. فالمعنى الوظيفي ساعد على فهم السياق النصي.

إنّ الربط بين التقديم والتأخير والدلالة السياقية فلا بد من أن يكون هناك سببٌ يعتد به لتقديم لفظ وتأخير آخر، شرط أن تأمن اللبس، فقد عُرف عن العرب تقديمهم ما هو أكثر اهتماماً لديهم، ولذا قال سيبويه: ((كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهمّ ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويغنيانه))^(٤)، وهي كثيرة في القرآن الكريم عامة، والآيات الاجتماعية خاصّة، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرةً والله يقبضُ ويبسطُ وإليه ترجعون﴾ (البقرة: ٢٤٥)، بدأت الآية المباركة بسؤال (من

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٤ / ٢١٥، وينظر: مثل ذلك الآية: (٣) من سورة البقرة ، والآية: (٤٩) من سورة

الشورى، والآية: (٣) من سورة الضحى.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٣ / ٣٣٢ .

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٥ / ٢٩٤ .

(٤) الكتاب: ١ / ٣٤ .

يقرض الله)، فهل الله جل وعلا محتاج ليطلب القرض؟ وقد بين الزمخشري المقصود من ذلك بقوله: ((إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه، والقرض الحسن إما المجاهدة في نفسها، وإما النفقة في سبيل الله))^(١)، إذ نلاحظ سلاسة السياق في النص القرآني عن طريق الاستعارة بتقديم فعل الإقراض بدافع الإعطاء مؤكداً ذلك بالمفعول المطلق والنعته (قرضاً حسناً) تقوية للمستعار منه تكريماً للإنسان عندما يُقدّم، فجاء بـ(مَنْ ذَا) الشرطية المفعمة بالاستفهام والطلب تماشياً مع الندب للعمل الصالح، ولم يقل جل وعلا (انفقوا)؛ لأن الأمر في طلب الخير.

ومن هذا المنطلق كان طلب القرض منه جل وعلا وهو الغني المتعالي؛ ليعلمنا التربية الصحيحة عند الطلب، والتشجيع على عمل الخير جاء بـ(القرض) لما فيه من دلالة توقع الرد، فجاء جواب الشرط بالوعد بالمضاعفة، وهو مثل الشيء مرتين أو أكثر، وأكدته (أضعافاً كثيرة).

وفي سياق آخر قدم الفعل (يقبض) على (يبسط)، مع أنّ ظاهر الغرض من النص أنّ يحث الناس على الإنفاق، وتجنب البخل، فتقدّم القبض بياناً لما قبله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾، وكان هذا بسطاً، فلا يناسب تلاوة البسط، فتقدّم القبض لهذا وللترويج في الإنفاق؛ لأنّ الممتنع منه سببه خوف القلّة، فبين أنّ هذا لا ينجيه، فإنّ القبض مقدّر ولا بد^(٢)، فتظهر لنا رقة السياق في الخطاب القرآني في مراعاة الرصف النحوي للمخاطب.

ومن الأمثلة أيضاً لفظ (الإحصان) الذي يطلق على الحرية والعفاف والتزويج، لكن تحديد المعنى المقصود في النصّ يكون بحسب سياقه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥).

(١) الكشاف: ١٤١ / ٢ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٦٣ / ٣ .

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وهو يُبين (الإحصان) في هذه الآية وذلك من خلال سياقاتها حتى يحقق تماسكها فيطمئن على سلامة المعنى وحكمة النصّ الوارد في السياق بقوله: ((والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدلّ عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَائِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾، والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: "فَإِذَا أُحْصِيَ"، أي: تزوجن))^(١)، إذ إن لفظ (الإحصان) تحدد من خلال سياق الآية؛ وذلك أنّها إذا تزوجت الإماء وجاءت الواحدة منهنّ بفاحشة فلها عقاب، أمّا إن لم تحصن فليس عليهنّ حاكم ويقوم سيدها بتعزيرها وتأديبها؛ لأنّ الأمة عادة مبتذلة، لكن عندما تتزوج تصير محصنة^(٢)، فيكون من خلال توظيف السياق وتماسكه، يمكن ملاحظة فاعلية النصّ في تعدد رؤاه وتحققها.

ومن الأمثلة أيضاً كلمة (زوج) فالمعنى المعجمي يدلّ على أنّ الكلمة تستعمل في اللغة للمذكر والمؤنث بيد أنّها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهِنَّ أَنْهِنَّ وَإِنَّمَا مِيبَاتٌ﴾ (النساء: ٢٠)، نجد أنّ السياق يحدد معنى هذه اللفظة بـ(المؤنث) بدلالة القرائن اللفظية المصاحبة للنصّ؛ فالحديث في الآية موجه للرجال حصراً؛ لأنّه الزوج (الرجل) هو الوحيد الذي يمتلك الحق في استبدال زوج مكان زوج أخرى، أي له الحق في استبدال امرأة مكان أخرى، وما يعزز أنّ لفظه الزوج تدلّ على المرأة (المؤنث) هو القرينة اللفظية في الجملة التي بعدها قوله (وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا)؛ ذلك بأنّ الإتيان لا يكون إلّا الى المرأة، لأنّ معنى الإتيان - هنا - هو المهر، وقد شدد سبحانه في الآية على عدم أخذ شيء منه البتّه، باستعمال النهي الصريح بـ(فَلَا تَأْخُذُوا) تارة، وبدلالة مجيء لفظه (شَيْئًا) نكرة في سياق نفي تارة أخرى؛ إذ دلت على العموم بمعنى أنّه لا يجوز أخذ أي شيء من جنس مهر المرأة عموماً، ثمّ عظم أخذه باستفهام إنكار وتوبيخ

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٢٩، وينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٣٩ .

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (الخواطر): ٤ / ٢١٢٥ .

فقال: (أَتَأْخُذُونَهُ) أي على ذلك الوجه، والجمله مقررة للجمله الأولى المشتملة على النهي، وفي هذا توثيق وتنبية واضح على أداء حق المرأة كاملة ويدلّ أيضاً على أنّ المرأة مساوية للرجل في عمليّة وجوب اعطاء حقها، وإذا كان مدار الحديث عن المهر كان نسبة لفظ (زوج) تدل على المرأة (المؤنث)^(١).

ومن خلال النظر في سياق الآية كان هذا الترجيح الدلاليّ على الوجه الذي يليق بجلال النظم القرآنيّ؛ لأنّ ((توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدلاً عنه))^(٢).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل: ٩٢).

مطلع الآية الكريمة (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها...)) في سياق الحديث عن ((النقض ويقابله الإبرام إفساد ما أُحکم من حبل أو غزل بالفتل، فنقض الشيء المبرم كحلّ الشيء المعقود، والنكث النقض))^(٣) فوجه المقارنة في هذه الآية الكريمة يتملّ في الربط بين نقض العهد، ونقض الغزل مع الاستعانة بأداة التشبيه (الكاف) في لفظة (التي)، فالله - سبحانه وتعالى- شبّه نقض الإيمان بنقض الغزل بعد إبرامه وإحكامه، إذ لا تخلو الآية الكريمة من خطاب اجتماعيّ ينصّ على الوفاء بالعهد، وعدم نقضه؛ لأنّه واحد من المبادئ الأساسيّة للسلوك الإنسانيّ التي وجب على الإنسان التحلّي بها، ذلك أنّ في نقض العهد انهيار للبناء الاجتماعيّ، ومثار تمرّق وتشتّت، ومدعاة لانعدام الثقة بين الناس، وهذا كلّه يقود إلى انهيار المنظومة الإنسانية برمّتها، وإدخال المجتمع في فوضى وضياح دائم؛ لذلك حدّثنا الباري - عزّ وجل- من إخلاف العهد ونقضه؛ ((لأنّه سبحانه يريد أن يصون مصالح

(١) ينظر: روح المعاني: ٢ / ٤٥٢ ، وفتح القدير: ١ / ٥٠٧ - ٥٠٨ ، وتفسير الخازن: ٢ / ٥٨ ، ومن أسرار

التعبير في القرآن: ١٠٤ - ١٠٦ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٦ / ٩١ .

(٣) الميزان: ١٤ / ٣٣٥ .

الخلق؛ لأنها قائمة على التعاقد والتعاهد والأيمان التي تبرم بينهم، فمن خان العهد أو نقض الأيمان لا يُوثق فيه، ولا يُطمأن إلى حركته في الحياة، ويُسقطه المجتمع من نظره، ويعزله عن حركة التعامل التي تقوم على الثقة المتبادلة بين الناس))^(١)، لذلك حرص القرآن الكريم على التأكيد على المضامين الاجتماعية، فكان للمقارنة دور كبير في تصوير حالتها الإيفاء بالعهد ونقضه.

هنا أثر الله -عز وجل- هذا ((الأسلوب من ضرب الأمثال على غيره؛ لأنه يعلم سبحانه ما له من تأثير في قلوب السامعين وعقولهم))^(٢)، وقد جاء في معنى أربي الزيادة، أي ((لا تتقضوا الأيمان من أجل أن تكونوا أربي من غيركم أي أزيد خيراً))^(٣)، فهو اسم تفضيل من الرُبُو بوزن العلُو، أي بمعنى الزيادة، وقد تخرج هذه اللفظة -أربي- إلى معانٍ حقيقيّة مثل: كثرة العدد، أو مجازية كرفاهية الحال وحسن العيش، وهي في هذه الآية الكريمة أعطت تلك المعاني كلّها^(٤)، فوجه السياق في هذه الآية قد تمّ بين أمتين بوساطة اسم التفضيل أربي والمقارنة بينهما، فقد حققت اتساقاً نصياً وترابطاً دلاليّاً بين جملة (إن تكن أمة هي أربي من أمة) وجملة (ولا تكونوا كالتّي نقضت غزلها) لنعطي معنى شاملاً لما يرمي إليه السياق في النصّ القرآنيّ ككل.

ويظهر السياق في النصّ القرآنيّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

(التوبة: ١٠٣)، باستعمال لفظة (الزكاة)، إذ كانت قبل الإسلام بمعنى النماء^(٥)، ولما جاء الإسلام استعملت كلمة (الزكاة) مجازاً في القرآن الكريم للتعبير عن العطاء والمنح لمن إزداد ماله، فأغدق بالإحسان على غيره، فأصبحت عبادة معيّنة، ليست فقط إحسان محسن، أو صدقة يتطوع بها لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وإنما هي حق معلوم، وواجب شرعيّ وضريبة مقدرة على كل من يملك نصّاباً محدّداً من المال حال عليه الحول، زائداً عن الحاجات

(١) تفسير الشعراوي: ١٣ / ٨١٧٩ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ١٤ / ٣٧٩ .

(٣) المحرر الوجيز: ٣ / ٤١٨ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤ / ٢٦٦ .

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (زكا): ١ / ١٦٧٩ .

الأصلية لمالكه^(١)، وتُعد- الزكاة - ركن من الأركان الأساسية للعبادة؛ لذا جاءت مصاحبة في أكثر من آية مع (الصلاة)^(٢) لما لها من أهمية بالغة. وليس هذا فحسب، بل أصبحت (الزكاة) حقًا معلومًا لله فيما أنعم به من مال أو تجارة، أو زرع، يدفع إيمان المرء إلى أدائه، بنفس طيبة، يكسب رضا الله والناس، وتجنبه النار، وقد اكتسبت دلالة اجتماعية جديدة وفق العبادة الجديدة^(٣).

ومن أمثلة السياق ما يلحظ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، فالآية جاءت في سياق بيان عقد النكاح، ونجد أنّ السياق، قد استعمل لفظة (عقدة) من (عقد)، و (العقد): الإبرام، وهو نقيض (الحل)، ومنه (عقدة النكاح)، و(عقدة البيع)، وقد وردت هذه الصيغة في القرآن ثلاث مرات على سبيل الاستعارة^(٤)، فأخرجت المعنى الذهني في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، أي: هو الرابطة التي تربط بين قلبي الزوجين في صورة حسية مجسدة، لتأكيد قوة العلاقة بينهما، فشبهت الرابطة الزوجية برباط مادي محسوس يعقد، يتمثل بـ(العقدة) وهي كناية عن الارتباط المقدس الذي أقره وقتنه القرآن الكريم، ففيها دلالة موحية تشير إلى أهمية الرابطة الزوجية بين الرجل والمرأة^(٥).

ومن لطائف الاستعمال القرآني لكلمة (المس) جعلها لفظة للدلالة على العلاقة بين الزوجين (الجماع)^(٦)؛ إذ يكتفي الله تعالى عن إتيان المرأة من قبل الرجل بألفاظ منمقة وسامية وسامية تتضمن معاني التأدب التي حثنا الإسلام عليها، فتشير إلى الدلالة المبتغاة، وتحفظ

(١) العبادة في الإسلام: ٢٠٦ .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٣٣٦ .

(٣) ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني، دراسة بلاغية: ١١٦ .

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٧٠ .

(٥) ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني: ١٣٠ .

(٦) ينظر: الوجوه والنظائر: ٢٥٦ .

في الوقت نفسه هيبية التعبير، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهَا فَلَسِعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٩)، فلما دل فعل النكاح على العقد، وتضمن الإشارة إلى الشدة، فإن سياق الآية يوحي باستعمال فعل (المس) باللين والسلاسة، وكأن الممارسة، المعبر عنها بقوله تعالى (تمسوهن)، ممارسة رقيقة تتم عن عاطفة ومودة ورحمة وتحنن بين الزوجين، فكأنما (المس) هنا مسٌ روعي، فضلاً عن كونه مادياً^(١).

وبهذا نصل إلى أن للسياق اللفظي حاكمية على الدلالة فهو يوجّه اللفظة بحسب حاجته منها، وعلى وفق ما تحمله اللفظة من دلالة معينة، مما يدلّ دلالة قاطعة وثابتة على أهميّة السياق، ودوره الفاعل في تحقيق اتّساق النّصّ وتماسكه من جهة، وعلى تفاوت تلك العناصر حسب أنواع النّصوص واختلافها من جهة أخرى.

د. ألفاظ العرب في الجاهلية (الأنساق الثقافية):

بالإضافة إلى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ هناك بعض الألفاظ التي توحى بأنساق ثقافية لها أثر في بنية الإنسان المعرفية والتي لا يمكن معرفة معناها بالرجوع إلى المعجم؛ والسبب في ذلك يعود إلى أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب متمثلة بعاداتهم وتقاليدهم، فما كان للمفسرين إلا بالرجوع إلى تلك العادات والتقاليد لمعرفة المقصود من هذه الألفاظ.

ومن هذا التوجه ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَكَا سَائِبَةٍ وَكَا وَصِيلَةٍ وَكَا حَامٍ وَكَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ١٠٣)، فالألفاظ (بحيرة، وسائبة، ووصيلة) تشير إلى عادات ثقافية جاهلية تمثل إرثاً ثقافياً تشاغلته به الأجيال حقبة زمنية طويلة ثم خمدت^(٢)، جاء في تفسير الكشاف ((كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذننها، أي شقوها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن

(١) ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النّصّ القرآني: ١٧٧ .

(٢) ينظر: الأنساق الثقافية في القرآن الكريم، دراسة في معالم النّصّ القرآني في ضوء المنظومة السياقية: ٥٠ .

ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعبي لم يركبها، واسمها البحيرة، وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبداً قال: هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث. وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، فإن ولدت ذكر وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم. وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى. ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر بالتبجير والتسييب وغير ذلك، ولكنهم بتحريمهم ما حرّموا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم^(١).

و(البحيرة)، قيل: إن البحيرة هي الناقة التي أنجبت خمسة أبطن كان آخرها ذكراً. أما (السائبة) فهي التي يخلى سبيلها فتسيب، إذ كان من عادتهم في الجاهلية أن يخلوا سبيل بعض مواشيهم فيحرم الانتفاع منها وذلك إذا نذر نذراً كشفاء من مرض أو عودة من سفر، أما (الوصيلة) فهي الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإذا كان السابع ذكراً ذبحوه للآلهة وكان لحمه حلالاً على الرجال من دون النساء، أما إذا كان أنثى فهو لهم، وإذا ولدت ذكراً وأنثى لم يذبحوا الذكر لآلهتهم؛ لأن الأنثى قد وصلت الذكر، وقيل: أن الوصيلة هي الشاة إذا أنجبت في خمسة أبطن تباعاً عشر إناث من دون أن يكون فيها ذكر، أما (الحام) فهو الذكر المعمر الذي نتج من صلبه عشرة أبطن فيحرم الانتفاع منه؛ لأنه حمى ظهره - كما يقولون - ولا يمنع من ماء ولا مرعى^(٢).

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَكَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَكَالْهُدِيِّ وَكَالْأَعْنَابِ وَكَالْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَمِنْ مَرْضُونٍ﴾ (المائدة: ٢)، رجع المفسرون إلى عادات العرب وتقاليدهم لمعرفة المقصود من هذه اللفظة أو المفردة، فذكروا أن المقصود بـ (القلد): السوار؛ لأنها كالقلادة للبدن، و(القلائد) ما كان يتقلد به الناس قبل الإسلام من لحاء الشجر

(١) الكشاف: ٣١٢ / ٧ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١١ / ١٢٣ - ١٣٣ ، والتبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٣٨ ، والكشاف: ١ /

٧١٧ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٣ / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

إذ أرادوا الذهاب إلى الحج، وهذا لمن كان من أهل الحرم، ومن لم يكونوا كذلك فانهم يتقلدون بقلادة من الصوف والشعر. وقيل: إنهم كانوا يتقلدون بلحاء الشعر إذا أرادوا الذهاب إلى البيت الحرام وقلادة من الصوف والشعر إذا أرادوا العودة من البيت الحرام، وهذه القلادة هي أمان لصاحبها، إذ لا يجوز في عرفهم وتقاليدهم أن يتعرض أحد لشخص وهو متقلد بهذه القلادة وإن كان بينهما عداوة أو ثأر؛ لأن ذلك يعدّ انتهاكاً لحرمة البيت الحرام^(١).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَسْرَامُ مَرْجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، فأما (الميسر) فهو القمار، وسمي بـ(الميسر) من اليسر الذي هو خلاف العسر، لأنهم كانوا يعتقدون أن من يشارك في الميسر فإنه سوف يبسر في عمله، و(الأنصاب) هي الأصنام، وإنما سميت بـ(الأنصاب) لأنهم كانوا ينصبونها للعبادة، و(الأزلام) عبارة عن سهام مكتوب على بعضها (أمرني ربي)، وعلى بعضها الآخر (نهاني ربي)، وبعضها ليس عليه كتابة، إذ كان من عادتهم في الجاهلية إذا أرادوا الخروج لغزوة أو سفر أو تجارة أو لنكاح أو لأي أمر آخر عمدوا على هذه السهام فإذا خرج السهم المكتوب عليه (أمرني ربي) قام بالعمل، وإذا خرج السهم المكتوب عليه (نهاني ربي) امتنع، وإذا خرج السهم الذي ليس فيه كتابة (الغفل) أعاد الكرة مرة أخرى^(٢).

ويبدو أن ذكر هذه الأنساق لم يكن مقتصرًا على إرادة نفيها المرتبط بزمن معين، إنما جاء تثبيتها منه - أي المبدع - لما كان ويكون، فالاعتبارات المتعلقة بسيرورة الفكر الإنساني التي نتجها في حقب زمنية متعددة من التاريخ إلى إنتاج ذات العقائد الفاسدة تحت مسميات متنوعة، من هنا فقد نفاها الخطاب القرآني مسفها أصحابها.

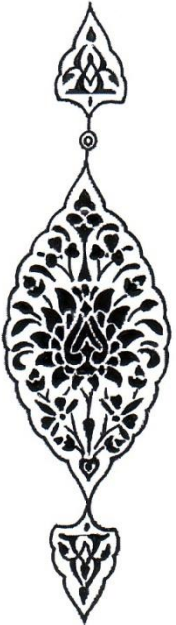
(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٩/ ٤٦٨ - ٤٧٠ ، والتبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤٢٠ ، والكشاف: ١/

٦٣٦ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٤/ ٣٢١ - ٣٢٥ ، ٩/ ٥١٠ ، ٢٣/ ٦٢٤ ، والتبيان في تفسير القرآن:

٧/ ١٦ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦ .

الخاتمة



الخاتمة وأبرز نتائج البحث

بعد هذه الرحلة المعرفية الطويلة، في مضمار الآيات القرآنية الاجتماعية في ضوء اللسانيات النصية، نحط رحالنا في خاتمة هذا البحث، ونفصح عن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث؛ وهي:

١. شغل النص مساحة واسعة من عناية اللسانيين، على الرغم من التباين في مذاهبهم الفكرية التي ينطلقون منها، إلا أن هناك قاسماً مشتركاً بين كل هذه التعريفات، وهو التأكيد على خاصية ترابط النص وضرورة النظر إليه على أنه وحدة لغوية مترابطة الأجزاء شكلاً ومضموناً.
٢. أكدت الدراسة أن نظريات العرب القدماء في التراث البلاغي والنحوي والشعري كانت حافلة بالإشارات النصية إلا أنها لم تكن مصطلحات قارة وجلية كما عرفها علم النص الحديث، فقد أضفى عليها المحدثون صفة النصية بمصطلحاتها العلمية الدقيقة.
٣. مثل الخطاب الاجتماعي بنية نصية ووحدة دلالية مترابطة تحتل مقاييس النصية ومفاهيمها، وقابلة لتطبيق معاييرها جميعاً، فالنص الاجتماعي نص انطلاقاً من الرأي القائل إن النص قد يكون جملة، أو كلمة، أو أقل من ذلك.
٤. لقد عالج القرآن الكريم القضايا الاجتماعية بدءاً من أصغر وحدة كالفرد والعائلة وما يتعلق بهما من وحدات، انتهاءً بأوسع المركبات الاجتماعية متمثلة في الدولة ومؤسساتها، وكذلك علاقة المجتمع الإسلامي مع غيره من المجتمعات الأخرى، والعلاقات العامة التي تنظم الحياة الاجتماعية مع الديانات الأخرى.
٥. وقفت الدراسة عند الإحالة بوصفها من أكثر عناصر الاتساق حضوراً في الآيات الاجتماعية عن طريق انتشار الأدوات الإحالية فيها سواء أكانت ضمائر أم أسماء إشارة أم أسماء موصولة، والتي شاركت بربط أجزاء النص القرآني وإظهار تماسكه؛ إذ تسهم في إيجاز الكلام عن طريق الاقتصاد اللغوي من خلال ابتعاد المتكلم عن تكرار ألفاظه والاستعاضة عنها بما يحيل عليها، فلا تكاد تخلو آية من ضمير أو اسم إشارة أو اسم موصول تربطها بمواطن أخرى من النص.
٦. شكّل الحذف ظاهرة لغوية عرفها اللغويون العرب القدماء وعرفوا قيمتها السياقية، وهي من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية، لقيامه بوظيفتي الاختصار

والإيجاز، وتُمثّل هذه الظاهرة في اللسانيّات النّصيّة بأنواعها المتعدّدة عنصراً من عناصر تماسك النّصّ، وقد تنوعت المحذوفات في الآيات الاجتماعيّة بين حذف الاسم، وحذف الفعل، وحذف الجمل، وحذف الحرف، ممّا يسهم في الربط بين أجزاء النّصّ التركيبيّة واتّساقها بوجود الدليل على المحذوف.

٧. وقفت الدراسة عند أداة مهمّة من أدوات الاتّساق وهي الاستبدال بأنواعه الثلاثة (الاسميّ، والفعليّ، والحرفيّ)، ووجدنا أنّها وسيلة من وسائل التماسك النّصيّ تعتمد بنسبة كبيرة على ذكاء المتلقّي وفطنته ليتسنى له فهمها وإدراك مقاصدها الدلاليّة، وأغنت عن تكرار العناصر المُستبدلة لتبقى مستمرة بحضورها في ذهن المتلقّي بالرجوع إلى المذكور السابق والربط بينهما.

٨. شكّلت ظاهرة الوصل (الربط) بأنواعها المتعدّدة إضافة أخرى للاتّساق النّصيّ، وجسراً رابطاً بين أجزاء النّصّ من خلال الانتشار الواسع لأدوات العطف، فقد ساعدت على توسيع دلالات الخطاب الاجتماعيّ، وعملت على رصف مكّونات النّصّ من خلال معانيها الكثيرة وألوانها النّصيّة المتنوعة، ووظائفها الشكليّة المتعدّدة بين المتواليات الجمليّة، لبناء وحدة نصيّة متماسكة مترابطة من خلال مطلق الجمع بين الآيات وربط اللاحق بالسابق.

٩. بينت الدراسة أنّ الاتّساق المعجميّ، وهو أحد العناصر الخمسة التي تؤدي إلى تماسك النّصّ، كان حاضرًا في الآيات الاجتماعيّة بقسميه: (التكرار، والتضام)؛ فحضر التكرار في آيات الدراسة بصوره المختلفة، وهي: (تكرار اللفظ نفسه، وذكر شبه المترادف، وذكر الخاص بعد العام)، ومثّل حالة متكرّرة في المجتمع الإنسانيّ هدفها ترسيخ التعامل الاجتماعيّ، وجذب انتباه المتلقّي، وحضر أيضًا التضام في الآيات المختارة بأهم علاقاته: (علاقة التلازم الذكري، وعلاقة التضاد، والارتباط بموضوع واحد "حقل دلالي واحد"، وعلاقة التنافر أو التخالف، وعلاقة الجزء بالكل)؛ لإبراز الجوانب الاجتماعيّة وجعلها معبرة بأبلغ الأساليب وأكثرها اتساقًا.

١٠. عزّز معيار الانسجام من وحدة النّصّ بإيجاد الاستمراريّة الدلاليّة المتحققة بين أجزاء النّصّ القرآنيّ الاجتماعيّ عبر أقسامه المتعدّدة، وهي: (العلاقات الدلاليّة، والبنية الكليّة "موضوع النّص"، وترتيب محتوى النّصّ، والتعريض)، وأثرها في تحقيق البنية النّصيّة الكبرى، إذ لا تتحقق النّصانيّة إلاّ بها.

١١. تتشكل الآيات الاجتماعية من قضية اجتماعية تعدُّ النواة التي يقوم عليها موضوع النصّ، وهذه الظاهرة تبرز في أساليب متنوعة، وتظهر في علاقات تحدّد مضمون النصّ كعلاقة الإجمال والتفصيل، وعلاقة التوضيح، وعلاقة التابع، وعلاقة الإضافة المتكافئة، وعلاقة الشرط والجواب، وعلاقة السؤال والجواب، وعلاقة العموم والخصوص، وعلاقة التذييل، وعلاقة الاستثناء، وعلاقة التقابل، والعلاقة السببية، فشكّلت تلك العلاقات الدلالية شبكة متماسكة من الألفاظ حققت للنصّ استمراريته باتساقه وقوة نسيجه؛ إذ تكشف هذه العلاقات عن طبيعة الترابط بين المتواليات النصّية، والكيفية التي تُدرك بها البنية النصّية.

١٢. أوجدت مظاهر الانسجام تنشيطاً لعناصر المعرفة؛ إذ أظهرت الدراسة أنّ كلاً من البنية الكلية وموضوع النصّ، ما هما إلاّ تمثيلان دلاليان لقضايا النصّ يتعلّقان في تحديد ما هو أكثر جوهرية فيه من جهة الدلالة، ما يعني أنهما أداة عملية لمقاربة بنية أكثر تجريدًا هي البنية الكلية تعمل على استنباط محاور النصّ ومرتكزاته، فضلاً عن شدّ أو أصرّ النصّ، وترابط أطرافه.

١٣. أكّدت الدراسة إلى أنّ ترتيب محتوى النصّ الاجتماعيّ كان حاضرًا في النصّ القرآنيّ، وقد جاء الترتيب على وفق العلاقات المنطقية الأساسية التي تعمل على تنظيم الأحداث وتعالق المضامين في النصّ، وأهمّها: (علاقة الاتّحاد، والسببية، والاستجابة، والتقابل، والوصف).

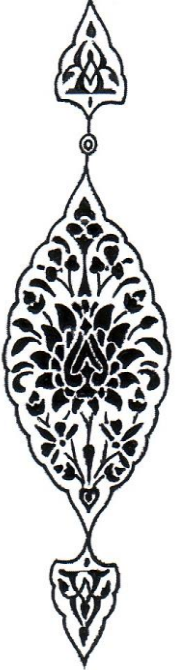
١٤. لحظ الباحث أنّ التعريض للآيات الاجتماعية من بين مظاهر الانسجام جاء على قضايا ومفاهيم متعدّدة يتحقّق بها التماسك النصّيّ، وهو تمحور النصّ حول ثيمة مركزية تظهر في عنوانه وبدايته، تدور حولها جميع أجزاء النصّ، فالنصّ عبارة عن مجموعة من الجمل المتتالية المكتوبة والمتلاحمة والمنتظمة الأجزاء فلا بُدّ لها من عنوان جامع يمنح القارئ فرصة تذكر بمضمون النصّ، أو استحضار المعرفة المتّصلة به، ويعمل على تنشيط الذاكرة وتحفيزها.

١٥. تعدُّ القصدية والمقبولية من أبرز المعايير التي تؤثر في عملية التواصل ونجاحها، وبينت الدراسة أنّ القصدية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمتلقّي؛ لأنّ هدفها الفهم الذي هو تحديد لمراد المتكلم، وتعيين المعنى المقصود؛ لذا لا يمكن الوقوف على قصدية بعض الآيات الاجتماعية بشكل نهائيّ؛ لأنّ القصدية في النصوص القرآنية قائمة على الاحتمالية، أو هي عبارة عن شفرات يعمد المتلقّي إلى فكّها من خلال خبراته وقدرته على فهم اللغة.

١٦. تبين لنا أن المقبولية ليست معياراً قائماً بذاته، بقدر ما هو حصيلة وانعكاس لتحقيق معايير أخرى كالاتساق والانسجام؛ إذ تعمل هذه المعايير على إمداد المُتلقي على قبول موقف دلاليّ ما، واستبعاد غيره ممّا هو مرتبط بالنّص، فضلاً عمّا أضفاه السياق الذي يكون شريكاً لهما في الحكم على قبول نص ما من عدمه، في تهيئة المُتلقي لاستقبال الخطاب الاجتماعي وتقبله.
١٧. أكّدت الدراسة على المقامية من أجل كشف أوجه الدلالة التي تسهم في اتساق النّص، وقد كشفت أثر المقام في النّص القرآنيّ، فأسهم في تفسيره وفهمه عبر الترابط في عملية الاتصال بين وحدات النّص الداخليّة والمحيط الخارجيّ عن طريق معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والسياق الدلاليّ، وإلى بعض ألفاظ العرب في الجاهلية.
١٨. كشفت الدراسة دور الإعلاميّة بمراتبها الثلاث في الآيات الاجتماعيّة؛ وأثرها في نفوس المتلقين وجذبها لهم؛ فهي ترتبط بإنتاج النّص واستقباله، ومدى التوقع لعناصره، وتبين لنا أن الإعلاميّة المرتفعة كانت حاضرة بصورة واسعة في النّص القرآنيّ في الآيات الاجتماعيّة ومتواجدة ضمن دائرة الاحتمال العليا.
١٩. ولعل أهم ما تبين هنا أنّ هناك تداخلاً بين هذه المعايير، فكل منهما يستدعي الآخر؛ فالاتساق والانسجام معياران يقف عليهما الباحث المحلل في كل موضع، وكذلك الحال مع القصدية والمقبولية والمقامية والإعلاميّة، فجميعها من الأدوات التي يرجع إليها المحلل والباحث عند وقوفه على النّصوص، وكأننا أمام روافد متعددة يمتد منها المجرى الرئيسيّ؛ إذ تتظافر المعايير وتتعاقد، ويأخذ بعضها ببعض؛ ليقدم صورة متكاملة، وما الفصل الواقع بينها إلّا لغرض دراسي، فضلاً عما أظهرته الدراسة أن أركان العملية الكلامية (متكلم، متلقي، كلام) كلها تسهم في رسم الفهم الدلالي العام للعملية الكلامية؛ إذ يسهم كل ركن منها بقدر معلوم في عملية الإنتاج الكلامي.

قائمة

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م.
- اتساق النَّص في سورة الكهف، فريد عوض حيدر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د. ط)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- أثر التكرار في التماسك النَّصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، د. عبد نوال بنت إبراهيم الحلوة، كلية الآداب - جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، (د. ط)، ٢٠١٢م.
- الأثر الدلالي لحذف الاسم في الخطاب القرآني، دراسة قصدية في الإعجاز، د. محمد جعفر العارضي، دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر والتوزيع، العراق - بغداد، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- أثر القرائن العلائقية في اتساق النَّص في نهج البلاغة (خطب الحروب أنموذجًا)، إيناس عبد براك بشأن الحدراوي، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، العراق - كربلاء، ط ١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الإحالة في القرآن الكريم، د. عباس علي الأوسي، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط ١، ٢٠١٢م.
- الإحالة في شعر أدونيس، د. داليا أحمد موسى، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا - دمشق، ط ١، ٢٠١٠م.
- الإحالة في نحو النَّص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- الإحالة ودورها في قصيدة ساعة التذكار لإبراهيم ناجي، أ. بوبكر نصبة، (د. ط)، (د. ت).
- أحكام القرآن، أحمد بن علي المعروف بـ (الجصاص) (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العالمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- أحكام القرآن، للجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ط)، ١٤٠٥هـ.
- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم الحفناوي، و د. إسماعيل محمد الشندي، دار الحديث للطباعة، القاهرة، (د. ط)، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- أدوات النَّص، دراسة، محمد تحرشي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، (د. ط)، ٢٠٠٠م: ١٩ - ٢٠.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المسمّى بـ(تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القاهر أحمد عطا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، ط ٦، ١٤٢٤هـ.
- أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- استقبال النَّص عند العرب، محمد المبارك، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: هـ. ريتز، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- أسرار البيان في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، منشورات دار المؤتمر، الشارقة، (د. ط)، ٢٠٠٢م.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د. ط)، (د. ت).
- أسس لسانيات النَّص، مارغوت هاينمان وفولفنغ هاينمان، ترجمة: د. موفق مجيد جواد المصلح، دار المأمون، بغداد، ط ١، ٢٠٠٦م.
- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط ٣، (د. ت).
- الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٤م.
- إشكالية المعنى في الجهد التفسيري، دراسة في ضوء مستويات اللغة (تفسيرًا وتأيلاً)، د. نجاح فاهم صابر العبيدي، مكتبة نون للطباعة الحديثة، ط ١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم انيس، مكتبة الأناكلا المصرية، ط ٥، (د. ت).
- أصول المجتمع الإسلامي، جمال الدين محمد محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، د. محمد الشاوش، كلية الآداب، جامعة منوبة، سلسلة اللسانيات مج ١٤، تونس، والمؤسسة العربية للتوزيع - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د. ط)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د. ط)، ١٩٨٠م.
- إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط ٥، ١٩٩٧م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، (دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سوريا)، (دار اليمامة، دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت) ط ٤، ١٤١٥هـ.
- الإعلامية - أبعادها وأثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية، محمد عبد الرحمن إبراهيم، الشارقة دار الثقافة والاعلام، الشارقة - الامارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د. ط)، ٢٠١٣م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، مؤسسة الصادق - طهران، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ٣، ١٣٧٩.
- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، أحمد بن المنبر الإسكندري، (مطبوع على هامش الكشاف)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.
- الأنثروبولوجيا اللغوية، د. مها محمد فوزي معاذ، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، ٢٠٠٩م.
- الأنساق الثقافية في القرآن الكريم، دراسة في معالم النص القرآني في ضوء المنظومة السياقية، د. أزهار علي ياسين، منشورات المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، ط ١، ٢٠١٧م.

- افتتاح النَّصِّ الروائي (النَّصُّ والسياق)، د. سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء-المغرب، ط٣، ٢٠٠٦م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (المعروف بتفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٦م.
- أوزان الفعل ومعانيها، د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د. ط)، ١٩٧١م.
- الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، تحقيق ودراسة: د. كاظم المرجان، عالم الكتب للنشر والطباعة، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الإيضاح في شرح المفصل، جمال الدين عثمان بن عمر النحوي، أبي الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: موسى بناي العليي، إحياء التراث الإسلامي، العراق، (د. ط)، (د. ت).
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضل، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (د. ط)، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٠هـ.
- بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي، د. فاخر الياسري، جامعة البصرة، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د. ط)، (د. ت).
- بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام، آية الله الشيخ: محمد باقر الملكي الميانجي (ت٤١٩ق)، مؤسسة معارف أهل البيت، إيران- قم، ط١، ١٤٣٧ق - ١٣٩٥ش.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصِّية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، ١٩٩٨م.
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: د. أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د. ط)، (د. ت).

- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ)، مؤسسة البعثة، طهران، ط١، ١٤١٥هـ.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ثم صورته دار المعرفة، بيروت لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ١٩٩٦م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٦٤، (د. ط)، ١٩٩٢م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط٢، مصر، ١٩٩٧م.
- بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، د. عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، (د. ط)، ١٩٨١م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط٣، ٢٠٠٥م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.
- بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٣م.
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط)، (د. ت).
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، شرح وتحقيق: أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- التأويل والحقيقة قراءات تأويلية في الثقافة العربية، علي حرب، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٧م.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قيصر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني، د. فاخر هاشم الياسري، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق- بابل، ط ١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن الأصبع العدواني- البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق وتقديم: د. حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د. ط)، (د. ت).
- التحرير والتنوير، سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط) ١٩٨٤م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣، ١٩٩٢م.
- تحليل الخطاب الشعري، تجليات التعبير وجماليات الصياغة، د. عبد المجيد بنجلالي، دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٨م.
- تحليل الخطاب، ج. ب. براون، وج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية- الرياض، (د. ط)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برنكر، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- تحليل النص "دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي"، د. محمود عكاشة، مكتبة الرشد، القاهرة، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- الترابط النصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون الداودي، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.
- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

- الترادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- التراكيب الإسنادية، الجمل "الظرفية، الوصفية، الشرطية"، د. علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق- بيروت، (د. ط)، ١٩٨٨م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبى، (ت ٧٤١هـ)، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تشريح النّص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، عبد الله الغدّامي، المركز الثقافي العربي، المغرب- الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط ١، ١٩٨٦م.
- تفسير البغوي المسمّى بـ (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- تفسير الخازن المسمّى بـ (الباب التأويل في معاني التنزيل) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن (ت ٧٢٥هـ)، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، (د. ط)، (د. ت).
- تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د. ط)، (د. ت).
- تفسير الشعراوي، (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، منشورات مطابع أخبار اليوم، القاهرة، (د. ط)، ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم، المسمّى بـ (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، ١٩٩٠م.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، ط ٣، (د. ت).
- تفسير الكاشف، محمد جواد مغنّية، دار الكتاب العربي، مكتبة الصدر للطباعة، (د. ط)، (د. ت).
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المعروف ب(تفسير الرازي)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي، الملقب ب(فخر الدين الرازي) (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المسمّى ب(تفسير المنير للزحيلي)، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، أشراف: د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ٢٠١٠م.
- تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
- التفسير الوسيط، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- تفسير آيات الأحكام في مجمع البيان دراسة موضوعية، د. عبد الزهرة كاظم سمحاق الحجاج، المجتبى للطباعة المحدودة، إيران - قم، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٩م.
- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٢هـ)، قدم له وحققه وعلق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر ابن محمد السورتّي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد - باكستان، ط ١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله (دام ظله)، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، المغرب، ط١، ١٩٩٤م.
- التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، د. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح، عالم الكتب للنشر والتوزيع، أربد- الأردن، ط١، ٢٠١٥م.
- تتاب حروف الجر في لغة القرآن، محمد حسن عواد، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت٣٧٠هـ) تحقيق: يعقوب بن عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، الرماني (ت٣٨٦هـ)، والخطابي (ت٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، المسمى ب(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق- بيروت، مؤسسة الايمان، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم، علي نجيب إبراهيم، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، ط٢، ٢٠٠٢م.
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق- سوريا، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- الجمل في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٤٠هـ)، حققه وقدمه: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

- حجاب المرأة وخلفيات التبرج في الفكر الإسلامي، د. محمد بنيعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الحجاب، مرتضى مطهري، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطباعة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د. ط)، ١٩٩٨م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني، (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، بغداد، ط ٤، ١٩٩٠م.
- الخطاب الاجتماعي في نهج البلاغة، د. خالد حوير الشمس، كلية الآداب - جامعة ذي قار، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، السنة الخامسة، المجلد الخامس، العدد ٢٠، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.
- الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، جدارا للكتاب العالمي، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٦م.
- خطرات في اللغة العربية، د. فاخر هاشم الياسري، ضمن سلسلة الموسوعة الثقافية، العدد ٥٣، الصادرة عن الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨م.
- دراسات في اللسانيات التطبيقية، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د. ط)، ٢٠٠٣م.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- دراسة تطبيقية في الخطاب القرآني آفاق بيانية وصور بلاغية ودلالات، رضوان جمال الأطرش، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، كوالالمبور، ط ٢، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م.
- دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (د. ط)، ١٤٢٤هـ.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى، دار السياح للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط ١، (د. ت).

- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط ٣، ٢٠٠٢م.
- دينامية النص (تنظير وإيجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٢، ١٩٩٠م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- زاد الميسر في علم التفسير، ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- زبدة البيان في أحكام القرآن للمقدس الأربيلي، أحمد بن محمد، تحقيق: محمد باقر البهبوي، المكتبة الجعفرية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، ط ١، (د. ت).
- السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، د. محمد سالم أبو عفرة، تقديم: د. محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.
- السياق وأثره في المعنى، مهدي إبراهيم الغويل، دار الكتب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط ١، ٢٠١١م.
- شذا العرف من فن الصرف، أحمد الحملوي، المكتبة الثقافية، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمن عبد الله النحوي المعروف بابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تأليف جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجباني الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر وطارق فتحي السيد، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
- شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضيّ الإسترابادي (ت ٦٨٨هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط ٢، (د. ت).
- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلية المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ) قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، ضبطه وصححه: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: المتولي رمضان أحمد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الشعرية وانسجام الخطاب، لسانيات النص وشعرية جان كوهن، مصطفى رجوان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.
- الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الصافي في تفسير كلام الله، المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، دار المرتضى للنشر، مشهد، ط ١، (د. ت).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، دار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د. ط)، ١٩٩٨م.
- العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ط)، ١٩٧٥م.
- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح، بحث منشور ضمن كتاب الأستاذ عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً، كتاب تذكاري، تحرير: وديعة طه النجم، وعبد بدوي، جامعة الكويت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٩٠م.
- العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م.
- العربية وعلم اللغة الحديث، محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، د. أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.
- العلاماتية وعلم النص، د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دار المحبة، دمشق، (د. ط)، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- علم الاجتماع اللغوي، د. علي شتا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط ١، ١٩٩٨م.
- علم الدلالة، جون لاينز، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر، جامعة البصرة، البصرة، (د. ط)، ١٩٨٠م.

- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط٦، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- علم اللغة الاجتماعي، د. هرسون، ترجمة: د. محمود عياد، مراجعة: د. نصر حامد أبو زيد، و د. محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- علم اللغة والدراسات الأدبية، برنر شبلنر، ترجمة: د. محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم دراسة بلاغية، د. مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، (د. ط)، ٢٠٠٤م.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.
- علم النص، جوليا كرسستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط٢، ١٩٩٧م.
- علم لسانيات النص، هايكوها وزندورف، وفولفغنج كسلمان، ترجمة: د. موفق محمد جواد حسين المصلح، دار المأمون للترجمة والنشر، (د. ط)، بغداد، ٢٠١٦م.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان، مصر- القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، مكتبة كلية الآداب، القاهرة- مصر، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد إبراهيم طباطبا، الحسن العلوي أبو الحسن، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، (د. ط)، ١٩٨٤م.

- الفاخر، للمفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٨٠هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، قدّم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأتصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، (د. ط)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين نعمة الله الحسيني الجزائري، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مكتبة الرشد ناشرون، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراّن العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (د. ط)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- فقه اللغة وأسرار العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الرباط - المغرب، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، لجنة التعريف والتقريب والنشر، جامعة الكويت، الكويت، ط ١، ٢٠٠٣م.
- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ٢٠٠٧م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، أ. د. عبد الرحمن بودرع، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، ٢٠١٣م.
- القاموس الموسوعي الجديد لعلم اللسان، أوزوالد ديكر و جان ماري سشايفر، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٣، ٢٠٠٧م.
- القرآن الكريم التحليل الروائي، عبد الباقي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ٢٠١٦م.
- القرائن والنص، دراسة في المنهج الاصولي في قصة النص، أيمن صالح، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، ٢٠١٩م.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة، بغداد، ط ٣، ١٩٦٧م.

- قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م.
- الكافية في النحو، جمال الدين بن عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي الأندلسي (ت ٧٩٢هـ)، دار الفكر (د. ط)، (د. ت).
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- كتاب الواضح، لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، الأردن، ط ٢، ٢٠١١م.
- الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٣١٥هـ.
- الكشف والبيان، في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، الإمام العلامة أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الشيخ سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة، التلقي والتمثلات، د. حسن كزار، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٨م.

- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، منشورات اختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
- لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، د. نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٢م.
- لسانيات النص النظرية والتطبيق (مقامات الهمداني أنموذجًا)، ليندة قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، د. خالد حميد صبري، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة "دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته"، د. حافظ إسماعيل علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.
- اللغة العربية في اطارها الاجتماعي، دراسة في علم اللغة الحديث، مصطفى لطفي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط ٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٧م.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٩م.
- مباحث حول نحو النص، عبد المنعم فتحي خليل، جامعة الأزهر، (د. ط)، (د. ت).
- مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصة للنشر، الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٠هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، الناشر: محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، دار الأرقم، الكويت، ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩م.

- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- محاسن التأويل تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق وتصحيح خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- محاسن الشريعة في فروع الشافعية، محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، القفال الكبير (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: محمد علي سماك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٧م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي الغرناطي (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ١٩٩٣م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المحيط في اللغة، صاحب إسماعيل بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) تحقيق: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتاب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٨م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقد له: محيي الديب ديب مستو دار الكلام الطيب، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل، فرانثيسكو يوس داموس، ترجمة وتقديم: يحيى حمداوي، دار نيبور، العراق- الديوانية، ط ١، ٢٠١٤م.
- مدخل إلى علم اللغة النصّ، فولفجانج هانيه من، ديتير فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض- السعودية، (د. ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- مدخل إلى علم اللغة النَّصي، هاينه من وفيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، السعودية، ط ١، ١٩٩٦م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م.
- مدخل إلى علم النَّص (مشكلات بناء النَّص)، زتسييسلاف واورزنيك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم النَّص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى علم النَّص، دي بوجراند، روبرت ألان، وديسلر، دار الكتاب مطبعة القاهرة، ط ١، (د. ت).
- مدخل إلى علم لغة النَّص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر، ترجمة: د. إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، دار الكاتب، سمير أميس، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- مدخل إلى علم لغة النَّص، فولفجانج هاينه مان، وديتر فيهفجر، ترجمه وعلق عليه ومهد له: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- المدهش: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، "بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي"، د. خليل أحمد عمايرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ٢٠٠٤م.
- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النَّص، مقارنة نصية في مقالات د. خالد، نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة، مجلد الدراسات اللغوية، المجلد ١٤، العدد ٣، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

- المصاحبة المعجمية، المفهوم والأنماط، والوظائف بين الموروث العربي والمنجز اللساني، لواء عبد الحسن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٨م.
- المصاحبة في التعبير اللغوي، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، (د. ت).
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، د. يسري نوفل، كلية الآداب- جامعة طنطا، دار النابعة للنشر والتوزيع، القاهرة- الاسكندرية، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين وعلي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٨م.

- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي انجليزي عربي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، دار الدعوة، ط ٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- معركة السفور والحجاب، محمد أحمد إسماعيل، دار الوطن للنشر، الرياض، (د. ط)، ١٤١١هـ.
- المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي، دار نينوى، دمشق للطباعة والنشر، (د. ط)، ٢٠١١م.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، (د. ط)، ٢٠٠٧م.
- المعين، مرتضى نور الدين محمد الكاشاني (١١١٥هـ)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط ١، (د. ت).
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنتصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت ٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط ٦، ١٩٨٥م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، التحقيق والإعداد: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د. ط)، (د. ت).
- المفصل في تفسير القرآن الكريم، المشهور ب(تفسير الجلالين)، للإمام جلال الدين الحلبي، والإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
- المفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (٥٣٨هـ)، دراسة وتحقيق: د. فالح صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ٢٠١٤م.

- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت). ط ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- مقتنيات الدرر، مير سيد علي الطهراني الحائري (ت ١٣٤٠هـ)، مطبعة دار الكتب الإسلامية، طهران، (د. ط)، ١٣٣٧هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤م.
- المقرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الإشبيلي الأندلسي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. عبد الستار الجواري، ود. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.
- المناسبة في القرآن "دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي"، د. مصطفى شعبان عبد الحميد، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٩٨٦م.
- المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش وآخرون، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د. ت).
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف مكتبة الخانجي، مصر، ط ٤، ١٩٩٤م.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبي إسحاق الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت ٧٩٨هـ)، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، دار الغد الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.
- موسوعة معاني ألفاظ القرآن الكريم، د. هادي حسن حمودي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، ٢٠١١م.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الناسخ والمنسوخ، قتادة السدوسي، تحقيق: د. صالح حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط الدلالي، مع دراسة شخصية مؤلفه، تحقيق: د. مصطفى الصادق العربي، الكتاب للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، ليبيا- بنغازي، (د. ط)، (د. ت).
- نحو إجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد ١٠، العدد ١-٢، ١٩٩١م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، هناء محمود إسماعيل، تقديم: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- النحو الميسر، أحمد ناصر أحمد ناصر، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة- مصر، ط ١، ١٤٣١هـ - ١٩٩٨م.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.
- نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، د. مصطفى النحاس، ذات السلاسل، الكويت، ط ١، ٢٠٠١م.
- نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى (سورة البقرة أنموذجاً)، د. عمر محمد أبو خرمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن- إربد، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- نحو النص، إطار نظري ودراسات تطبيقية: عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- نحو النص، دراسة تطبيقية على سورة النور، د. عثمان محمد أحمد أبو صيني، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط ١، ٢٠١٥م.
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، د. عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، مصر، ط ٥، (د. ت).
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- نسيج النص، بحث في ما به يكون الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- النص الإشهاري، ماهيته، انبناؤه وآليات اشتغاله، محمد خاين، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، د. محمد عزّام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م.

- النّص اللغوي بين السبب والمسبّب، د. نهاد فليح حسن العاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.
- النّص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩م.
- النّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- النّص والخطاب، شتيفان هابشايد، ترجمة: موفق جواد المصلح، دار المأمون للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠١٣م.
- النّص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط ١، ٢٠٠٠م.
- النّص: بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النّص، فان دايك، ترجمة: منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النّص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، د. المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- نظرية اللغة في النقد العربي، دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- نظرية النّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء النّص النثري، د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د. ط)، (د. ت)، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، لبنان، (د. ط)، ١٩٩٣م.

الرسائل والأطاريح:

- إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النَّصّ، دراسة في سورة البقرة، أطروحة دكتوراه، عبد الكريم حاقة، ٢٠١٦م.
- الاتساق في العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جبار سويس حنيحن الذهبي، (رسالة ماجستير)، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، بغداد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- الاتساق في نهج البلاغة، دراسة في ضوء لسانيات النص، رائدة كاظم فياض العكيلي، (رسالة ماجستير)، كلية التربية ابن رشد، بغداد، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الاتساق والانسجام في سورة الكهف، محمد بوسته، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- أثر السياق في تعيين معاني الأبنية الصرفية في سورة الأعراف دراسة دلالية إحصائية، (رسالة ماجستير)، سماح خضر ناصر الدين، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، فلسطين، ٢٠١٦م.
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English)، لهاليداي ورقية حسن، ترجمة وإعداد: شريفة بلحوت (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م.
- آليات الانسجام النَّصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، آمنة جاهمي، (رسالة ماجستير)، جامعة باجي مختار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، عنابة، ٢٠١١ - ٢٠١٢م.
- تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، في ديوان أحد عشر كوكبًا، لمحمود درويش، (رسالة ماجستير)، فتحي رزق الخوالدة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م.
- التذييل في القرآن الكريم دراسة بلاغية، سورة البقرة أنموذجًا، فاطمة الزهراء معزوز، (رسالة ماجستير)، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٢ - ٢٠١٣م.
- التماسك النَّصي في المثل القرآني، شهلة عبد الرزاق نادر، (رسالة ماجستير)، جامعة صلاح الدين - أربيل، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- التماسك النَّصي من خلال الإحالة والحذف (دراسة تطبيقية في سورة البقرة)، محمد الأمين مصدق، (رسالة ماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- توحيد المفضل للإمام جعفر الصادق (ع) (ت ١٤٨هـ) دراسة نصية، هدى فاضل حنش، (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- جملة التذييل في القرآن الكريم (دراسة في ضوء المعايير النَّصية)، عقيل جاسم محمد العنكوشي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة القادسية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

- الخطاب السياسي في القرآن الكريم، دراسة في ضوء علم اللغة النَّصي، عدنان ناصر عبود الكناني، (رسالة ماجستير)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- الخطاب القرآني، دراسة في البعد التداؤلي، (أطروحة دكتوراه)، مؤيد عبيد آل صوينت، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- السبك النَّصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، أحمد حسين حيال، (رسالة ماجستير)، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.
- السور المفتحة ب(الحمد) دراسة في لسانيات النَّص، زينب كريم عبود الموسوي، (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.
- نحوية الاتساق لقصيدة النثر، شعر محمود درويش أنموذجًا، (رسالة ماجستير)، هاشمي محمد بلحبيب، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران، الجزائر، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، مفتاح بن عروس، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات-الجزائر: ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.
- الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني، سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء جواد عباس البرقعاوي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م.
- الالتفات في القرآن، صدام حسين علوان، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٩هـ.
- الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجًا، (أطروحة دكتوراه)، نوال لخلف، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.
- آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النَّص، (أطروحة دكتوراه)، كاظم داخل جبير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٩م.
- التصوير الفني في القرآن، دراسة تحليلية في جهود الباحثين، جبير صالح حمادي (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
- التضام والتعاقب في الفكر النحوي، د. نادية رمضان النجار، علوم اللغة دراسات علمية مُكملة أربع مرات في السنة كتاب دوري، المجلد ٣، العدد ٤، ٢٠٠٠م.
- التطور الدلالي للألفاظ في النَّص القرآني، دراسة بلاغية، جنان منصور كاظم الجبوري، (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- التماسك النَّصي، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، عيسى جواد الوداعي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

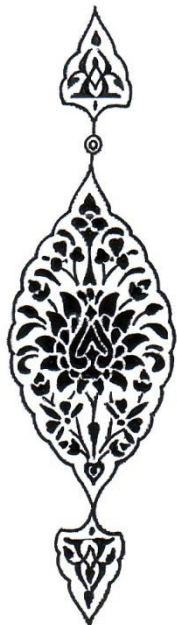
- الخطاب القرآني للمرأة دراسة في ضوء اللسانيات النصية، أنفال رشاد علي، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
 - رسائل ابن حزم، دراسة في رسالتي (طوق الحمامة وفي مداواة النفوس أنموذجًا)، دراسة في نحو النص، حنان سعادات عبد المجيد عودة، (أطروحة دكتوراه)، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١٢م.
 - شعر الشريف الرضي في ضوء علم اللغة النصي، عباس إسماعيل سيلان الغراوي، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
 - المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم، "دراسة نظرية تطبيقية"، حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
 - المعايير النصية لدى روبرت دي بوجراند في ديوان همسات الصبا للشاعر الليبي رجب الماجري، دراسة نقدية تحليلية، ميلود مصطفى عاشور، اطروحة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية نيلاي، كلية دراسات اللغات الرئيسة، ٢٠١٥م.
- الدوريات:**
- اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، سعيد حسن بحيري، مجلة علامات، ج ٣٨ ، م ١٠ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
 - أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية، يحيى القاسم، جامعة مؤتة، سلسلة الآداب واللغويات، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١١ ، العدد ١ ، ١٩٩٣م.
 - أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبد الرحمن بودراع، مجلة الإحياء، العدد ٢٥، جمادى الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
 - الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٣ ، العدد B١ ، ٢٠١١م.
 - أساليب الإقناع في سورة لقمان دراسة تداولية، د. سناء هادي عباس، د. ساهرة عدنان وهيب، مجلة العلاقة، كلية التربية الأساسية - قسم اللغة العربية، الجامعة المستنصرية (العراق)، العدد: ٤٠ ، ٢٠١٧م.
 - الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم، د. محمد شاكر ناصر الربيعي، ود. أحمد جاسم مسلم الجنابي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد ١٧، أيلول ٢٠١٤م.
 - الانسجام النصي وأدواته، الطيب الغزالي قواوة، مجلة المخبّر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٢م.

- ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية، أزمة تمثيل المفاهيم أم موضة اختلاف، أ. مسعود شريط، مجلة إشكالات، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي لتامنغست- الجزائر، العدد ١٢، ماي ٢٠١٧م.
- تفاعل اللفظ والمعنى عند العرب في ضوء التماسك النصي، عبد الله عنبر، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، عمان، المجلد ٢٢ أ، العدد ٣، ١٩٩٥م.
- الحدود في النحو، علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: بتول قاسم ناصر، منشور في مجلة المورد، المجلد ٢٣، العدد ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- خطاب النص في القرآن الكريم في ضوء المعايير الخارجية للأداء النصي، د. علي حسن الدلفي وسندس عبد الكاظم غباش، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد ٢٨، (د. د. ت).
- دور السياق في فهم النص القرآني، بوقرومة حكيمة، (مجلة اللغة والأدب)، العدد ٢١، ٢٠١٤م.
- السبك المعجمي في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، د. نصيف جاسم محمد الخفاجي، رنا خليل علي، مجلة ديالى، العدد ٦٢، ٢٠١٤م.
- العدول عن السياق في القرآن الكريم، زاهدة عبد الله محمد، مجلة التربية والعلم، الموصل، المجلد ١٥، العدد ٣، ٢٠٠٨م.
- علم لغة النص بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجًا) نادية رمضان، مجلة علوم اللغة، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠٠٦م.
- عناصر الاتساق والانسجام، قراءة نصية تحليلية في قصيدة (أغنية لشهر آيار)، أحمد عبد المعطي حجازي، د. يحيى عباينة، د. آمنة صالح الزعبي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد (١-٢)، ٢٠١٣م.
- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية، د. بشرى البستاني، د. وسن عبد الغني المختار، جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد ١، ٢٠١١م.
- القصدية في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)، د. كريم حسين ناصح، مجلة العميد، المجلد ٤، العدد الخاص الرابع، ٢٠١٥م.
- المصطلح اللساني وإشكالات التلقي العربي، هناء محمود إسماعيل، مجلة كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، العدد ٣، أيلول ٢٠١٩م.
- مصطلحات "البنية العليا والبنية الكبرى" عند (فان دايك) مقارنة في المفهوم والمعيار والوظيفة، د. خالد توفيق مزعل، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد ١٨، السنة العاشرة، ٢٠١٦م.
- المطابقة العددية في الجملة القرآنية، دراسة دلالية، د. رعد هاشم عبود، مجلة آداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤٤، ٢٠٠٥م.

- معيار الإعلامية في التراث النقدي والبلاغي، د. ربيع بو جلال، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد ١٨، جوان، ٢٠١٧م.
 - المقصدية وترتيب الخطاب القرآني، أ. عثمان بريحة، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة (الجزائر)، أ. د. بلقاسم مالكية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، مجلة الأثر، ٢٥٤، ٢٠١٦م.
 - من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي، العدد ١-٤، الجزائر، أيلول/ ٢٠٠٤م.
 - النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل في كتاب سيوييه، د. يوسف سليمان عليان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج ٧/ع ١٤، ٢٠١١م.
 - النص بناءه ووظائفه، نظرية الأدب، عبد القادر بو زيدة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد ٢١١، ١٩٩٧م.
- الأبحاث المنشورة:**
- الانسجام في التراث النقدي والبلاغي: الربيع بو جلال، بحث منشور على شبكة الانترنت.
 - التربية والإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم، بحث منشور على شبكة الانترنت.
 - إعجاز القرآن الكريم في تشريع الميراث وتوظيفه في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية (حقل الاقتصاد نموذجًا)، د. رفعت السيد العوضي، مركز النشر العلمي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
 - علم الاجتماع الديني، المجال- المكاسب- التساؤلات، محمد عبد الباقي الهرماسي، مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع، لبنان، ٢٠٠٠م.

المُلخَص

باللغة الإنكليزية



Social verses in the Holy Qur'an, a study in the light of textual linguistics

Abstract:

Linguistic studies in the mid-twentieth century represented a qualitative scientific movement in dealing with the linguistic lesson from a more comprehensive perspective, as it went beyond the narrow framework of “towards the sentence” in analyzing linguistic phenomena to a way that expanded to include the integrated study of the text. This study came under the guidance of textual linguistics and its application to the most important source of the Arabic language, and the holiest book, which is the Noble Qur'an, which occupies a prominent position in the Arab and Islamic cultures. Therefore, revealing its contents is a disclosure of the production of knowledge, and a statement of the social aspect in it, according to the textual standards proposed by (Robert de Beaugrand), through which we prove that the Qur'an was created for all times, and this shows us the extent to which the Arabic language accommodates all modern theories, and this is good Evidence of its constant movement and high dynamism that it possesses.

In its sources, the study relied on the extensive literature of textual linguistics that enriched the message with diversity, and enriched it with many ideas. The study did not stray from the linguistic efforts of Arabic linguists in various grammatical and rhetorical fields.

Textual linguistics was characterized by the cognitive overlap of the different sciences in formulating their textual foundations and standards. Accordingly, the study took into account the seven textual criteria (consistency, consistency, intentionality, admissibility of the predicate and media, and intertextuality), noting that the study excluded the criterion of (intertextuality) from the research; Because there is no external intertextuality that rises to the Qur'anic text and its heavenly

discourse preserved with the protection of God Almighty; Subject to the six criteria; Because of its importance in understanding the different aspects of the text, whether at the level of the linguistic material in its syntactic aspect (consistency) or its semantic aspect (consonance), or at the level of textual criteria related to outside the text (completeness): some of them are related to the text product (intentionality and acceptability), and some are related to Recipient of the text (maqamic and media). The study was divided into three chapters, taking into account the six textual criteria in dealing with the structural, semantic and pragmatic topics, and the study ended with a set of facts that were made in conclusion as a result of applying the theory of textual linguistics according to an analytical approach to the phenomena of the text in “Social Verses in the Holy Qur’an”.

Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Karbala
College of Education for Humanities
Department of Arabic/ Higher Studies



Social verses in the Holy Qur'an, a study in the light of textual linguistics

*A Dissertation Submitted to the Council of the College of
Education for Humanities
/Karbala University as Partial Fulfillment for the
Requirements of the
Degree of Ph.D. in Arabic Language*

**Prepared by:
Oday Fadhil Abbas**

**Supervised by:
Prof. Dr. Makki Idan Al-Kulabi**

2020/1443